الشيعة والتشيع



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى لدار الإمام المجدد

للنشر والتوزيع

١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٢٧٣٣/ ٢٠٠٥

دار الإمام المجدد

دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع

شارع الهدي المحمدي - مساكن عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر

جوال: ٠١٠٥٢٦١١٤٩/ ٠٠٢ــ٠١٠٦٤٢٦٠٣٥/ ٠٠٢

E-Mail : emam_mujadded@yahoo.com

الشيعة والتشيع

تأليف

الأستاذ إحسان إلهي ظهير رحمه الله

١٣٦٠هـ - ١٤٠٧هـ ١٩٤١م - ١٩٨٧م

طبعة شرعية



الإذن الخطي من ورثة الشيخ (إحسان إلهي ظهير) رحمه الله لدار الإمام المجدد بطباعة ونشر كتبه رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

In the Name of Allah the Most Beneficient the Most Merciful.

I Ibtisam Elahi Zaheer S/o Allama Ehsan Elahi Zaheer allow Abu Abur-Rehman Muhammad-Al-Mesri of Darul Imam-Al-Mujaddid to publish books of Allama Ehsan Elahi Zaheer

ابتسام الٰہی ظہیر

Hafiz Ibtisam Elahi Zaheer
Director General
Idara Tarjuman-us-sunnah
Lahore Pakistan

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية
للشيخ إحسان إلهي ظهير
١٣٦٠هـ - ١٤٠٧هـ

إحسان إلهي عالم باكستاني من أولئك الذين حملوا لواء الحرب على أصحاب الفرق الضالة، وبيّنوا بالتحقيق والبحث الأصيل مدى ما هم فيه من انحراف عن سبيل الله وحياد عن سنة نبيه، وإن ادعوا الإسلام وملئوا ما بين الخافقين نفاقًا وتقية.

ولد في «سيالكوت» عام (١٣٦٣هـ) ولما بلغ التاسعة كان قد حفظ القرآن كاملًا وأسرته تعرف بالانتماء إلى أهل الحديث، وقد أكمل دراسته الابتدائية في المدارس العادية وفي الوقت نفسه كان يختلف إلى العلماء في المساجد وينهل من معين العلوم الدينية والشرعية.

❊ الجامعة والنبوغ الجامعي:

لقد حصل الشيخ على الليسانس في الشريعة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكان ترتيبه الأول على طلبة الجامعة وكان ذلك عام (١٩٦١م) وبعد ذلك رجع إلى باكستان وانتظم في جامعة البنجاب، كلية الحقوق والعلوم السياسية، وفي ذلك الوقت عُيّن خطيبًا في أكبر مساجد أهل الحديث بلاهور، ثم حصل على الليسانس أيضًا.

وظل يدرس حتى حصل على ست شهادات ماجستير في الشريعة، واللغة العربية، والفارسية، والأردية، والسياسة.وكل ذلك من جامعة البنجاب وكذلك حصل على شهادة الحقوق من كراتشي.

❊ المناصب والوظائف والدعوة:

كان رحمه الله رئيسًا لمجمع البحوث الإسلامية بالإضافة إلى رئاسة تحرير مجلة

«ترجمان الحديث» التابعة لجمعية أهل الحديث بلاهور في باكستان، كذلك كان مدير التحرير بمجلة «أهل الحديث» الأسبوعية، وكان رحمه الله عظيم الشأن في أموره كلها..رجع يوم رجع إلى بلاده ممتلئًا حماسًا للدعوة الإسلامية.

وقد عرض عليه العمل في المملكة العربية السعودية فأبى آخذًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

❊ يقول عنه الدكتور محمد لقمان السلفي في مجلة الدعوة:

«لقد عرفت هذا المجاهد الذي أوقف حياته بل باع نفسه في سبيل الله أكثر من خمس وعشرين سنة عندما جمعتني به رحمه الله مقاعد الدراسة في الجامعة الإسلامية، جلست معه جنبًا إلى جنب لمدة أربع سنوات فعرفته طالبًا ذكيًا يفوق أقرانه في الدراسة، والبحث، والمناظرة!وجدته يحفظ آلاف الأحاديث النبوية عن ظهر قلب كان يخرج من الفصل، ويتبع مفتي الديار الشامية الشيخ ناصر الدين الألباني، ويجلس أمامه في فناء الجامعة على الحصى يسأله في الحديث ومصطلحه ورجاله ويتناقش معه، والشيخ رحب الصدر يسمع منه، ويجيب على أسئلته وكأنه لمح في عينيه ما سيكون عليه هذا الشاب النبيه من الشأن العظيم في سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله بالقلم واللسان».

وكان الشيخ رحمه الله يتصل بالدعاة والعلماء في أيام الحج في شتى بقاع الأرض، يتداول معهم الموضوعات الإسلامية والمشاكل التي يواجهها المسلمون.

❊ دعاة الضلالة والحقد:

لكل مجاهد مخلص خصوم وأعداء، ولكل حق ضده من الباطل، وبما أن الشيخ كان سلفي العقيدة من المنتمين لأهل الحديث فقد جعله هذا في حرب فكرية دائمة مع الطوائف الضالة كالرافضة والإسماعيلية والقاديانية.

لقد كان يرفضها، ويرد على ضلالاتها، ويجابهها في كل مكان وكل منتدى شأنه

شأن كل مؤمن حقيقي الإيمان يعتقد في قرارة نفسه أن الكتاب والسنة هما الطريق الأوحد ولا طريق سواه لكل من أراد أن يكون من المنتمين لدين الإسلام، ويعتقد كذلك أن أديانًا تبنى على الكذب وتتستر خلف الترهات والأباطيل لجديرة بألا تصمد أمام النقاش وأن تتضعضع أمام سواطع الحق ونور الحقيقة.

ولهذا الأمر طفق يلقي المحاضرات، ويعقد المناقشات والمناظرات مع أصحاب الملل الضالة، ويصنف الكتب المعتمدة على مبدأ الموضوعية في النقل والمناقشة والتحقيق، وكثيرًا ما كان يرد على المبطلين بأقوالهم، ويسعى إلى كشف مقاصدهم والإبانة عن انحرافهم وضلالهم وفي كل ذلك كان يخرج من المعركة منتصرًا يعضده الحق، وينصره الله تعالى.

ولما أحس به أهل الانحراف، وشعروا بأنه يخنق أنفاسهم، ويدحض كيدهم عمدوا إلى طريقة تنبئ عن جبن خالع..عمدوا إلى التصفية الجسدية بطريقة ماكرة!

❊ وفاته واستشهاده:

في لاهور بجمعية أهل الحديث وبمناسبة عقد ندوة العلماء كان الشيخ يلقي محاضرة مع عدد من الدعاة والعلماء، وكان أمامه مزهرية ظاهرها الرحمة والبراءة، وداخلها قنبلة موقوتة، انفجرت لتصيب إحسان إلهي ظهير بجروح بالغة، وتقتل سبعة من العلماء في الحال ولحق بهم بعد مدة اثنان آخران، وكان ذلك في٢٣-٧-١٤٠٧هـ ليلًا.

وبقي الشيخ إحسان أربعة أيام في باكستان، ثم نقل إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية على طائرة خاصة بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله واقتراح من العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

وأدخل المستشفى العسكري، لكن روحه فاضت إلى بارئها في الأول من شعبان عام (١٤٠٧هـ)، فنقل بالطائرة إلى المدينة المنورة ودفن بمقبرة البقيع بالقرب من

صحابة رسول الله.

❋ آثاره:

بالإضافة إلى محاضراته في باكستان، والكويت، والعراق، والمملكة العربية السعودية والمراكز الإسلامية في مختلف ولايات أمريكا، فقد كتب العديد من الكتب والمؤلفات التي سعى إلى جمع مصادرها من أماكن متفرقة كأسبانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيران، ومصر، وإليك قائمة بأسماء تلك الكتب:

١ - الشيعة والسنة (١٣٩٣هـ)، ورجع فيه إلى (٨٨) مرجعًا.

٢ - الشيعة وأهل البيت (١٤٠٣هـ) وهي الطبعة الثالثة، ورجع فيه إلى (٢٣٠) مرجعًا.

٣- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، ورجع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.

٤ - الإسماعيلية تاريخ وعقائد (١٤٠٥هـ)، ورجع فيه إلى (٣٦٢) مرجعًا.

٥ - البابية عرض ونقد، ورجع فيه إلى (١٧٤) مرجعًا.

٦ - القاديانية (١٣٨٧٦هـ)، ورجع فيه إلى (١٥٠) مرجعًا.

٧- البريلوية عقائد وتاريخ (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلى (١٨٠) مرجعًا.

٨ - البهائية نقد وتحليل (١٩٧٥م)، ورجع فيه إلى (٢٧٨) مرجعًا.

٩ - الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي (١٤٠٤هـ)، ورجع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.

١٠ - التصوف، المنشأ والمصادر الجزء الأول (١٤٠٦هـ).

١١ - دراسات في التصوف وهو الجزء الثاني، وهذا آخرمؤلفاته، انتهى منه قبل وقوع الحادث بسبع ساعات في مدينة «سيالكوت» في ولاية البنجاب.

١٢ - الشيعة والقرآن (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلى (٨٤) مرجعًا.

١٣ - الباطنية بفرقها المشهورة.

١٤ - فرق شبه القارة الهندية ومعتقداتها.

١٥ - النصرانية.

١٦ - القاديانية باللغة الإنجليزية.

١٧ - كتاب الوسيلة بالإنجليزية والأردية.

١٨ - كتاب التوحيد.

١٩ - الكفر والإسلام بالأردية.

٢٠ - الشيعة والسنة بالفارسية والإنجليزية والتايلندية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين وعلى أهل بيته أمهات المؤمنين وآله الغر الميامين وأصحابه البررة المقربين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإنني بدأت في جمع الكتب عن الإسماعيلية وللإسماعيلية بعدما فرغت من كتابي (البريلوية ـ عقائد وتاريخ) واشتغلت في ترتيب وتصفيف ووضعت الخطة وخططت الخطوط والتخطيط للكتابة عنهم، وبوبت الأبواب ورتبت الفصول وجاوزت النصف من العمل حتى وصلتني الدعوة من الإخوة المخلصين الغيورين لدين الله وحملته لزيارة أمريكا، وإلقاء الخطب والمحاضرات في عديد من ولاياتها في مراكز الطلاب ومجامعهم وأنديتهم ومحافلهم أندية الطهارة، ومحافل التقوى في تلك البلاد الكافرة المنحطة في حضيض النجاسة والرذالة، كالبساتين الوردية والأشجار الوارفة الظل واليانعة الأثمار في صحراء عطشانة حامية فيحاء والتي هي كمنارة النور في ليلة ظلماء مطيرة حالكة سوداء.

الإخوة العرب المسلمون الذين ذهبوا إلى تلك البقاع لطلب العلم بدءوا يعلمونهم العلم، علم الأخلاق وعلم الآداب وعلم الحضارة والثقافة وعلم الروح علم القرآن وتعاليم الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وإنني بعد ما رأيت وبعد ما شاهدت رأيت التحمس لدين الله والعمل به والغيرة لحملته أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلاف هذه الأمة، وشاهدت العفاف والعفة والطهارة والتقوى والمحافظة على الصلوات والخضوع والخشوع فيها التشوق والاستماع إلى الأحاديث الدينية، والكلمات العلمية والمحاضرات الإسلامية وبصرت أنديتهم ومحافلهم، أيقنت أن الله سيعلي كلمته ويرفع رايته ويظهر دينه على الأديان كلها، وينشر صيت نبيه واسمه وذكره في تلك البلاد النائية عن بلاد المسلمين المترامية الأطراف بهذا الجيل الميمون

المبارك وتيقنت أنهم هم الذين قال فيهم وفي أنديتهم الشاعر العربي القديم:

وفيهم مقامات حسان وجوههم — وأندية ينتابها القول والفعل

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم — مجالس قد يشفي بأحلامها الجهل

فلبيت دعوتهم وسافرت إليهم وشاركت مؤتمرهم وحاضرت في وسائل عديدة مختلفة، والكلام ذوشجون وألوان، والحديث ذوجوانب وأطراف، وكان من بينه حول اختلاف الأمة وسبب الخلاف ومنشئه ومبناه وحول الفرق التي حدثت ونشأت بين المسلمين وتشتت وتفرقت وذهب بعضها بعيدًا في التفرق والاختلاف كما قرب البعض منها ومن بين الفرق التي ذهبت إلى الشأوالبعيد واختلفت مع الأمة اختلافًا جذريًا وفي الأصول والأساس الشيعة فكثُر الكلام وكثُرت الأسئلة ثم الأجوبة عليها وكانت كتبي الثلاثة عن هذه النحلة في متناول الكثيرين من الطلاب والمستمعين والحاضرين في تلك المجالس، ولذلك كان البحث جديًا والأسئلة في صميم الموضوع. والرحى كانت تدور على عقائد القوم ومعتقداتهم التي كشفت النقاب عنها وعن تاريخ هذه الطائفة ومنشئها والتطورات التي طرأت عليها والفرق التي تفرعت عنها واقتناع الإخوة بما ذكرته في كتبي من عقائد القوم والإكتفاء بها والاحتياج الشديد إلى معرفة تاريخ القوم ومنشئهم والتغيرات التي وقعت حتى جعلتهم يبعدون كل هذا البعد عن الجماعة والأمة وكان ينتهي الكلام والجلسات على مطالبات وضع الكتاب فوريًا في ذلك الخصوص ليكمل البحث ويتم الموضوع، ومادام يكتب الكتاب عن التاريخ والتطورات والمنشأ فلازم أن يشمل الفرق التي انبثقت من التشيع فرجعت من تلك البلاد وأنا مقتنع بقضاء ما طلبوا ومصمم على ما أظهروا الاحتياج إليه فلم أصل إلى بلادي في السادس والعشرين من سبتمبر إلا وقد اشتغلت في هذه الموضوع مؤجلًا كتابتي في الإسماعيلية مع شدة حرصي على إكمالها وإتمامها. ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولكل شيء أجل.

فصرفت فيه جدي وجهدي ولم أعمل شيئًا في هذه المدة كلها ليلها ونهارها إلا البحث والتنقيب والترتيب والتسويد والتبييض في هذا.

اللهم إلا الخطب والمحاضرات في المدن المختلفة في باكستان المجاورة للاهور والبعيدة عنها والتي هي لازمتني ولاحقتني كل حين وكل آن وكل ظرف وكل مكان ولا ولم ولعلي لن أستطيع التخلص عنها رغم تهربي وفراري في الآونة الأخيرة لكثرة ملاحقتها لي وتسلطها علي ومطاردتها إياي ولزومها لي، ولكثرة العناء والأسفار والمشقة وقلة الراحة والطمأنينة والسكون القلبي والذهني والفكري في سبيلها. فأحمد الله على إنعامه علي بأني استطعت حسب مقدوري وطاقتي وقدر استطاعتي وبضاعتي أن أكمل البحث في هذا ولعله يستفيد منه القارئ ويستمتع به الناظر ويسر به الباحث ويفرح به المؤرخ؛ لأنه قلما كُتِبَ عن الشيعة والتشيع بالترتيب التاريخي والتسلسل الزمني بتنقية المطالب والمباحث من الأغراض والأهداف المشبوهة وبتصفيتها من القصص والأساطير ومن النسيج المدسوس المدخول.

كما ندر من نبه على تطور التشيع الأول وتقلب الشيعة الأولى والأسباب والحوادث التي سببت هذا التغيير والتبديل، اللهم إلا بعض الإشارات التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

فنحن بدأنا الكتاب ببيان بدء التشيع ونشأته وبيان الشيعة الأولى.

ثم عقبنا ذلك الباب بالباب الثاني مبيِّنًا في السبئية ومؤسسها عبد الله بن سبأ وأفكاره وعقائده التي أراد ترويجها بين الشيعة الأولى ومبينًا مع ذلك الفضائح والقبائح التي ارتكبها هووأنصاره وأعوانه والمخدوعون به والواقعون في حبائله وبما قاموا من السعي بالفتنة والفساد والأحداث التي حدثت بسبب مؤامراتهم ومخططاتهم.

كما بينا في الباب الثالث اندماج السبئية في صفوف الشيعة وإيقاع بعضهم في شراكهم وفخهم في خلافة علي ومحاربة علي رضي الله عنه أفكار هؤلاء ومحاولته منع شيعته من الركون إليهم وإلى عقائدهم، كما يتضمن هذا الباب وقائع حرب الجمل، وصفين خالية من الأباطيل ومتضمنة الحقائق التي طالما خفيت على الكثيرين من الناس وحتى السنة ولعله أول مرة بهذا الوضوح والتفصيل.

ثم ذكرنا في الباب الرابع تطور التشيع الأول وتبديل الشيعة الأولى وتسلط

السبئيين على التشيع وغلبتهم على الشيعة ومقاومة الحسن أفكارهم وعقائدهم ثم حدوث بعض فرق الشيعة الأخرى المتطرفة عنهم، ثم ذكرنا وقائع شهادة الحسين بالاختصار والنتائج التي نتجت بعد هذه الشهادة وتطور التشيع من الفكر السياسي إلى الفكر الديني وتغير الشيعة من الحزب السياسي إلى الحزب المذهبي.

وفي الباب الخامس ذكرنا ببعض الاختصار وبعض التفصيل، أهم فرق الشيعة التي حدثت في مختلف الأيام والعهود وزمن أولاد علي بن أبي طالب العشرة منهم ومعتقداتهم ومختصر عقائدهم.

والجدير بالذكر أننا لم نذكر فرقة منهم لم تذكر في كتب القوم وذكرت في كتب السنة، فمدارنا ومعولنا واعتمادنا لم يكن إلا على كتب القوم أنفسهم كي لا يقول قائل: قيل عنا ولم نقله، بل عكس ذلك نقول: قلتم فقلناه.

وأما الباب السادس فخصصناه لذكر الفرقة الإثني عشرية أوالإمامية وهي الفرقة الموجودة حاليًا في العالم الإسلامي بكثرة، وهي التي يطلق عيها اسم الشيعة ولا يقصد عند إطلاقه أحد غيرهم ثم ذكرنا في ذلك الباب وجهة نظر الشيعة تجاه إمامهم الثاني عشر أمولود وغائب أوموهوم ومعدوم؟

وضمن ذلك مبينًا عقيدتهم في الإمامة وشروط الإمام التي تلزمه مع بيان فرق الإثني عشرية التي انبثقت منها مع إدعاء كل واحدة منها كونها من الإثني عشرية أوالإمامية أوالجعفرية.

والباب الأخير خصصناه لبيان الروابط العقائدية التي تربطها بالعقائد السبئية المنقولة من اليهودية والمأخوذة منها وبهذا لقد أوشكنا على الإنتهاء من هذا الموضوع حيث تكمل[1] في الكتب التي ألفناها في الشيعة بهذا الكتاب ولعلنا لا نكون مخطئين

(١) هذا حسب ظننا وإلا فكشف الحقائق يحتاج كتب كثيرة لا كما كنا نتوقع سابقًا بأن المختصرين يكفيان لتعريف القوم وبيان حقائقهم وها نحن نتبع الكتاب الأول بعد الكتاب الثاني والثالث بالكتاب الرابع وعند اللحظات الأخيرة وصل إلينا كتاب جديد في اللغة الفارسية باسم (حجت اثنا عشري) من إيران حاول صاحبه الرد علينا في القسم الأخير الكبير من الكتاب ولكنه اختفى تحت الاسم المستعار وبدون الإشارة والنص على شخصيته وهويته خوفًا من الفضيحة وتهربًا من الخجل والندم لما يرى من تخاذله=

ولا مبالغين عندما نقول إن هذه الكتب الأربعة تغني الكثير من الناس في معرفة الشيعة والتشيع ومن كتبهم أنفسهم، ومعرفة عقائدهم وتاريخهم وفرقهم وحتى الشيعة أنفسهم يجدون فيها ما يدعوهم إلى التفكير والتعقل والتبصر ودقة النظر لتمييز الحق من الباطل والصواب من الخطاء.

وألفت أنظار القُراء والباحثين إلى أننا حاولنا في كتابنا هذا كدأبنا في الكتب الأخرى أن لا نكرر شيئًا أوردناه في كتاب آخر، وحتى عند الإحتياج نبحث عن شيء آخر مماثل لذلك الشيء الذي أوردناه فيما سبق تجنبًا للتكرار وزيادة في الفائدة، اللهم إلا ما لا بد منه لتشابك المواضيع وترادفها، وبذلك صارت هذه الكتب خالية من التكرار المشين ولكل قيمته.

وعلى تلك الأصول والقاعدة لم نذكر ترجمة من نقلنا عنه عبارة أواقتبسنا من كتابه

= وعجزه عن القيام بالرد العلمي على المطالب التي أوردناها في كتابنا (الشيعة والسنة) المباحث التي طرحناها أمام القاري والباحث من السنة والشيعة.

ومن الطرائف أن هذا المبرقع ببرقعه (حقكو- أي القائل بالحق) تحدانا مرات عديدة وقال: إنه سيعطينا جائزة إن خطأناه في رأيه فيما كتب وأثبتنا غلطه وعدم إصابته الصواب ثم ولا يكتب على الكتاب داخله ولا خارجه لا اسمه ولا رسمه، ومن وجله وتخوفه من بطشة الحق أنه لم يستطع ذكر المطبعة التي طبعت هذا الكتاب ولا الإدارة التي نشرته ولا الجهة التي صدرته فهذه هي جرأة القوم وهذه هي حقيقتهم.

فهذه الحقيقة الواحدة هي التي تكفي لإحقاق الحق وإزهاق الباطل - والتفريق بين التخاذل والثبات وبين الصدق والكذب.

فالحاصل أننا لا ندري أيكون هذا الكتاب هوآخر كتاب في هذا الموضوع أم يجبرنا القوم على مواصلة التعقيب والتنقيب والبحث والتفتيش للإستطلاع والإستكشاف وكشف النقاب عن الحقائق الأخرى الخافية المخفية عن أعين الناس من السنة وحتى الشيعة أنفسهم. وإننا لنرى أيضًا في كل مرة نرجع إلى كتب القوم أنها على قسمين: الكتب التي كتبت فقط للدعاية وكتب متضمنة للعقائد الأصلية والمعتقدات الحقيقية. فالكتب الدعائية كثرت في العصور المتأخرة وما أكثر ما استعمل مصنفوها الكذب والخداع لتغطية الأمور أمام المسلمين السنة فما أحوج السنة إلى معرفة الزور والخداع من الصدق والحق فلكم فكرنا في إصدار كتاب يتضمن نقد هذه الكتب وما ورد فيها من المكر والخداع والنفاق والتعمية بعنوان (بين يدي الكتب) ولكن الكتابة في المواضيع الأخرى تحول بيننا وبين ذلك. ولا ندري ما في مغيبات الأمور والله يعلم الأسرار.

كلامًا، وقد ذكرنا ترجمته في الكتب الثلاثة السابقة واكتفينا بذكر تعريف موجز مناسب للمقام بالرجال اللذين لم ترد تراجمهم قبل ذلك.

وميزة هذا الكتاب أنه يشتمل مع تاريخ التشيع والشيعة وتغيير التشيع الأول وتبدل الشيعة الأولى والفرق التي حدثت ونشأت بهذا الاسم وانقرضت أوبقيت على مطاعن الشيعة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة عثمان ومعاوية وغيرهما رضوان الله عليهم أجمعين، والرد عليها ردًا علميًا ومنطقيًا وإنني لأرجوالله العلي القدير أن ينفع به الخلائق الأحباء والأباعد وأن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم ويجعله ذخيرة لي في الدين والدنيا وفي الحياة وبعد المهات، وأن يحشرني في زمرة أصحاب نبيه العظيم وان يوفقني للدفاع عن حوزة شريعته وكرامة نبيه صلى الله عليه وسلم وعظمة أصحابه ورفاقه وتلامذته وأزواجه أمهات المؤمنين وعن أسلاف هذه الأمة وعلمائها ومحسنيها وجعلنا منهم إنه سميع مجيب.

وأخيرًا لا يسعني إلا أن أشكر جميع الأخوة والأحباء الذين ساندوني وساهموا في إخراج هذا الكتاب وناصروني في مواصلة الكتابة في مثل هذه المواضيع فبارك الله فيهم ويشكر مساعيهم وتقبل أعمالهم وجزاهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء وصلى الله على رسوله وعلى آله وصحبه وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسلك مسلكهم إلى يوم الدين.

إحسان إلهي ظهير
٣٠ محرم ١٤٠٤هـ
٦ نوفمبر ١٩٨٣م

الباب الأول

التشيع الأول والشيعة الأولى

إن لفظة الشيعة لا تطلق إلا على أتباع الرجل وأنصاره فيقال: فلان من شيعة فلان أي ممن يهوون هواه كما قال الزبيدي: كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة وكل من عاون إنسانًا وتحزب له فهوشيعة له وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة.

فلم يكن استعمال هذه اللفظة في العصر الأول من الإسلام إلا في معناه الأصلي والحقيقي هذا كما لم يكن استعمالها إلا لأحزاب سياسية وفئات متعارضة في بعض المسائل التي تتعلق بالحكم والحكام، وقد شاع استعمالها عند اختلاف معاوية مع علي رضي الله تعالى عنهما بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه فكان يقال عن أنصاره رضي الله عنه الخليفة الراشد الرابع والأحق بالخلافة من معاوية وغيره وكانوا يشايعونه ويناصرونه في حروبه مع معاوية رضي الله عنه ، كما كان شيعة معاوية يرون الأمر بالعكس للجوء قتلة عثمان بن عفان إلى معسكر علي رضي الله عنه وتحت كنفه حسب زعمهم، وما دام هؤلاء كذلك لم يكونوا معتقدين بثبوت الخلافة وأحقيتها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن قتل القتلة ونفذ فيهم حد السيف رجعوا إليه وإلى التسليم بخلافته والإنقياد لأمره كما نقله المؤرخون أن معاوية رضي الله عنه قال لمن بعث إليه من قبل علي رضي الله عنه من عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبيث بن ربعي وزياد بن حفصة يدعونه إلى الجماعة والطاعة:

«أما بعد فإنكم دعوتموني إلى الجماعة والطاعة، فأما الجماعة فمعنا هي، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلًا أعان على قتل عثمان وهويزعم أنه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به[(١)] ولكنه آوى قتلة عثمان فيدفعهم إلينا حتى نقلتهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة»[(٢)].

---

(١) انظر إلى القول العدل الذي صدر من رجل يصب عليه الشيعة ويلاتهم ودفائن حقدهم وبغضهم بدعوى أنه قال في علي كيت وكيت فانظر إليه كيف يصرح بأننا لا نتهمه بقتل عثمان بل نصدق قوله في براءته من دمه ولا نقول بما ينكره علي رضي الله عنه .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ص٢٥٧ ط بيروت الطبري ج٥ ص٦، الكامل ج٣ ص٢٩٠.

وقال بمثل هذه المقولة لأبي الدرداء ولأبي أُمامة المبعوثين أيضًا من قِبل علي رضي الله عنه :

«اذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام»

وقبل ذلك حينما أرسل علي رضي الله عنه جرير بن عبد الله إلى معاوية يدعوه إلى بيعته «طلب معاوية عمروبن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان أوأن يسلم إليهم قتلة عثمان»

وإن المؤرخين ذكروا أيضًا أن أبا الدرداء وأبا أُمامة عندما رجعا إلى علي قالا له ذلك، فقال:

هؤلاء الذين تريان فخرج خلق كثير فقالوا: كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليرمنا[١].

هذا ولسنا الآن بصدد بيان أسباب الحروب التي دارت بين علي رضي الله عنه وبين معاوية رضي الله عنه وغيره، ولكننا نريد أن نبين هنا أن فئتين عظميتين من المسلمين ـ كما عبر عنها الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام في مدحه الحسن رضي الله عنه ـ انحاز كل واحدة منهما إلى جانب وشايعت وناصرت من رأوا الحق معه فسميت كل طائفة من هاتين الطائفتين شيعة علي وشيعة معاوية، ولم يكن الخلاف بينهما إلا خلافًا سياسيًا محضًا طائفة كانوا يرون عليًا رضي الله عنه خليفة صاحب حق شرعي حيث انعقدت له الخلافة بمشورة أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار[٢] وقوم رأوا أحق الناس بها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حيث أنه يريد الثأر لدم الإمام المظلوم صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته للمسلمين الذي أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة المشهورة لأخذ الثأر عنه يوم الحديبية وسميت فيما بعد هذه البيعة بيعة الرضوان حيث أنزل الله رضاه لكل من بايع لأجله[٣].

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ص ٢٥٣- ٢٥٩ ط بيروت

(٢) كما استشهد علي رضي الله عنه على أحقيتها له إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضى فإن خرج منهم بطعن أوبدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أتى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى(نهج البلاغة ص٣٦٧)

(٣) بقوله جل وعلا ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

وكذلك أطلقت هذه اللفظة على حزب سياسي موحد لبني علي، وبني العباس بتركيب شيعة آل محمد مقابل شيعة بني أمية، ولم يكن إطلاقها إلا لبيان رأي سياسي في من تولى الحكم وفي من يحق أن يتولاه وقد صرح بذلك شيعي مشهور ناقلًا عن كتاب الزينة للسجستاني:

ثم بعد مقتل عثمان وقيام معاوية وأتباعه في وجه علي بن أبي طالب وإظهاره الطلب بدم عثمان واستمالته عددًا عظيمًا من المسلمين إلى ذلك صار أتباعه يعرفون بالعثمانية، وصار أبتاع علي يعرفون بالعلوية مع بقاء إطلاق اسم الشيعة عليهم واستمر ذلك مدة ملك بني أمية[1].

ونقل أيضًا من نقيب الشيعة بحلب:

كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيعة، وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره ويقال: شايعه كما يقال والاه من الولي والمشايعة، وكأن الشيعة لما اتبعوا هؤلاء القوم واعتقدوا فيهم ما اعتقدوا سموا بهذا الاسم لأنهم صاروا أعوانًا لهم وأنصارا وأتباعا، فأما من قبل حين أفضت الخلافة من بني هاشم إلى بني أمية وتسلمها معاوية بن صخر من الحسن بن علي وتلقفها من بني أمية ومالوا إلى بني هاشم وكان بنوعلي وبنوعباس يومئذ في هذا شرع فلما انضموا إليهم واعتقدوا أنهم أحق بالخلافة من بني أمية وبذلوا لهم النصرة والموالاة والمشايعة سموشيعة آل محمد ولم يكن إذ ذاك بين بني علي وبني العباس افتراق في رأي ولا مذهب فلما ملك بنوالعباس وتسلمها سفاحهم من بني أمية نزغ الشيطان بينهم وبين بني علي فبدا منهم في حق بني علي ما بدا فنفر منهم فرقة من الشيعة[2].

وقد كررنا لفظ السياسة حيث نقصد من ورائها أنه لم يكن بين القوم خلاف ديني يرجع إلى الكفر والإسلام كما أقر بذلك سيدنا علي رضي الله عنه حيث قال مخاطبًا جنده عن

---

(١) أعيان الشيعة لمحسن الأمين / الجزء الأول القسم الأول ص ١٢.

(٢) غاية الإختصار في أخبار بيوتات العلوية المحفوظة من الغبار لسيد تاج الدين بن حمزة الحسيني نقيب حلب.

معاوية وعساكره.

أوصيكم عباد الله تقوى الله فإنها خير ما تواصى به العباد به وخير عواقب الأمور عند الله وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة[١].

هذا وقد زاد علي رضي الله عنه المسألة وضوحًا وبيانًا في كتاب له كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين ويبين فيه حكم من ناضلوه وقاتلوه وموفقه منهم:

وكان بدء أمرنا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد وديننا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء[٢].

ولأجل ذلك منع أصحابه من سب أهل الشام وأنصار معاوية وشتمهم إياهم أيام حربهم بصفين:

إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لووصفتهم أعمالهم وذكرتهم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إياهم «اللهم احقن دمائنا ودمائهم وأصلح ذات بيننا وبينهم[٣].

ويؤيد ذلك حديث شيعي مشهور رواه الكليني في صحيحه (الكافي) عن جعفر ابن محمد الباقر ـ الإمام السادس المعصوم حسب زعم الشيعة ـ أنه قال: ينادي مناد من السماء أول النهار إلا إن عليًا صلوات الله عليه وشيعته هم الفائزون قال: وينادي مناد آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون[٤].

ومن طريف ما ذكرنا أن أبا العالية وهوتابعي مشهور أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهوشاب ولكنه لم يسلم إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإن روى عنه أبوخلدة أنه قال: قال أبوالعالية: لما كان زمان علي

(١) نهج البلاغة ص ٣٦٧ ط بيروت.

(٢) المصدر السابق ٤٤٨.

(٣) المصدر السابق ٣٢٣.

(٤) الكافي في الفروع ج ٨ ص ٢٠٩.

ومعاوية: وإني لشاب، القتال أحب إلي من الطعام الطيب، فجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم فإذا صفان ما يرى طرفاهما إذا كبر هؤلاء وكبر هؤلاء وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء فراجعت نفسي فقلت: أي الفريقين أنزله كافرًا؟ ومن أكرهني على هذا؟ قال: فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم(١).

ولا ننكر أنه كان هناك أناس تأثروا بدسائس يهودية وأفكار مدسوسة وخرجوا عن الجادة المستقيمة وأعطوا هذا الخلاف صبغة دينية أمثال السبأيين وغيرهم ممن وقعوا في حبائل اليهودية المبغضة للإسلام وهم الذين كانوا يؤججون نار الحرب كلما خبت نيرانها كما سنفصل القول فيما بعد إن شاء الله ولكن عامة الناس كانوا على منأى عنها.

فهذه هي بداية استعمال هذه اللفظة ثم اختص بكل من يوالي عليًا وأولاده ويعتقد الإعتقادات المخصوصة والمستقاة من دسائس عبد الله بن سبأ اليهودي وغيره من الذين أرادوا هدم عمارة الإسلام وكيانه وتشويه عقائده وتعليماته كما قال ابن الأثير في نهايته:

وأصل الشيعة الفرقة من الناس وتقع على الواحد والاثنين والجمع والذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى عليًّا رضي الله عنه وأهل بيته حتى صار لهم اسمًا خاصًا فإذا قيل من الشيعة عرف أنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم وتجمع الشيعة علي شيع وأصلها من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة (٢).

وأما ادعاء من يدعي بأن هذه اللفظة كانت شائعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما كان التشيع موجودًا في عصره والشيعة موجودون في زمنه فلا ينهض به دليل ولا يقوم به برهان كما قال محمد الحسين في (أصل الشيعة وأصولها).

إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام ـ هونفس صاحب الشريعة ـ يعني

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج ٤ ص ٢١٠ طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١١٤.
(٢) النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٤.

أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنبًا إلى جنب وسواء بسواء ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته[١] ثم أثمرت بعد وفاته[٢].

وبمثل ذلك القول قال الآخر: «إن التشيع ظهر في أيام نبي الإسلام الأقدس الذي كان يغذي بأقواله عقيدة التشيع لعلي عليه السلام وأهل بيته ويمكنها في أذهان المسلمين ويأمر بها في مواطن كثيرة[٣].

ولم يظن المظفري الشيعي هذا كافيًا فقال:

إن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه صارخًا بكلمة لا إله إلا الله في شعاب مكة وجبالها... فكانت الدعوة للتشيع لأبي الحسن عليه السلام من صاحب الرسالة تمشي منه جنبًا لجنب مع الدعوة للشهادتين[٤].

ولا يخفى ما فيه من المجازفة بالقول والغلو لأن معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدع إلى الإسلام وإلى وحدانية الله عز وجل والإقرار برسالته وطاعته وإلى الإتحاد والإتفاق والتآلف والمحبة والمودة بل كان يدعو إلى التحزب والتفرق والتشيع

---

(١) واستشهد على ذلك بروايات واهية موضوعة ومكذوبة على رسول الله ﷺ ولا تصح منها ولا رواية واحدة مثل (أن عليًا وشيعتهم لهم الفائزون) وعلى ذلك قال ابن الحديد الشيعي الغالي: أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا في بدء الأمر أحاديث مختلفة في فضائل أئمتهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم (شرح نهج البلاغة ج١ ص ٧٨٣).

(٢) ومن أعجب العجائب أن رجلًا كهذا يكذب بكل وقاحة ولا يستحي حيث ينسب رواية باطلة موضوعة ألا وهي رواية الطير في الصحيحين ولا وجود لها فيهما:

«وكذلك من عد عددًا كبيرًا من أصحاب النبي ﷺ في حياته وأطلق عليهم بأنهم كانوا شيعة علي مثل محسن الأمين ومحمد حسين الزين وآل كاشف الغطاء وغيرهم فلا ندري بماذا يجيبون عن أحاديث كثيرة مروية في صحاحهم التي تحكم على ارتداد جميع أصحاب رسول الله ﷺ إلا الثلاثة سلمان وأبوذر والمقداد «انظر تفصيل ذلك في كتابنا الشيعة والسنة» فهل هؤلاء كانوا كفرة مع كونهم شيعة علي ثم وكيف قبل سلمان إمارة من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ «حياة القلوب للمجلسي ج٢ص٧٨٠».

وكان أحد القادة الذين أرسلهم الفاروق لفتح المدائن (ابن كثير ج٧ص٦٧).

(٣) أصل الشيعة وأصولها ص ٨٧، الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين ص٢٩.

(٤) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري ص ٨، ٩ ط قم.

لعلي دون غيره كما أنه حسب دعوى المظفري كان يجعل عليًا شريكًا له في نبوته ورسالته مع أن كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي أنزله الرحمن وضمن حفظه قرآنه وبيانه خال من كل هذا[١] بل ويعكس ذلك أنه مليء بالدعوة إلى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاعتصام بحبل الله وحده والتمسك بالقرآن والسنة والتجنب لما سواهما كما أمر المسلمين بالإتفاق والإتحاد والتسمي باسم الإسلام والمسلمين وكذلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] لا تشتمل ولا تصرح إلا بهذا كله لا غير فلقد قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾

---

(١) ولعل هذا من أهم دواعي إنكار القرآن والإعتقاد فيه بالتغيير والتحريف والنقصان من قبل الشيعة لأنهم لا يجدونه مؤازرًا لهم ومناصرًا بل كل ما فيه يخالف التشيع وعقائدهم بأصولها وفروعها ويفند مزاعمهم ويسفه عقولهم وآراءهم وأفكارهم. فانظر لتفصيل ذلك ومعرفته كتابنا (الشيعة والسنة) و(الشيعة والقرآن).

(٢) والعجب كل العجب أن الشيعة الذين ينكرون الأحاديث الصحاح لرسول الله ﷺ الثابتة عنه لأن رواة هذه الأحاديث وحملتها هم أصحاب رسول الله ﷺ وكلهم ارتدوا - عياذا بالله حسب زعمهم - يثقون بروايات هؤلاء ومروياتهم.

ولا ندري كيف أن الشيعة يتمسكون بالروايات الموضوعة الباطلة والأحاديث الواهية المكذوبة على رسول الله ﷺ؟ لأنه اختلق هذه الروايات واخترعها رجال منهم أووضعها رواتهم والدعاة إلى أباطيلهم وأضاليلهم.

وقلما تجد الشيعة يتمسكون بحديث صحيح أويعتقدون بل كل بضاعتهم الموضوعات أوالأساطير والقصص.

[النساء: ٦٥]، وقال جلا وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأخيرًا أخبر الكون ومن في الكون بأنه لم يرسل نبيه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين إلا بما أرسل به الرسل والأنبياء من قبل حيث أمره أن يقول: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩]، وكما قال: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

ولقد بيّن جلا وعلا سبحانه وتعالى مجملًا بما أرسل الرسل من قبله حيث قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

كما فصل في مواضع عديدة من القرآن بذكر كل واحد منهم برسالته وبمثل ذلك تمامًا وردت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابتة.

وأما القوم فهم على خلاف ما بينه الرب جل وعلا وبينه رسوله العظيم عليه الصلاة والسلام، حيث يزعمون أنه لم يرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا للدعوة إلى التشيع والتفرق وإلى الإشراك في ذات الله وصفاته وإشراكه عليًا وأولاده في النبوة والرسالة والإطاعة، ثم يسردون لإثبات ذلك روايات كلها باطلة وموضوعة رواية ودراية رواية حيث إن الرواة الذين رووا تلك الأحاديث شيعة ضالون، ووضاعون

كذابون، ولم ترد هذه الروايات في كتب موثوقة معتمدة ودراية حيث تعارض القرآن ونصوصه كما تخالف العقل، لأن العقل يقتضي أن لا يكون الشرائع مقصودها ومهمتها الدعوة إلى الحب لأشخاص والولاية لهم وبسبب هذه الولاية دخولهم في الجنة ونجاتهم من النار كما أن الآيات القرآنية تنفي ذلك نفي باتًا، حيث لم يجعل الحب وحتى حب الله كافيًا للفوز والنجاح في الآخرة حيث قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وما الإتباع إلا الإيمان بالله والعمل الصالح حسب أوامر الله ونبيه صلى الله عليه وسلم والإجتناب عن نواهي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: ١١].

ولقد اضطربت آراء القوم أنفسهم في بدء نشأة التشيع وتكوينه حيث قال إمام الشيعة في الفرق النوبختي أن نشأته لم تكن إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كتب: «قبض رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة وهوابن ثلاث وستين سنة وكانت نبوته عليه السلام ثلاثًا وعشرين سنة وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب، فافترقت الأمة ثلاث فرق (فرقة منها) سميت الشيعة وهم «شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلها»، وفرقة منهم «ادعت الإمرة والسلطان وهم والأنصار ودعوا إلى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجي»، وفرقة «مالت إلى بيعة أبي بكر بن أبي قحافة» وتأولت فيه أن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على خليفة بعينة وأنه جعل الأمر إلى الأمة تختار لأنفسها من رضيته واعتقل قوم منهم برواية ذكروها أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره في ليلته التي توفي فيها بالصلاة بأصحابه فجعلوا ذلك الدليل على استحقاقه إياه وقالوا رضيه النبي صلى الله عليه وآله لأمر ديننا ورضيناه لأمر دنيانا وأوجبوا له الخلافة بذلك فاختصمت هذه الفرقة وفرقة الأنصار

وصاروا إلى سقيفة بني ساعدة ومعهم أبوبكر وعمر وأبوعبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة الثقفي وقد دعت الأنصار إلى العقد لسعد بن عبادة الخزرجي والإستحقاق للأمر والسلطان فتنازعوا هم والأنصار في ذلك حتى قالوا منا أمير ومنكم أمير فاحتجت هذه الفرقة عليهم بأن النبي عليه السلام قال: الأئمة من قريش: وقال بضعهم أنه قال: الإمامة لا تصلح إلا في قريش: فرجعت الأنصار ومن تابعهم إلى أمر أبي بكر غير نفر يسير مع سعد بن عبادة ومن اتبعه من أهل بيته فإنه لم يدخل في بيعته حتى خرج إلى الشام مراغمًا لأبي بكر وعمر فقتل هناك بحوران قتله الروم وقال آخرون: قتلته الجن فاحتجوا بالشعر المعروف وفي روايتهم أن الجن قالت:

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

وهذا قول فيه بعض النظر لأنه ليس في التعارف أن الجن ترمي بني آدم بالسهام فتقتلهم فصار مع أبي بكر السواد الأعظم والجمهور الأكثر فلبثوا معه ومع عمر مجتمعين عليهما راضين بهما[1].

وأما ابن النديم الشيعي[2] فيرى أن تكوين الشيعة لم يكن إلا يوم وقعة الجمل حيث قال:

ولما خالف طلحة والزبير[3] علي رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله تسمى من اتبعه على ذلك باسم الشيعة.

ومنهم من قال: اشتهر اسم الشيعة يوم صفين[4].

وبمثل ذلك القول قال ابن حمزة وأبوحاتم وغيرهما من الشيعة وهذا يؤيد ما ذهبنا

---

(١) فرق الشيعة النوبختي ص ٢٣-٢٤.

٢)) هوابن الفرج محمد بن إسحاق النديم الكاتب الفاضل الخير الماهر المتبحر الشيعي الإمامي مصنف كتاب الفهرست المولود سنة ٢٩٧هـ المتوفى سنة ٣٨٥هـ «الكُنى والألقاب للقمي ج١ص ٤٢٥-٤٢٦».

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٩.

(٤) روضات الجنات للخوانساري ص٨٨.

إليه وبمثل هذا القول قال ابن حزم في (الفصل)[١] من المتقدمين وأحمد أمين[٢] وغيره الكثيرون الكثيرون من المتأخرين.

ويقول شيعي معاصر: إن استقلال الإصطلاح الدال على التشيع إنما كان بعد مقتل الحسين حيث إن التشيع أصبح كيانًا مميزًا له طابع خاص[٣].

ولأجل ذلك اضطر محسن الأمين إلى أن يقول:

سواء كان إطلاق هذا الاسم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أوبعد الجمل فالقول بتفضيل علي عليه السلام وموالاته الذي هومعنى التشيع كان موجودًا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم واستمر بعده إلى اليوم[٤].

والمظفري أن يقول:

فكان التجاهر بالتشيع أيام عثمان[٥].

وهوالصحيح [لأن الأسماء لا توجد قبل المسميات] ولا الأحزاب قبل الخلافات فلما وجد الخلاف تحزب لكل رأي حزب وتعصبوا جماعات وفرقًا فآنذاك وجدت الجماعات ووجدت لها الأسماء، ولم يكن هناك خلاف بين المسلمين ولم يتعصب له أشخاص قبل مقتل عثمان ذي النورين رضي الله عنه وقبل النتائج التي نتجت من قتله وبعد تولية علي رضي الله عنه إمرة المؤمنين وخلافة المسلمين وعندئذ نشأ الخلاف فمنهم من رأى رأي علي رضي الله عنه وأنصاره، ومنهم ومن رأى رأي طلحة والزبير ثم رأي معاوية وأتباعه، وهناك تحزب حزبان سياسيان كبيران بين المسلمين شيعة علي، وشيعة معاوية، وكل واحد من هؤلاء يرى رأيه في تولية الحكم وتدبير الأمور ودينهما واحد وعقائدهم واحدة متفقة كما بيناه آنفًا.

نعم كان هناك خلاف قبل شهادة عثمان رضي الله عنه والذي جر إلى قتل عثمان ولكنه لم

١)) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص٧٩.

(٢) فجر الإسلام ص٢٦٦ ط٨.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشيبي ص ٢٣.

(٤) أعيان الشيعة القسم الأول الجزء الأول ص ١٣.

(٥) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري ص١٥.

يكن إلا بين قادة اليهود والمخدوعين المغترين الواقعين في حبائل الدسائس اليهودية الأثيمة، وبين المسلمين وإمامهم كما سيأتي بيانه في باب مستقل، كما أنه وقعت الخلافات البسيطة الطفيفة ولكنها لم تبقى إلا للحظات لرجوع الفريق الثاني إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالًا لقول الله عز وجل ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝﴾ [النساء: ٥٩]

كالخلاف الذي وقع بين الأنصار والمهاجرين يوم السقيفة حيث رجع الأنصار عن رأيهم إلى رأي المهاجرين وبايعوا أبا بكر إتفاقًا وإتحادا ولم يكن هناك فريق ثالث كما يزعمه الشيعة ولم يقدم اسم رجل ثالث للخلافة والإمارة غير سعد بن عبادة وأبي بكر، وعلى ذلك لم يكن هناك خلاف ولا نزاع ولا [زعماء ولا قادة] لهذه الآراء والأحزاب كما شهد بذلك علي رضي الله عنه حينما دخل عليه عمروبن الحمق، وحجر بن عدي، وحبة العرني، والحارث الأعور، وعبد الله بن سبأ بعد ما افتتحت مصر وهومغموم حزين كما رواه عبد الرحمن بن جُندب عن أبيه جُندب فقالوا له:

«بين لنا ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال لهم علي عليه السلام: وهل فزعتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت؟ أنا مخرج إليكم كتابًا أخبركم فيه عما سألتم وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيعتم فاقرؤوه على شيعتي وكونوا على الحق أعوانا وهذه نسخة الكتاب من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين: السلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد إن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم وآله نذيرًا للعالمين وأمينًا على التنزيل وشهيدًا على هذه الأمة، وأنتم يا معشر العرب يومئذ على شر دين وفي شر دار منيخون على حجارة خشن وحيات صم وشوك مبثوث في البلاد تشربون الماء الخبيث وتأكلون الطعام الجشيب وتسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم [بينكم] بالباطل سبلكم خائفة والأصنام فيكم منصوبة [والآثام

بكم معصوبة] ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون فمن الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله فبعثه إليكم رسولًا من أنفسكم، وقال فيما أنزله من كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، فكان الرسول إليكم من أنفسكم بلسانكم وكنتم أول المؤمنين تعرفون وجهه وشيعته وعمارته، فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دمائكم وصلاح ذات البين وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وأن توفوا بالعهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وأمركم أن تعاطفوا وتباروا وتباذلوا وتراحموا ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتقاذف وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وتقدم إليكم فيما أنزل عليكم: ألا تزنوا ولا تربوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلمًا وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ولا تعثوا في الأرض مفسدين ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكل خير يدني إلى الجنة ويباعد من النار أمركم به وكل شر يباعد من الجنة ويدني من النار نهاكم عنه.

فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر بعده فوا الله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عني من بعدي، فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر وإجفالهم إليه ليبايعوه، فأمسكت يدي ورأيت أني أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس ممن تولى الأمر من بعده فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمد صلى الله عليه وآله وإبراهيم عليه السلام فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلمًا وهدمًا يكون مصيبته أعظم عليّ من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتقشع السحاب، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته

ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت «كلمة الله هي العليا» ولوكره الكافرون.

فتولى أبوبكر تلك الأمور فسير وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحًا وأطعته فيما أطاع الله جاهدًا(١).

ومثل ذلك في «مقالات الإسلاميين» للأشعري:

وأول ما حدث من الإختلاف بين المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم إختلافهم في الإمامة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبضه الله عز وجل ونقله إلى جنته ودار كرامته اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضوان الله عليهم [فـ] ـقصدا نحومجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين فأعلمهم أبوبكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم الإمامة في قريش فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار، منا أمير ومنكم أمير، وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه، وقال: أنا المحكك وعذيقها المرجب من يبارزني بعد أن قام قيس بن سعد بنصرة أبيه سعد بن عبادة حتى قال عمر بن الخطاب في شأنه ما قال، ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه واجتمعوا على إمامته واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته فقاتل أهل الردة على إرتدادهم كما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم فأظهره الله عز وجل عليهم أجمعين وأوضح الله به الحق المبين وكان الإختلاف بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في الإمامة، ولم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر رضوان الله عليه وأيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان رضوان الله عليهم وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالًا كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه اختلافًا إلى

---

(١) الغارات للثقفي ج١ص٣٠٢ –٣٠٧ وورد مثل ذلك في شرح نهج البلاغة لابن الحديد الشيعي والميثم البحراني الشيعي وفي ناسخ التواريخ وفي مجمع البحار للمجلسي وغيرها ومن أراد التفصيل في ذلك فليرجع إلى كتابنا (الشيعة وأهل البيت).

اليوم، ثم قتل رضوان الله عليه وكانوا في قتله مختلفين، فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا: كان رضوان الله عليه مصيبًا في أفعاله قتله قاتلوه ظلمًا وعدوانًا، وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم.

ثم بُويع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فاختلف الناس في أمره فمن بين منكر لإمامته ومن بين قاعد عنه ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم.

ثم حدث الإختلاف في أيام علي في أمر طلحة والزبير رضوان الله عليهم وحربهما إياه وفي قتال معاوية إياه وصار علي ومعاوية إلى صفين[1].

ومثل الخلافات الأخرى كالخلاف في موضع دفن الرسول، وقتال مانعي الزكاة وغيرها، فلم تكد تظهر هذه الخلافات حتى تلاشت بعد عرض الأمور على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجوع إليهما.

ولكن الخلاف الذي لم ينحل والنزاع الذي لم ينته كان هوذلك الإختلاف الذي شتت شمل المسلمين وفرق جمعهم وجعلهم فريقين كبيرين يرأس الأول منهما علي رضي الله عنه والثاني معاوية رضي الله عنه، ونُكرر القول بأن هذا الخلاف لم يجر واحدًا منهما إلى تكوين مذهب جديد وإعتناق عقائد جديدة ولا إلى إنكار ما ثبت في كتاب الله أوفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الإنحراف عن الجادة المستقيمة التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده أبوبكر وعمر وعثمان الخلفاء الراشدون المهديون من بعد كما لم يكن هناك مباغضة للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين قضوا نحبهم قبل كما اختلقها شيعة اليوم، ولا إثارة إلى الضغائن القبلية والمبنية على الحسب والنسب، وخاصة لم يكن لأنصار علي رضي الله عنه، الخلص منهم، عقائد الشيعة اليوم، المنطوية على بغض السلف الصالح وعلى الأخص أبوبكر وعمر وعثمان وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، والمبنية على إنكار القرآن

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ج١ ص٣٩.

الموجود بأيدي الناس، ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي أخذوها عن عبدالله بن سبأ وتوارثوها عن اليهودية البغيضة كما سنبرهن ذلك قريبًا إن شاء الله، بل كانوا محبين لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم أبوبكر وعمر وعثمان وأزواج النبي الطاهرات المطهرات، والمقتفين آثارهم والمقتدين هداهم، وعلى رأسهم علي رضي الله عنه أمير المؤمنين وخليفة رسول الله الأمين الراشد الرابع حيث كان يحبهم حبًّا جمًا ويظهر موالاته لهم ويعاند كل من يعارضهم، ويعاقب كل من يتكلم فيهم، كما كان يحارب بكل قوة وشدة تسرب أفكار السبئية واليهودية في أتباعه وأنصاره وشيعته، ويطرد كل من يشك فيه بتسممه من هذه العقائد المسمومة.

فلقد ذكر الشيعة أنفسهم بأن عليًا رضي الله عنه سمى أبناءه بأسماء الخلفاء الراشدين السابقين الثلاثة، بأبي بكر وعمر وعثمان(١) وابنه الحسين كذلك سمى أبناءه بأبي بكر وعمر(٢) وكذلك الآخرون من أبناء علي وأبناء الحسين سموأبناءهم بأسماء هؤلاء الأخيار البررة تحببًا إليهم وتبركًا بهم(٣).

وأما الإقتداء والإتباع فلقد ذكرنا عنه كثيرًا في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) ولا نريد تكرار ما قلناه هناك فليرجع إلى ذلك، ولكنا نثبت هاهنا عبارة عن ألد أعداء السنة وأكبر السبابين اللعانين الشيعة، عن الملا باقر المجلسي الشيعي الإيراني الذي يلقب بخاتمة المحدثين، والذي ألف أكبر مجموعة في الحديث باسم (بحار الأنوار) فهويكتب في كتابه (جلاء العيون في حياة ومصائب أربعة عشر معصومًا) أن حسين بن علي بن أبي طالب صالح معاوية بن أبي سفيان على أنه يعمل بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله

---

(١) أعلام الورى للطبرسي ص ٢٠٣، الإرشاد للمفيد ص ١٨٦، تاريخ اليعقوبي ج ٢ص ١١٩، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصبهاني ص ١٤٢، كشف الغمة للأربلي ج ٢ص٦٤، جلاء العيون للمجلسي ص٥٨٢.

(٢) أعلام الورى للطبرسي ص ٢١٣، تاريخ اليعقوبي ج٣ص٢٢٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصبهاني ص٧٨ص١١٩، منتهى الآمال ج١ص٢٤٠.

(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي الشيعي ص٢٦٣، جلاء العيون للمجلسي ص٥٨٢.

صلى الله عليه وسلم (سيرة الخلفاء الراشدين)[(١)] وأن لا يعين أحدًا بعده وأن يؤمِّن الناس أينما كانوا في الشام والعراق والحجاز واليمن وأن يؤمِّن شيعة علي بن أبي طالب وأصحابه في أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم وأخذ على هذه الشروط العهود المغلظة باليمين[(٢)].

فجعل الحسن بن علي ـ وهوالإمام الثاني عند الشيعة ـ أحد شروط الصلح مع معاوية أن يكون متبعًا لسيرة الخلفاء الراشدين، ولم يكن هؤلاء إلا أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا، كما أنه لم يجعل العمل بسيرة هؤلاء شرطًا من أهم الشروط إلا لأنه كان يحسن فيهم الظن ويعتقد فيهم الخير ويؤمن بتقواهم وطهارتهم زيادة على إيمانهم وإسلامهم الصحيح الخالص.

هذا ومثل هذا كثير لمن تتبع أخبار علي وأولاده[(٣)] رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين.

ونريد أن نضيف إلى ذلك أن الخلاف الذي وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما لم يؤد إلى التكفير والتفسيق فيما بينهم ولا إلى المقاطعة الدائمة والمباغضة الأبدية والهجران والقطيعة كما تصوره القوم في العصور المتأخرة وكما وضعت الأساطير والقصص، بل كل واحد من الحزبين كان يعتقد بإيمان الآخر وإسلامه ويحب الإصلاح بينهما ويسعى إلى التوافق والتصالح، وعلى ذلك صالح الحسن بن علي معاوية رضي الله عنهم أجمعين وبايعه، ولم يكن يظنه كافرًا خارجًا عن الإسلام لما اتفق معه ولم يصالحه ولم يبايعه ولم يأمر أخاه الحسين ولا قائد جيشه قيس بن سعد أن يبايعاه كما ثبت ذلك في كُتب الشيعة وهذه هي ألفاظ الكشي:

جبرائيل بن أحمد وأبوإسحاق حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالوا: حدثنا محمد بن عبد الحميد العطار الكوفي عن يونس بن يعقوب عن فضل غلام محمد بن راشد قال:

(١) فليلاحظ لفظ الخلفاء الراشدين لأن الذين أعمى الله أبصارهم لا يستحيون من تأويلات سخيفة ركيكة كلما عرض عليهم دليل أوبرهان مثبت في كتبهم وعن أعيانهم.

(٢) جلاء العيون للمجلسي ج١ ص٢٩٣ ط طهران ١٣٩٨هـ، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ص١٦٣ ط طهران، منتهى الآمال للعباس القمي ص٣١٤.

(٣) ونبذة غير يسيرة موجودة في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) من أراد ذلك فليرجع إليه.

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن معاوية كتب إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن أقدم الأنصاري وقدموا الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال: يا قيس قم فبايع، فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال يا قيس إنه إمامي ـ يعني الحسن عليه السلام[(١)].

وقبل ذلك أبوه علي بن أبي طالب ـ وهوالإمام المعصوم الأول عند الشيعة ـ خاطب معاوية بقوله في رسالته التي أرسلها جوابا له ـ حسب زعم القوم: «لم يمنعنا قديم عزنا وعادي طولنا على قومن أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء»[(٢)].

وكذلك لوكان هناك مسألة الكفر والنفاق لما تزوجت رملة بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما من معاوية بن مروان بن الحكم[(٣)].

و(رملة) بنت علي كانت أم سعيد [بنت] عروة بن مسعود الثقفي[(٤)]وابنته الثانية خديجة كانت متزوجة من عبد الرحمن بن عامر الأموي[(٥)].

وكان أبوه عامر بن كريز الأموي أميرًا على البصرة من قبل معاوية وشريكًا في حرب الجمل مع طلحة والزبير ضد علي «رضوان الله عليهم جميعًا» وأن خديجة بنت علي كانت من أم ولد له كما ذكرها الطبرسي في الأعلام[(٦)]، والمفيد في الإرشاد[(٧)].

كما أن إحدى بناته تزوجت من عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي[(٨)].

وكما أن بنات الحسن وبنات الحسين زُوجن من الأمويين وبنات الأمويين زُوجن

---

(١) رجال الكشي ص١٠٢، أيضًا منتهى الآمال ص٣١٦، وجلاء العيون للمجلسي ج١ص٣٩٥.
(٢) نهج البلاغة تحقيق صبحي صالح ص ٣٨٦، ٣٨٧ ط بيروت.
(٣) نسب قريش ص٤٥، جمهرة أنساب العرب ص٨٧.
(٤) الإرشاد للمفيد ص١٨٦، إعلام الورى للطبرسي ص٢٠٣.
(٥) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٦٨.
(٦) ص٢٠٣.
(٧) ص١٨٦.
(٨) البداية والنهاية ج ٩ص٦٩ ط بيروت.

من أبناء الهاشميين ومن أولاد علي بالأخص. ولقد ذكرنا هذه المصاهرات بين بني أمية وبين بني هاشم في كتاب (الشيعة وأهل البيت) ومن أراد التفصيل فليرجع إلى ذلك ولكن نذكر هاهنا واحدة من بنات الحسن وواحدة من بنات الحسين. فلقد تزوجت سكينة بنت الحسين وحفيدة علي من حفيد عثمان بن عفان، زيد بن عمروبن عثمان وزيد بن عمروبن عثمان هذا هوالذي كانت عنده سكينة بنت الحسين فهلك عنها فورثت عنه(١).

وكذلك نفيسة بنت زيد بن حسن بن علي تزوجت من الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان، قد ذكر هذا الزواج شيعي نسابة مشهور أيضًا في كتابه وما أقبحه في التعبير:

«وكان لزيد بن الحسن بن علي ابنة اسمها نفيسة خرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان فولدت له منه وماتت بمصر.... وكان زيد يفد إلى الوليد بن عبد الملك ويقعده على سريره ويكرمه لمكان ابنته ودفع له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة (٢)».

والجدير بالذكر أن زيد بن الحسن هذا كان ممن حضر كربلاء مع عمه الحسين رضي الله عنه، كما أن حفيدة الحسن بن علي: زينب بنت الحسن المثنى أيضًا كان متزوجة من الوليد بن عبد الملك الأموي(٣).

وأبوها الحسن بن المثنى أيضًا ممن حضر كربلاء مع عمه وصهره الحسين وجرح جرحًا شديدًا. ونلفت الأنظار إلى أن الستة من حفيدات الحسن من أبناء مختلفين كن متزوجات من الأمويين من قادتهم وزعمائهم، [وهذه المصاهرات عدد منها أصحاب الأنساب] أكثر من عشرين مصاهرة [وكلها حصلت بعد الخلاف الذي] وقع بين علي ومعاوية وبعد حروب الجمل وصفين(٤) وكذلك تزوج كثير من الهاشميين من بنات

(١) نسب قريش للزبيري ج٤ص١٢٠، المعارف لابن قتيبة ص٩٤، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ج١ص٨٦، طبقات ابن سعد ج٦ص٣٤٩.

(٢) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ص٧٠، طبقات ابن سعد ج٥ص٢٣٤.

(٣) جمهرة أنساب العرب.

(٤) ولا ندري من أين جاء الشيعة بهذه الإعتقادات أن محاربة علي كفر، والمحارب معه كافر، فهؤلاء أولاده=

الأمويين ومن الأسرة الحاكمة بالذات كما كان بينهم الصلات والهبات ولقاء وزيارات وخاصة بين أئمة الإثني عشرية وعوائلهم حيث لم يقم واحد منهم [بمحاربة الأمويين] ومنازعة ملكهم غير الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأما حروب والده العظيم علي بن أبي طالب مع معاوية فمشهورة معروفة، كما أن مصالحة أخيه الأكبر مع معاوية أمر مشهور لا يستطيع إنكاره أحد، وأما ما روي عن ابن الحسين زين العابدين علي، والراوي هوبخاري القوم الكليني، [حيث] يروي في صحيحه الذي قال فيه محدث الشيعة النوري الطبرسي «هوأحد الكتب الأربعة التي عليها تدور رحى الفرقة الإمامية. وكتاب الكافي بينها كالشمس بين نجوم السماء.... وإذا تأمل فيها المنصف يستغني عن ملاحظة حال آحاد رجال سند الأحاديث المودعة فيه وتورثه الوثوق ويحصل له الإطمئنان بصدورها وثبوتها وصحتها»[(١)].

أن علي بن الحسين قال ليزيد بن معاوية: «أنا عبد مكره، فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع»[(٢)].

وكذلك كان البقية ممن أدركوا بني أمية، وعلى منوالهم من أدركوا الدور العباسي اللهم إلا الذين حاربوا ونازعوا الملك فلم يكن حظهم حليفهم حيث حُوربوا ممن حاربوا وقتلوا، كما لم يكن معاملة الشيعة وخاصة الإثني عشرية مع أئمتهم طيبة حيث رفضوهم وكفّروهم، فقوتلوا وحوربوا من جانب (الأعداء) وكفروا ورفضوا من قبل (الأحباء) بدعوى: من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهوكافر[(٣)].

وعن الحسين بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك: ويوم ترى الذين كذبوا على الله؟ قال: كل من زعم أنه إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان فاطميًا علويًا.

وحصيلة البحث أن التشيع الأول لم يكن مدلوله العقائد المخصوصة والأفكار

= وأهل بيته يكذبون هذه الأقاويل ويفندون هذه المزاعم.

(١) مستدرك الوسائل للطبرسي ج٣ص٥٤٦ ط مكتبة دار الخلافة طهران ١٣٢١هـ.

(٢) كتاب الروضة من الكافي ج٨ ص ٢٣٥.

(٣) الكافي في الأصول ج١ ص٣٧٣.

المدسوسة، كما لم تكن الشيعة الأولى إلا حزبًا سياسيًا يرى رأي علي رضي الله عنه دون معاوية رضي الله عنه في عصر علي. وأما بعد استشهاده وتنازل الحسن عن الخلافة فكانوا مطاوعين لمعاوية أيضًا، مبايعين له، كما حصل مع إمامهم الحسن وأخيه الحسين وقائد عساكره قيس بن سعد، ولم يكن بينهم خلاف ديني ولا نزاع قبلي ولا عصبية الحسب والنسب، وكانوا يفدون على الحكام ويصلّون خلفهم، كما كان الحسن والحسين هما ابنا علي وفاطمة وسبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدان على معاوية.

«فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكرامًا زائدًا، ويقول لهما: مرحبًا وأهلًا، ويعطيهما عطاء جزيلا وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي، فقال الحسين: والله لن تعطي أنت لا وأحد قبلك ولا بعدك رجلا أفضل منا. ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه(١)».

وكذلك ذكر المجلسي عن جعفر بن الباقر ـ الإمام السادس عند الشيعة ـ أنه قال الإمام الحسن يومًا للإمام الحسين وعبد الله بن جعفر إن هدايا معاوية ستصل في أول يوم من الشهر القادم ولم يأت هذا اليوم إلا وقد وصلت الأموال من معاوية وكان الإمام الحسن بن علي [مدينًا بديون كثيرة فأداها] من ذلك المال وقسم الباقي بين أهله وشيعته، وأما الإمام الحسين فبعد أداء الديون قسم ماله إلى ثلاث حصص قسمًا لشيعته وخاصته وقسمين لأهله وعياله، وكذلك عبد الله بن جعفر(٢).

وكذلك ذكر الكليني أن مروان بن الحكم فرض لعلي بن الحسين مالًا كما فرض لشباب المدينة الآخرين.

استعمال معاوية مروان بن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش، ففرض لهم فقال علي بن الحسين عليهما السلام: فأتيته فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين، ففرض لي(٣).

(١) البداية والنهاية ج ٨ص١٥٠، ١٥١ ط بيروت.
(٢) جلاء العيون للمجلسي ص ٣٧٦.
(٣) الكافي في الفروع، كتاب العقيقة باب الأسماء والكنى ج٦ ص١٩.

وكذلك عم الحسين والأخ الأكبر لعلي رضي الله عنه، عقيل بن أبي طالب كان يفد على معاوية رضي الله عنه ويأخذ منه الهدايا والهبات ومرة «أعطاه مائة ألف درهم[١]».

وقد أقر بذلك ابن أبي الحديد الشيعي حيث كتب:

ومعاوية أول رجل في الأرض وهب ألف ألف، وابنه يزيد أول من ضاعفه، كان يجيز الحسن والحسين بن علي في كل عام لكل واحد منهما بألف ألف درهم، وكذلك كان يجيز عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر[٢].

وكذلك أبو مخنف الغالي:

وكان معاوية يبعث إليه (أي إلى الحسين) في كل سنة ألف ألف دينار سوى الهدايا من كل صنف[٣].

كما كانوا يصلون خلف الحكام وأمراء معاوية، وقد ذكر جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين «أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان ولا يعيدانها، ويعتدان بها[٤]».

وكان مروان أميرًا آنذاك على المدينة كما أن أبان بن عثمان أمير المدينة من قبل عبدالملك بن مروان الأموي قدم إلى الصلاة من قبل علي بن محمد بن علي المشهور بمحمد بن الحنفية حيث قال له أبوهاشم بن محمد بن علي:

نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ولولا ذاك ما قدمناك فتقدم فصلى عليه[٥].

كما صلى على ابن أخي علي عبد الله بن جعفر الطيار [٦].

وكما صلى أبوه على جدهم عم النبي صلى الله عليه وسلم وعم علي رضي الله عنه وعلى العباس بن عبد المطلب.

---

(١) الأمالي للطوسي ج٢ ص ٣٣٤ط النجف.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج٢ ص٨٢٣.

(٣) مقاتل أبي مخنف ص٧.

(٤) البداية والنهاية ج ٨ص٢٥٨ ط بيروت.

(٥) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٨٦.

(٦) الإستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٦٧، الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٢٨١، أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٥.

توفي العباس في يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، عن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان ودفن بالبقيع [١].

هذا ومثل هذا لكثير.

وبعد هذا العصر تطور التشيع وتغيرت الشيعة، وتأثر وتأثروا من أفكار يهودية ومجوسية ونصراني، وبعقائد مدخولة مدسوسة، نقمة على الحكام ومخدوعين التزويرات اليهودية والدسائس المجوسية، ومتأثرين من الذين تظاهروا بالإسلام تسترًا على مكايدهم الخبيثة وتدابيرهم الهدامة، ومن الإختلاط بالفرس والبابليين، ومن الموالي الكارهين للعرب، الحاكمين عليهم والفاتحين بلادهم، والآخذين زمام أمورهم.

والذي تولى كبر هذه العقائد والأفكار كان عبد الله بن سبأ مبعوث اليهود المتستر وراء اسم الإسلام، والمؤجج نار الفتنة، والنافخ فيها ضد أمير المؤمنين وخليفة المسلمين المنتخب بالإتفاق، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنتيه وابن عمته، الجواد الكريم، السخي ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، كما سنتحدث عنه في الباب الآتي مفصلًا وبالأدلة والبراهين إن شاء الله تعالى.

ولا شك أن كثيرًا من أتباعه ـ أي عبد الله بن سبأ ـ السبئيين والمجوس واليهود والمنافقين دخلوا في معسكر علي رضي الله عنه تحت ستار شيعة علي، كما دخل بعض منهم في معسكر معاوية رضي الله عنه ولكنهم لم يكونوا لا من شيعة علي ولا من شيعة معاوية، بل هم كانوا كتلة مستقلة وفئة باغية، لها أفكارها وعقائدها، ولها أغراضها وأهدافها، وهم الذين كانوا يسعون بالفساد ويضرمون نار الحرب كلما أراد الطرفان الصلح والإتحاد بينهما، ومنهم نشأت فتنة الخوارج الذين كفّروا عليًا وعثمان ومعاوية معًا، لأنه لم يكن همهم إسقاط خلافة عثمان ولا تحريض الناس عليه، بل كان كل ما يقصدون هو القضاء على دولة الإسلام وسد باب فتوحاتهم وغزواتهم، ولذلك عندما نجحوا بإيقاع الفتنة بين المسلمين وتأليبهم على خليفة رسول الله الراشد الثالث وتفريق كلمة المؤمنين والتشتيت بينهم، تألبوا على عليّ كما تألبوا عليه وهذا مما لا ينكره إلا مكابر أو مجادل بلا

(١) البداية والنهاية ج ٧ص ١٦٢، الإستيعاب ج ٣ ص ١٠٠.

حق وعلم وبصيرة.

ومما لا شك فيه أن الشيعة الأولى المخلصين كانوا من هؤلاء براء، كما كان إمامهم وقائدهم يتبرأ منهم ويطردهم ويقتلهم. نعم ولكن الشيعة ـ أي شيعة علي كان يغلب عليهم التخاذل والتكاسل والجبن وعدم الاستقامة والعزيمة والنجدة والجلد والمروءة عكس ما كانوا عليه شيعة عثمان أوشيعة معاوية رضي الله عنهما، كما كان يغلب عليهم عدم الوفاء والإخلاص والأمانة والصدق عكس مخالفيهم، وعلى ذلك كان علي رضي الله عنه يشكومنهم ويواجه الصعاب والمتاعب مع شجاعته النادرة وجرأته المشهورة وإقدامه المعروف وتفوقه على الأقران، ولأجل ذلك كان يقول لهم:

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أراكم ولم أعرفكم معرفة ـ والله ـ جرت ندمًا وأعقبت [سقما]، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيضًا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب لا علم له بالحرب.

لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع[(١)].

ويقول مقارنًا بينهم وبين شيعة معاوية:

أما والذي نفسي بيده، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرًا وجهرًا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا: أشهود كغياب وعبيد كأرباب، أتلوعليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غدوة وترجعون إلى عشية، كظهر الحنين، عجز المقوم وأعضل المقوم.

---

(١) نهج البلاغة ص٦٧.

أيها القوم الشاهدة بأبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواءهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم.

يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين، صم ذووأسماع، وبكم ذووكلام، وعمى ذووأبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء، تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر، والله لكأني بكم فيما أخالكم أن لوحمس الوغى، وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها[1].

وأكبر دليل على خذلان الشيعة عليًا أن أخاه الحقيقي وكبير شيعته وابن أبيه عقيل بن أبي طالب تركه والتحق بمعاوية رضي الله عنه وحارب تحت لوائه ضده كما أقر بذلك مؤرخ شيعي كبير:

إن عقيلًا فارق أخاه عليًا في أيام خلافته وهرب إلى معاوية وشهد صفين معه[2].

وأما ما فعلوه بالحسن وبعده بالحسين فهذه ودائع في التاريخ لا يمكن التستر عليها، ولوسردنا كل ذلك لطال بنا الكلام.

وأما عدم أمانتهم و[عدم] صدقهم وصفائهم فقد أقر بذلك جعفر بن الباقر الملقب بـ[الصادق] حيث ذكر أمامه أحد تلامذته عبد الله بن يعفور قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق. قال: فاستوى أبوعبد الله عليه السلام جالسًا فأقبل علي كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام ليس من الله ولا عتب على من دان بولاية إمام من الله.

فهذا كل ما أردنا أن نثبته في هذا الباب، وأما النقاط على الحروف فسنضعها في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ١٥ ط الهند.

(٢) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٣٧.

الباب الثاني

التشيع والسبئية

إن الشيعة الأولى مع ما كان فيهم من التخاذل عن الحق والتكاسل عن مناصرة قائدهم علي ـ رضي الله عنه ـ وجبنهم وغدرهم وخيانتهم وحبهم الدنيا وما فيها وإيثار الحياة على الموت في سبيل الحق كما وصفهم علي ـ رضي الله عنه ـ مخاطبًا إياهم:

وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سينالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلوائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته[1].

كانوا مع ذلك كله لا يختلفون عن الآخرين في العقائد والأفكار كإنكار القرآن والإعتقاد بتحريفه وتغييره، وإنكار السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، كما لم يكونوا مكفرين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنكرين فضلهم، وبخاصة الخلفاء الراشدون الثلاثة، أبوبكر وعمر وعثمان، وأزواج النبي صلوات الله عليه وسلامه عليه أمهات المؤمنين ولم [يكن لهم] مذهبًا خاصًا غير مذهب المسلمين، العامة ولا عبادات وشعائر وطقوسًا مخصوصة، فكانوا يصلون بصلواتهم وخلفهم، ويحجون بحجهم وتحت إمرتهم، كما كانوا يصاهرونهم، يزوجونهم ويتزوجون منهم قبل الحروب وبعدها، وقبل الحوادث الأليمة وبعدها كما بيناه سابقًا وكما سنبينه مفصلًا إن شاء الله، إلا من تأثر بالأفكار المدخولة والدسائس اليهودية والأفكار غير الإسلامية من السبئيين المتظاهرين بالإسلام، والمتسترين به، وخرج بذلك عن الجادة المستقيمة، وعن جماعة علي وشيعته، كالسبئيين والخوارج وغيرها من الفرق المنحرفة الضالة الباغية الذين ليس لهم علاقة لا بعلي ولا بأولاده، وهووالطيبون من أولاده منهم براء، وقد اخترعوا في الدين وباسم الدين ما لم ينزل به القرآن ولم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) نهج البلاغة ص ٦٧ ط بيروت.

فكان الأولون على ذل ولم ينقل عن واحد منهم خلاف هذا، ولكنهم بعد ذلك بزمان وخصوصًا بعد شهادة الحسين - رضي الله عنه - تمسكوا بنفس الأفكار التي كانت تحملها السبئية وبث سمومها اليهودية والمجوسية وغيرها من الفرق الباطلة الهدامة المعاندة للأمة الإسلامية، فاعتنقوها وعلى قدر الإغراق والتمسك والإعتصام بهذه الأفكار زادوا في الضلالات والسفاهات، وافترقوا بفرق، فمنهم من غالى وجازف وتجاوز جميع الحدود، فسموا المغالين، ومنهم من توسط لا في الحق ولكنه في الأخذ عن الباطل فسموا المتوسطين، ومنهم من أخذ أشياء يسيرة واغترف غرفة أوغرفتين ولم ينزل في قعرها ولم يسبح في وسطها فسموا المعتدلين والمنصفين، ولكن كل هؤلاء يجمعهم التلمذة على اليهودية الأثيمة والتشبث بأذيال عبد الله بن سبأ، ابن سوداء اليهودي الخبيث الماكر، فكل أخذ بقدره واكتفى بحظه، اللهم إلا من تبرأ منهم علنًا وجهرًا ومن أفكارهم، فرفضوه على تبرئه الكامل[١]، وكانت هذه الأفكار والآراء التي دست بين المسلمين وخصوصًا بين الموالين لعلي[٢] وأولاده بعد مؤامرة دبرت واحكم نسيجها من قبل يهود اليمن باشتراك الآخرين على يد عبد الله بن سبأ، تتكون من تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم وإيقاع الفتن وسل السيوف بينهم وإفساد الدين على المسلمين ونشر الإباحية والإلحاد، ولقصد تبديل الشريعة السماوية وتغييرها وتعطيلها، وعلى ذلك قال الإسفراييني[٣] بعد ذكر جميع فرق الشيعة.

وأعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة

---

(١) كأتباع زيد بن علي بن الحسين المنصفون منهم، ولوأن بعضًا منهم يدعي اتباعه بنهج نفيس المنهج ويسلك نفس المسلك كما سيأتي بيانه مفصلًا إن شاء الله.

(٢) لأنهم استعملوا اسم علي وأهل بيته - كذبًا وزورًا - لتستر على نواياهم الخفية ومقاصدهم الخبيثة، ولذلك اغتر بهم قوم يدعون موالاة علي وأهل بيته - رضوان الله عليهم أجمعين.

(٣) هوأبوالمظفر شاهنور بن طاهر بن محمد الإسفراييني الشافعي المفسر، إمام بارع، صنف التفسير الكبير وصنف في الأصول وسافر في طلب العلم وحصل الكثير، ارتبطه نظام الملك بطوس، فأقام بها سنين ودرس بها العلوم وأفاد الكثير، واستفاد الناس منه، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التبصير توفي سنة ٤٧١هـ.

ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الأول ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويزعمون أنه قد كان في القرآن النص على إمامة علي فأسقطه الصحابة عنه. ويزعمون أنه لا إعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إمامًا يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا في الحال على شيء من الدين، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة، ولكن مقصودهم إسقاط كلمة تكليف الشريعة عن أنفسهم، حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشريعة، ويعتذر عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة، وتغيير القرآن من عند الصحابة، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين(١).

هذا وبما أننا ذكرنا ونريد أن نذكر ونثبت أن تطور التشيع الأول وتغيير الشيعة الأولى لم يكن إلا لإدخال الأفكار اليهودية والمجوسية، والمتمثلة في عبدالله بن سبأ أوالسبئية واعتناق الشيعة لها وإعتقادها، فلا بد لنا أن نذكر عبد الله بن سبأ وجماعته السبئيين ومساعيهم لنشر الفتنة والفساد وبث سموم المعتقدات غير الإسلامية في نفوس الضعفاء والجهلة من الناس لأن الكلام إلا على الكلام حولهم وحولها أي السبئيين وأفكارهم.

عبد الله بن سبأ والسبئية

إن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا من أهل صنعاء. أمه سوداء «وقد كان عبد الله بن سبأ هذا يهوديًا في قلبه حفيظة على الدين الجديد الذي أزال ما كان اليهود يتمتعون به من الهيمنة والسلطان على عرب المدينة والحجاز عامة، فأسلم في أيام عثمان، ثم تنقل في بلاد الحجاز، ثم ذهب إلى البصرة، ثم إلى الكوفة، ثم إلى الشام، وهويحاول في كل بلد ينزل بها أن يضل ضعاف الأحلام، ولكنه لم يستطع السبيل إلى ذلك، فأتى مصر فأقام بين أهلها، وما فتئ يلفتهم عن أصول دينهم، ويزيد لهم بما يزخرفه من القول حتى

(١) التبصير في الدين للإسفراييني ص ٤٣ ط بغداد.

وجد مرتعًا خصيبًا، وكان مما قاله لهم: إني لأعجب كيف تصدقون أن عيسى بن مريم يرجع إلى هذه الدنيا وتكذبون أن محمدًا يرجع إليها؟. وما زال بهم حتى إنقادوا إلى القول بالرجعة وقبلوا ذلك منه، فكان هوأول من وضع لأهل هذه الملة القول بالرجعة وقبلوا ذلك منه، إنه قد كان لكل نبي وصي، وأن علي بن أبي طالب هووصي محمد صلى الله عليه وسلم! وليس في الناس من هوأظلم ممن احتجر وصية رسول الله ولم يجزها، بل هويتعدى ذلك فيثب على الوصي ويقتسره على حقه، وإن عثمان قد أخذ حق علي وظلمه، فانهضوا في هذا الأمر، وليكن سبيلكم إلى إعادة الحق لأهله الطعن على أمرائكم وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنكم تستميلون بذلك قلوب الناس، واتخذ لهذه الدعوة أنصار بثهم في الأمصار، وما زال يكاتبهم ويكاتبونه حتى نفذ قضاء الله، وكان الضحية الأولى لهذه المؤامرة ذلك الخليفة الذي قُتل مظلومًا، وبين يديه كتاب الله واعتدى على منزله وحرمه، وكان قضاء الله قدرًا مقدورا [١]».

ولقد ذكره أقدم المؤرخين الطبري عنه بقوله: «كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمد يرجع وقد قال الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص:٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ٥٠ الهامش ط مصر.

الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما فيه الناس، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان قالوا: فأتوا عثمان، فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا، قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإنا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فانتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالًا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالًا سواهم فرجعوا جميعًا قبل عمار، فقالوا: أيها الناس ما أنكرنا شيئًا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعًا الأمر أم المسلمين إلا أن أمرائهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم واستبطأ الناس عمارًا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمار قد استماله قوم مصر وقد انقطعوا إليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر[١]».

وبمثل ذلك قال ابن كثير وابن الأثير[٢].

وقال ابن خلدون في تاريخه عنه:

«إن عبد الله بن سبأ يعرف بابن السوداء كان يهوديًا فهاجر أيام عثمان فلم يحسن إسلامه، فأُخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر، وكان يُكثر الطعن على عثمان ويدعوفي السر إلى أهل البيت.... وكان يحرض الناس على القيام

(١) الطبري ج٥ ص٩٨-٩٩.

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٧ ط بيروت.

في ذلك والطعن على الأمراء فاستمال الناس بذلك في الأمصار وكاتب به بعضهم بعضًا، وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر، فثبطوا عمارًا عن المسير إلى المدينة، (وكان مما أنكروه على عثمان) إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة، وكان الذي دعا إلى ذلك شدة الورع من أبي ذر وحمله الناس على شدائد الأمور والزهد في الدنيا، وأنه لا ينبغي لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه، ويأخذ بالظاهر في ذم الإدخار بكنز الذهب والفضة، وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب قوله: المال مال الله، ويوهم أن في ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين حتى عاتب أبوذر معاوية، فاستعتب له وقال: سأقول: مال المسلمين، وأتى ابن سبأ إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك، فدفعوه، وجاء به عبادة إلى معاوية وقال: هذا الذي بعث عليك أبا ذر[١]».

وقد ذكره الحافظ ابن حجر عن [ابن] عساكر في تاريخه:

«كان أصله من اليمن، وكان يهوديًا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، ودخل دمشق لذلك[٢]».

ومثل ذلك قال الإسفراييني:

«إن ابن السوداء كان رجلًا يهوديًا ن وكان قد تستر بالإسلام، أراد أن يفسد الدين على المسلمين[٣] ».

وأما سعيه للفتنة والفساد فلقد ورد طرف من أخباره فيما ذكرناه وكما ذكره الطبري مفصلًا في تاريخه أنه كان يومًا في البصرة ويومًا في الكوفة ويومًا في مصر كما ذكر عن حكيم بن جبلة.

لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أنه في عبد القيس رجلًا نازلًا على حكيم بن جبلة وكان حكيم بن جبلة رجلًا لصًا إذا قفل الجيش خنس عنهم، فسعى في

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٣٩ تحت عنوان بدا الانتقاص على عثمان.

(٢) لسان الميزان ج ٣ ص ٢٨٩.

(٣) التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني: ص ١٠٩.

أرض فارس يغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء، ثم يرجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا، فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها، فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه واستعظموه، وأرسل إليه ابن عامر فسأله من أنت؟. فأخبر أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك، فقال: ما يبلغني ذلك، فاخرج عني فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم[1]».

ثم كان في مصر، ومن مصر جاء مع قتلة عثمان إلى المدينة.

خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعلى القوم جميعًا الغافقي بن حرب العكي، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما خرجوا ومعهم ابن السوداء[2].

ولقد كتب أحمد أمين المصري عنه:

«إن ابن السوداء أتى إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت فلم يسمعا قوله وأخذه عبادة إلى معاوية وقال له: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر، ونحن نعلم أن ابن السوداء هذا لُقب به عبد الله بن سبأ، وكان يهوديًا من صنعاء أظهر الإسلام في عهد عثمان وأنه حاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبث في البلاد عقائد كثيرة: في الحجاز والبصرة والكوفة والشام ومصر، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق أواليمن[3]».

---

(١) الطبري ج٥ ص٩٠.
(٢) الطبري ج٥ ص ١٠٣، ١٠٤.
(٣) فجر الإسلام ص ١١٠، ١١١.

وكتب أيضًا:

«وهوالذي حرك أبا ذر الغفاري لدعوة الإشتراكية وهوالذي كان من أكبر من ألب على عثمان في الأمصار.... والذي يؤخذ من تاريخه أنه وضع تعاليم لهدم الإسلام وألف جمعية سرية لبث تعاليمه واتخذ الإسلام ستارًا يستر به نواياه، نزل البصرة بعد أن أسلم ونشر فيها دعوته، فطرده واليها، ثم أتى الكوفة فأُخرج منها، ثم جاء مصر فالتف حوله أُناس من أهلها»(١).

وقبل أن نستطرد في الأسباب التي جعلوها وسيلة لتفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم وتمزيق كلمتهم والتآمر على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ذي النورين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ نريد أن نذكر العقائد اليهودية التي نفث سمومها هذا الخبيث، الملعون على لسان علي ـ رضي الله عنه ـ وأتقنها القوم، وفرعت عليه الفروع، وعليها وبها افترقت فرقهم وذهب كل فريق منهم إلى ما يهوونه ويشتهونه.

الأفكار اليهودية المدسوسة

ولقد أخبرنا عن أفكار ابن السوداء هذا، والتي حملها من اليهود المبغضين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين وأمته أشد البغض وما جاء به عن الله تبارك وتعالى، الناقمين عليه وعليهم، والمكايدين والماكرين له ولهم، من أول يوم دخلوا يثرب وحولوها إلى المدينة، وقضوا على يهود قينقاع وبني النضير وبني المصطلق ويهود خيبر وغيرهم، يخبرنا عن كل ذلك أقدم مؤرخ شيعي، وأول من كتب في الفرق من القوم ألا وهوالنوبختي أبومحمد الحسن بن موسى من أعلام الشيعة في القرن الثالث للهجرة فقال:

«السبئية: أصحاب عبد الله بن سبأ وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال: إن عليًا ـ عليه السلام ـ أمره بذلك، فأخذه علي

(١) نفس المصدر ص ٢٦٩.

فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلًا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟. فصيره إلى المدائن.

وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي ـ عليه السلام ـ أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًّا ـ عليه السلام ـ وكان يقول وهوعلي يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى ـ عليه السلام ـ بهذه المقالة، فقال بعد إسلامه في علي ـ عليه السلام ـ بمثل ذلك، وهوأول من شهر القول بفرض إمامة علي ـ عليه السلام ـ وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت لوجئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلًا لعلمنا أنه لم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض[1].

ويذكر أبوعمروبن عبد العزيز الكشي من علماء القرن الرابع للشيعة في أقدم كتاب شيعي في الرجال عديدًا من الروايات عن عبد الله بن سبأ وعقائده وأفكاره نثبت بعضًا منها هاهنا:

«حدثني محمد بن قولويه، قال: حدثني سعد بن عبد الله، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى عن علي بن مهزيار عن فضالة بن أيوب الأزدي عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبدًا لله طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وأن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم».

وبهذا الإسناد عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير وأحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه والحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين ـ صلوات الله عليهما: لعن الله من كذب علينا إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمرًا عظيمًا ماله لعنه الله، كان علي ـ عليه

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤١، ٤٢ ط المطبعة الحيدرية نجف بتعليق آل بحر العلوم ط ١٩٥٩م.

السلام ـ والله عبدًا صالحًا أخًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله الكرامة من الله إلا بطاعته لله.

وبهذا الإسناد: عن محمد بن خالد الطيالسي عن ابن أبي نجران عن عبد الله [بن سنان] قال: قال: أبوعبد الله ـ عليه السلام ـ إنَّا أهل بيت صدِّيقون لا نخلوا من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق الناس لهجة وأصدق البرية كلها وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على الله الكذب عبد الله بن سبأ.

وذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا ـ عليه السلام ـ وكان يقول وهوعلى يهوديته في يوشع بن نون (وصي موسى بالغلو) فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي ـ عليه السلام ـ مثل ذلك، وكان أول من أشهر بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخاليفه وكفرهم فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية[1].

وقال الحلي الشيعي الحسن بن علي في كتابه الرجالي المشهور:

«عبد الله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو، كان يدعي النبوة وأن عليًا ـ عليه السلام ـ هوالله، فاستتابه عليه السلام ثلاثة أيام فلم يرجع، فأحرقه في النار في جملة سبعين رجلًا ادعوا فيه ذلك [2]».

ومثل ذلك القول قام إمام متأخري الشيعة في الرجال المامقاني كتابه تنقيح المقال[3].

---

(١) رجال الكشي ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) كتاب الرجال للحلي ص ٤٦٩ ط طهران ط ١٣٨٣هـ.

(٣) ج ٢ ص ١٨٤ ط إيران.

وذكر مؤرخ شيعي إيراني في تاريخه بالفارسية:

إن عبد الله بن سبأ توجه إلى مصر حينما علم أن مخالفيه (أي عثمان بن عفان) كثيرون هناك، فتظاهر بالعلم والتقوى، حتى افتتن الناس به، وبعد رسوخه فيهم بدا يروج مذهبه ومسلكه، وإن لكل نبي وصيًا وخليفة، فوصي رسول الله وخليفته ليس إلا عليًا، المتحلي بالعلم والفتوى، والمتزين بالكرم والشجاعة، والمتصف بالأمانة والتُّقى، وقال: إن الأمة ظلمت عليًا، وغصبت حقه، حق الخلافة والولاية، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاضدته وخلع طاعة عثمان وبيعته، فتأثر كثير من المصريين بأقواله وآرائه، وخرجوا على الخليفة عثمان [١].

ومثل ذلك قال الرجالي الشيعي الإسترا آبادي:

إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى، فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله، فأقر، وقال: نعم أنت هو. فقال له أمير المؤمنين: قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك، فأبى، فحبسه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار [٢].

ولكن ابن أبي الحديد الشيعي الغالي المعتزلي شارح النهج يخالف ذلك بأن عليًا أحرقه فإنه يرى أن القول بتأليه علي لم يظهره عبد الله بن سبأ إلا بعد وفاة علي - رضي الله عنه - فأظهره واتبعه قوم فسموا السبئية [٣].

ويؤيده في ذلك من السنة عبد القادر البغدادي ولكنه يضيف إلى ذلك أن عليًا لم يحرقه خوفًا من شماتة أهل الشام حيث يذكر ابن سبأ والسبئية:

السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي - رضي الله عنه - وزعم أنه كان نبيًا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قومًا من غلاة الكوفة، ورفع خبرهم إلى علي - رضي الله عنه - فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

(١) تاريخ شيعي: روضة الصفا في اللغة الفارسية [ج ٢ص ٢٩٢] ط طهران.

(٢) منهج المقال ص ٢٠٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص ٣٠٩.

لترم بي الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثم إن عليًا - رضي الله عنه - خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن، فلما قُتل علي - رضي الله عنه - زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًا، وإنما كان شيطانًا تصور للناس في صورة علي، وأن عليًا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم - عليه السلام - وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصًا مصلوبًا شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه عليًا فظنوا أنه علي، وعلي قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه وزعم بعض السبئية أن عليًا في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقد روي عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن سبأ قيل له: إن عليًا قد قتل، فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها.

وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي دون غيره، وفي هذه الطائفة قال إسحاق بن سويد العدوي قصيدة بريء فيها من الخوارج والروافض والقدرية منها هذه الأبيات:

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ولكني أحب بكل قلبي وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا به أرجو غدًا حسن الثواب

وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن السوداء وكان يعين السبئية على قولها، وكان ابن السوداء في الأصل يهوديًا من أهل الحيرة فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوارة أن لكل نبي وصيًا، وأن عليًا - رضي الله عنه - وصي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما أن محمدًا خير الأنبياء، فلما

سمع ذلك منه شيعة علي قالوا لعلي: إنه مجيبك، فرفع علي قدره، وأجلسه تحت درجة منبره، ثم بلغه فيه فهم بقتله، فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له: إن قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك، فلما خشي من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنة التي خافها ابن عباس نفاهما إلى المدائن فافتتن بهما الرعاع بعد قتل علي ـ رضي الله عنه ـ وقال لهم ابن السوداء: والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلًا والأخرى سمنًا، ويغترف منهما شيعته.

وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى ـ عليه السلام ـ فانتسب إلى الرافضة السبئية حين وجدهم أعرق أهل الأهواء في الكفر ودلس ضلالته في تأويلاته[١].

وذكر هذه وعقائده وجماعته من الشيعة كل من سعد القمي المتوفى ٣٠١هـ[٢].

والطوسي شيخ الطائفة[٣] والتستري في قاموس الرجال[٤] وعباس القمي في تحفة الأحباب[٥] والخوانساري في روضات الجنات[٦] والأصبهاني في ناسخ التواريخ وصاحب روضة الصفا في تاريخه[٧].

كما ذكر عقائده علماء من السنة كالبغدادي في الفرق بين الفرق كما مر آنفًا.

وبمثل هذا قال الإسفراييني في كتابه التبصير[٨] والرازي في إعتقادات فرق المسلمين والمشركين[٩] وابن حزم في الفصل وغيرهم.

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ ط مصر.
(٢) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الشيعي القمي: ص ٢١ ط طهران ١٩٦٣م.
(٣) رجال الطوسي ص ٥١ ط نجف ١٩٦١ م.
(٤) ج ٥ ص ٤٦٣.
(٥) ص ١٨٤.
(٦) روضات الجنات.
(٧) ج ٣ ص ٣٩٣ ط إيران.
(٨) ص ١٠٨، ١٠٩.
(٩) ص ٥٧ ط دار الكتب العلمية.

وقال الشهرستاني تحت عنوان السبئية:

«السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي ـ عليه السلام: أنت أنت يعني أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، وزعموا أنه كان يهوديًا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى مثل ما قال في علي ـ عليه السلام ـ وهوأول من أظهر بالفرض بإمامة علي، ومنه انشعبت أصناف الغلاة، وزعموا أن عليًا حي لم يُقتل وفيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولى عليه، وهوالذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه، وإنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي ـ عليه السلام ـ»(١).

وقال ابن عساكر في تاريخه عن جابر قال:

لما بويع علي ـ رضي الله عنه ـ خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له: أنت دابة الأرض، فقال له: اتق الله، فقال له: أنت الملك، فقال اتق الله، فقال له: أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق، فأمر بقتله، فاجتمعت الرافضة فقالت: دعه وانفه إلى سابط المدائن(٢).

وذكر الآلوسي نقلًا عن ابن الحكيم الدهلوي:

السبئية: وهم عبارة عن الذين يسبون الصحابة، إلا قليلًا منهم كسلمان الفارسي وأبي ذر والمقداد وعمار بن ياسر ـ رضي الله عنهم ـ وينسبونهم ـ وحاشاهم ـ إلى الكفر والنفاق، ويتبرأون منهم، ومنهم من يزعم والعياذ بالله تعالى ارتداد جميع من حضر غدير خم يوم قال عليه الصلاة والسلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه». الحديث، ولم يف بمقتضاه من بيعة الأمير كرم الله وجهه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، بل بايع غيره، وهذه الفرقة حدثت في عهد الأمير رضي الله تعالى عنه بإغراء عبد الله بن سبأ اليهودي الصنعاني(٣).

---

(١) الملل والنحل ج ٢ ص ١١: بهامش الفصل.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٤٣٠.

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٥-٦ ط مصر ١٣٨٣م.

وأخيرًا ننقل ما كتبه أحمد أمين عنه وعن جماعته:

انتشرت الجماعة السرية في آخر عهد عثمان تدعوإلى خلعه وتولية غيره، ومن هذه الجمعيات من كانت تدعوإلى علي، ومن أشهر الدعاة له عبد الله بن سبأ ـ وكان من يهود اليمن فأسلم ـ فقد تنقل في البصرة والكوفة والشام ومصر يقول: إنه كان لكل نبي وصي، وعلي وصي محمد، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووثب على وصيه، وكان من أكبر الذين ألبوا على عثمان حتى قُتل[١].

«وأنه وضع تعاليم لهدم الإسلام، وألف جمعية سرية لبث تعاليمه، واتخذا الإسلام ستارًا يستتر به نياته، نزل البصرة بعد أن أسلم ونشر فيها دعوته فطرده واليها، ثم أتى الكوفة فأُخرج منها، ثم جاء مصر فالتف حوله ناس من أهلها، وأشهر تعاليمه: الوصاية والرجعة. فأما الوصاية فقد أبناها قبل، وكان قوله فيها أساس تأليب أهل مصر على عثمان، بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة من علي بغير حق، وأيد رأيه بما نسب إلى عثمان من مثالب، وأما الرجعة فقد بدأ قوله بأن محمدًا يرجع، وكان مما قاله: العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع، ويكذب أن محمدًا يرجع، ثم نراه تحول ـ ولا ندري لأي سبب ـ إلى القول بأن عليًا يرجع. وقال ابن حزم: إن ابن سبأ قال ـ لما قتل علي ـ لوأتيتموني بدماغه ألف مرة ما صدقناه موته، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية، فعندهم أن النبي إلياس (عليه السلام) صعد إلى السماء، وسيعود فيعيد الدين والقانون، ووجدت الفكرة في النصرانية أيضًا في عصورها الأولى[٢].

فهذا هوعبد الله بن سبأ وهذه دعوته وأفكاره وعقائده، وهذه هي الأفكار التي حملها من اليهودية والمجوسية وغيرها بخطة مدبرة ومؤامرة محكمة من قبل أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم والإسلام وأعداء الأمة وقادتها وأبطالها لبث سمومها بين المسلمين باسم الإسلام. وسوف نرى ونحقق كيف اعتنق الشيعة هذه

---

(١) فجر الإسلام٤ ٣٥.

(٢) نفس المصدر ص ٢٦٩-٢٧٠.

الأفكار وتمسكوا بهذه العقائد، وكيف تطور التشيع الأول وتغيرت الشيعة الأولى وتسربت فيهم نفس الأفكار التي كان يرد عليها ويعارضها علي ـ رضي الله عنه ـ وكيف توغل في الشيعة من كان يطاردهم ويتبرأ منهم ويؤدبهم ويقتلهم علي، ويلعنهم أبناءه وأولاده.

وقبل أن نضع النقاط على الحروف نريد أن نذكر أن بعض الرجال من مواليد القرن الرابع عشر من الهجرة ـ وأخص الشيعة منهم ـ أنكروا وجود هذا اليهودي الماكر، ولكن إنكارهم لا يستند إلى دليل وبرهان، وإنكارهم هذا ليس إلا كإنكار الشمس وهي طالعة، لأنه لم يذكر ابن السوداء هذا واحد ولا اثنان من المخاصمين والمعاندين، بل ذكر كل من ألف في الفرق والرجال، في التاريخ وفي السير كما أثبتناه من أئمة الشيعة في الفرق والرجال والتاريخ والنقد غير السنة ومن رجال السنة، وقد بحثنا هذه القضية بتحليل منطقي وواقعي وبغربلة الدعاوى التي أطلقت في هذا المضمار في كتاب: «الشيعة وأهل البيت» ولكن نقولها هاهنا كلمة قصيرة ألا وهي: هل يوجد واحد قبل القرن الرابع عشر وحتى من الشيعة من أنكر وجود هذا الرجل؟

ثم وماذا عن الكتب التي تتحدث عن هذا الرجل من كتب الفرق والملل والرجال والتاريخ وهي متفقة لفظًا ومعنى تقريبًا في ذكره وأوصافه ونعوته وعقائده وأفكاره؟

ثم ولماذا الخوف من الفضيحة والعار؟ وإن كان هناك عار فلماذا التستر.

وهل لا يجر هذا الإنكار إلى أن ينكر شخص وجود علي ومعاوية ووقوع الحوادث إن كان هناك مجرد إنكار؟. وما أعدله ما قاله عالم شيعي معاصر قريب ـ مع تعصبه ـ وهويذكر الغلووتاريخه، فيقول: إنه بعد تولية أمير المؤمنين على منصب الخلافة ظهر في أيامه قوم وأرادوا إخراجها من قالب «الموالاة والتمسك» إلى قالب التأليه لعلي عليه السلام «ولما بلغه عنهم ذلك أنكره أشد الإنكار. وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه».

والظاهر أن عبد الله بن سبأ لم يكن (وقتئذ) على هذه المقالة الغالية ولا شمله الإحراق، وهذا ما يراه ابن أبي الحديد بقوله: استترت هذه المقالة سنة أونحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ بعد وفاة علي أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها واتبعه قوم فسُموا السبئية.

ويوافقه الشهرستاني بقوله: وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلام «ولكن الإسترا آبادي يخالفهما بما رواه من أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هوالله تعالى. فبلغ أمير المؤمنين: قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك. فأبى فحبسه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار» ولا يبعد أن يكون الأرجح ما قاله ابن أبي الحديد من أن ابن سبأ لم يشمله الإحراق وأنه أظهر تلك المقالة بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام. ووافقه الشهرستاني على ذلك وأن قال قلبه: «إن ابن سبأ قال لعلي ـ عليه السلام أنت، أنت، يعني أنت الإله، فنفاه إلى المدائن» ولا ينافي هذا القول قوله الآخر إذ من المحتمل قريبًا أن يكون ابن سبأ قد قال لعلي (أنت، أنت) لكنه قد أخفاه في حياة علي عليه السلام أيام منفاه وبعدها إلى أن توفي علي عليه السلام فأظهره بعد ذلك بسنة أوبأقل.

وعلى كل حال فإن الرجل ـ أي ابن سبأ ـ كان في عالم الوجود وأظهر الغلو. وإن شك بضعهم في وجوده وجعله شخصًا خياليًا شخصته الأغراض الشخصية، أما نحن بحسب الإستقراء الأخير فلا نشك بوجوده وغلوه..... نعم غلا ابن سبأ في دينه وتسربت بدعته هذه إلى أفكار جماعة غير قليلة، قد سميت باسمه. وأخذت بعد ذلك بالتطور السريع حتى تجاوزت عن القول بإلهية فرد من المخلوقين إلى القول بإلهية اثنين أوثلاثة أوأربعة أوخمسة أوأكثر من أهل البيت عليهم السلام[1].

وقد أقر بوجوده من أعلام الشيعة المتأخرين المظفري في كتابه تاريخ الشيعة[2].

وكذلك كبير القوم السيد محسن الأمين في موسوعته[3].

وغيرهم الكثيرون، الكثيرون.

فهذا هوعبد الله بن سبأ، وهذه العقائد التي حملها إلى المسلمين وإلى الشيعة بالذات بتعبير صحيح ودقيق، لأنهم هم كانوا الحقل الصالح لبذر هذه البذور، ومنهم [من]

---

(١) الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين: ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ط دار الآثار ـ بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
(٢) انظر تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري ص ١٠ ط. قم.
(٣) انظر أعيان الشيعة وخاصة الجزء الأول من القسم الأول.

كان يتوقع أن يجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية، وباسم قائدهم كان يتوقع إثارة الضغائن والأحقاد.

وفعلًا استطاع جذب الكثير منهم إليه وإلى معتقداته خصوصًا بعد ما كان مظفرًا منصورًا في إتاحة حكم الإمام المظلوم عثمان بن عفان له اختلاق قصص باطلة وأساطير كاذبة[1] وتكوينه جمعية سرية تعتقد في علي ـ رضي الله عنه ـ وصاية النبي صلى الله عليه وسلم ووراثته، وإيجاد رجال يقدسونه ويؤلهونه ويصفونه بأوصاف ونعوت هي لله خاصة، فدخل هؤلاء كلهم تحت رايته في شيعة علي ـ رضي الله عنه ـ واندمجوا معهم، وبدأوا ينفثون السموم إلى رفاقهم ومصاحبيهم ومجالسيهم، فتأثر من تأثر وكتم من كتم وظهر من ظهر، فنكل الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بمن اكتشف وأظهر عقيدته الأصلية الخافية وعذبهم أشد العذاب، وطرد بعضًا منهم وقتل البعض الآخرين سيفًا وحرقًا، وأعلن في ملأ من الناس أنه ليس إلا عبد الله طائعًا، وأن من يكتشف أنه من السبئيين يعمل به ما عمل بالمحرقين، ومن وجده متأثرًا منهم وعلم أنه يفضله على الشيخين أويتكلم فيهم فيجلده حد المفتري كما روى زيد بن وهب أن سويد بن غفلة.

دخل على علي في إمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم، عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله بن سبأ أول من أظهر ذلك، فقال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن، وقال: لا يساكنني في بلدة أبدا، ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله وفي آخره: ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري[2].

وذكر الهمداني المعتزلي المتوفى ٤١٥هـ هذه الرواية أيضًا ولكن فيها من الفوائد ما ليست في غيرها، فنريد أن نثبتها هاهنا، فإنه يقول: وكان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه:

---

(١) نخصص لهذه القصص الباطلة والأساطير الموضوعة بابًا مستقلًا في هذا الكتاب لما لها من علاقة وثيقة بشيعة اليوم، وأنهم لم يأخذوا هذه التهم إلا من عبد الله بن سبأ، كما أخذوا العقائد منه وسنبين هذا كله مفصلًا إن شاء الله بالبراهين والأدلة.

(٢) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج٣ ص ٢٩٠ ط بيروت.

إن أمير المؤمنين قال لي: إنه يدخل دمشق ويهدم مسجدهم حجرًا، حجرًا، ويظهر على أهل الأرض ويكشف أسرارًا ويعرفهم أنه ربهم، وليس لهذا كأبي بكر وعمر وعثمان.

ولقد أتى أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ سويد بن غفلة، وكان من خاصته وكبار أصحابه، فقال له: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذي هما من الأمة له أهل، ويرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا، فقال: أعوذ بالله أعوذ بالله مرتين، أن أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ووزيراه ـ رحمة الله عليهما ـ ثم نهض دامع العينين يبكي، قابضًا على لحيته، وهي بيضاء، حتى اجتمع الناس. ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عليه متنزه، ومما قالوا برئ، وعلى ما قالوا معاقب، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء يأمران وينهيان، ويقضيان ويعاقبان فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لا يرى مثل رأيهما رأيًا، ولا يحب كحبهما أحدًا، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهوعنهما راض، ومضيا والمؤمنين عنهما راضون، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على صلاة المؤمنين فصلى بهم تلك الأيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض الله نبيه عليه السلام واختار له ما عنده، مضى مفقودًا صلى الله عليه وسلم، ولاه المؤمنين ذلك، وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين، أنا أول من سن له ذلك من بني عبد المطلب وهولذلك كاره، يود لوأن بعضنا كفاه، فكان والله خير من بقي رأفة، وأرحمه رحمة، وأيبسه ورعًا، وأقدمه سلمًا وإسلامًا، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفوًا ووقارا، فسار فينا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبضه الله على ذلك، ثم ولى الأمر بعده عمر، واستأمر في ذلك المسلمين، فمنهم من رضي ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه، وأقام الأمر على منهاج النبي صلى الله عليه وسلم، يتبع أثرهما

كاتباع الفصيل أثر أمه، وكان والله رفيقًا رحيمًا لضعفاء المسلمين، وبالمؤمنين عونًا وناصرًا على الظالمين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى إن كنا لنظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله له في قلوب المؤمنين المحبة وفي قلوب المشركين المنافقين الرهبة، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل فظًا غليظًا على الأعداء، وبنوح حنقًا مغتاضًا على الكفار، والضراء على طاعة الله آثر عنده من السراء على معصية الله فمن لكم بمثلهما ـ رحمة الله عليهما ـ ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا بالحب لهما، واتباع آثارهما، فمن أحبني فليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء، ولوكنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا اشد العقوبة، فمن أوتيت به بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفتري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وعمر، ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[1].

وأورد هذه الخطبة كثير من الشيعة والسنة، ويؤيد ذلك ما ذكره النوبختي الشيعي من همه البطش بمن يتكلم في أبي بكر وعمر كما مر.

فكتم السبئيون أمرهم وبدأوا يعملون في السر والخفاء وتقنعوا بقناع التقية[2].

وهكذا حاول واستطاع علي ـ رضي الله عنه ـ الحفاظ على شيعته، وحال بينهم وبين العقائد اليهودية المجوسية ولكنه لم يكد يقضي عليه ويستشهد بيد ابن مُلجم المرادي الخارجي حتى ظهرت السبئية بكل قوة، وعبد الله بن سبأ بكل صراحة، حتى قال لمن نعاه بشهادته:

كذبت عدوالله لوجئتنا ـ والله ـ بدماغه في صرة فأقمت على قتله سبعين عدلًا ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض، ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب علي، فاستأذنوه عليه استئذان الواثق

---

(١) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني ج ٢ ص ٥٤٦ – ٥٤٨ ط بيروت.

(٢) ولعل عقيدة التقية أيضًا انتقلت إلى الشيعة من هؤلاء الناس لأنهم أول من استعملها خوفًا من عقوبة علي ـ رضي الله عنه ـ ومطاردته.

بحياته الطامع في الوصول إليه، فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده: سبحان الله، ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟ قالوا: إنا نعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه، وإنه ليسمع النجوى ويعرف تحت الدثار الثقيل ويلمع في ظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام[١].

وادعت هذه الفئة الخبيثة وهذه الفرقة المارقة عن الدين وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ هو الذي لقنهم هذه التعاليم، وهم لم يتلقوا هذه الأفكار إلا منه كما أشار إلى ذلك الكثيرون من المؤرخين وأئمة الرجال والفرق. ويؤيد ذلك ما ذكره النوبختي أن عبد الله بن سبأ كان يقول في حياة علي ـ رضي الله عنه ـ أن عليًا هو الذي أمره باللعن والطعن على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٢].

فانخدع به كثير من الشيعة ومالوا إليه وإلى أقواله والعقائد التي اخترعها واختلقها، وبذلك تطور التشيع الأول وتغيرت الشيعة الأولى، فصار التشيع مذهبًا دينيًا بعد أن كان سياسيًا محضًا، وصارت الشيعة حزبًا دينيًا بعد أن كانوا حزبًا سياسيًا خالصًا.

ولقد قال بهذا القول المستشرق الألماني «ولهوزن» أيضًا حيث يذكر الشيعة الأولى بأنهم تمكنوا أولًا في العراق.

ولم يكونوا في الأصل فرقة دينية، بل تعبيرًا عن الرأي السياسي في هذا الإقليم كله. فكان جميع سكان العراق، خصوصًا أهل الكوفة، خصوصًا القبائل ورؤساء القبائل، ولا يلاحظ بينهم إلا درجات في التشيع. لقد كان علي في نظرهم رمزًا لسيادة بلدهم المفقود. ومن هنا نشأ تمجيد شخصه وآل بيته، تمجيدًا لم يرتح له أثناء حياته، على أنه ما لبث أن تكونت في أحضان مذهب سري عبادة حقيقية لشخصه[٣].

وهذا هو القول الحق لأن عليًّا ـ رضي الله عنه ـ لم ينقل في الصحيح عنه أنه كان يعد نفسه

---

(١) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الشيعي القمي، تثبت دلائل النبوة ج٢ ص ٥٤٩.
(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٤.
(٣) الخوارج والشيعة ص ١١٣.

أوأهل بيته مختلفين عن أبي بكر وعمر وعثمان، بل كان يفضلهم عليه وعلى أولاده، وكان ينتهج منهجهم ويسلك سبيلهم، وكان يعد خلافته امتدادًا لخلافتهم كما ذكر ذلك في خطبته المشهورة المنقولة عنه أنه قال مخاطبًا معاوية في كتاب له إليه:

إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار والغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أوبدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى.

ولعمري، يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أني كنت في عُزلة عنه إلا أن تتجنى فتجن ما بدا لك، والسلام (١).

وعلى ذلك قال ولهوزن:

كان القدماء من أنصار علي يعدونه في مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين. فكان يسلك مع أبي بكر وعمر وكذلك مع عثمان ـ طالما كان عادلًا في خلافته ـ في سلك واحد، وكان يوضع في مقابل الأمويين المغتصبين للخلافة بوصفه استمرارًا للخلافة الشرعية. وحقه في الخلافة ناشئ عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه في القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة، ولم ينشأ هذا الحق ـ أوعلى الأقل لم ينشأ مباشرة ـ عن كونه من آل بيت الرسول(٢).

وهذه الحقيقة الثابتة الناصعة لا ينكرها إلا لجاهل أوالمتجاهل المكابر المعاند.

ثم ولم يجد التشيع هذا والسبئيون طريقًا للتقدم أمامهم إلا لضعف الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ في لم الأمور وجمعها أوالسيطرة الكاملة على جماعة أبيه، والمؤامرات الكامنة وراء الأستار من قبل اليهودية وانضمام المجوسية، إليها لاندحارها أمام زحف الإسلام والجيوش الإسلامية الظافرة المنصورة، وتكالب الموالي الفرس ضد العرب المسلمين الهازمين قوتهم وشوكتهم، والمدمرين حضارتهم، وأيضًا تكاتف المنتفعين الآخرين ومن

(١) نهج البلاغة ص ٣٦٦ –٣٦٧.

(٢) الخوارج والشيعة ص ١٧١.

أبناء الأمم المدحورة الأخرى الذين كانوا يتحينون الفرص المواتية للإنتفاضة ضد الفاتحين والحكام الباعثين البعوث، والمرسلين العساكر، والمجندين الجنود للقضاء على بقيتهم الباقية وعلى الوثنيات والشركيات، وظلم الظلمة وغلبة الطغاة المستبدين.

فلم يجد الحسن ـ رضي الله عنه وعن أبيه ـ قوة كافية لردع هؤلاء والحيلولة بينهم وبين تسرب أفكارهم إلى شيعته وشيعة أبيه المخلصين، خصوصًا بعدما تسرب في قلوب شيعته الوهن والضعف، وازداد جبنهم وتخاذلهم، فكثر الكذب باسم أهل البيت، وفشت العقائد المدسوسة كما أقر بذلك الشيعي المشهور السيد محسن الأمين في موسوعته نقلًا عن واحد من أئمته أنه قال:

«قال السيد علي خان في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة: روى عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ـ عليهما السلام ـ أنه قال لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فمالأت علينا قريش حتى أخرجت قريش الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غُدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طُعن بخنجر في جنبه وانتهب عسكره وعوجلت خلاخل أمهات أولاده، فواعد معاوية وحقن دمه ودم أهل بيته وهم وقليل حق قليل، ثم بايع الحسين أهل العراق عشرون ألفًا غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم فقتلوه ن ثم لم نزل أهل البيت نُستذل ونُستضام ونُقصى ونُمتهن ونُحرم، نُقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أولياءنا، ووجد الكذابون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعًا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس[(١)]».

فكذب الكذابون ووضعوا أقوالًا وروايات مختلقة ومخترعة لترويج باطلهم ونشر

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٤.

ضلالاتهم، وعليّ وأولاده الطيبون منها براء، وعلى رأس الوضاعين الدجالين والسعاة السبئيون وقائدهم عبد الله بن سبأ، فنجح ونجحوا أيما نجاح حيث استطاعوا وبعد مدة طويلة وحوادث عديدة أن يفتنوا كثيرًا من الناس وأن يخدعوهم ويخرجوهم عن الإسلام الصحيح الصريح، عن دين الله إلى المذهب الأجنبي الغريب، أن يخرجوهم عن العقائد الإسلامية الساذجة البسيطة، الخالية من شوائب الشرك والوثنية، وعن وحدانية الله عز وجل، وعن الحرية والجهاد والديمقراطية! والعدل وعن كرامة الإنسان بعدم التفريق بينه وبين الآخر في الحسب والنسب والجاه والحكومة والرئاسة، نعم أخرجهم عن هذا كله وألزمهم العقائد الفلسفية الكلامية المعقدة المأخوذة عن التفلسف اليهودي والوثنية المجوسية والغوامض المسيحية، وإلى الإشراك بالله والعبودية والاستغلال والتفرقة بين بني آدم بالحسب والنسب والجاه والحكم والرئاسة، وأن شخصًا أفضل لأنه ولد في بيئة فلانية، وليس له شرف سواه، وأن فلانًا أرذل لأنه لم يولد في تلك الأسرة الأرستقراطية ولوحاز جميع أوصاف الشرف والمكرمة وغير ذلك من السخافات والترهات، فصار السبئيون أصلًا لكل فرقة خرجت عن الشيعة، وصارت أفكار ابن السوداء عقائد لجميع تلك الفرق، فافترقوا حسب اختلافهم بالأخذ عنهم وعنها، فمن أخذها بحذافيرها سُمي بذلك ومن أخذ بعضها وترك بعضًا منها سُمي بأولئك، ومن أخذ الأكثر وترك القليل سُمي بهذا الاسم، وهكذا ولكنها ولا واحدة منها سلكت مسلكًا غير مسلكهم، ولا انتهجت غير منهجهم، ولا مشت غير ممشاهم، وسوف ترى كل ذلك بعينيك وتشاهدها بنفسك بكتب موثوقة معتمدة وبالأدلة والبراهين كما سنبينه في باب الفرق في الباب المستقل من هذا الكتاب حول فرق الشيعة.

وعلى ذلك قال الحكيم الدهلوي عند بحثه عن فرق الشيعة وبعد ذكر الصحابة: وهذه الفرقة هم رؤساء الروافض وأسلافهم ومسلموالثبوت عندهم فإنهم وضعوا بناء دينهم وأيمانهم في تلك الطبقة على رواية هؤلاء الفساق المنافقين ومنقولاتهم، فلذا كثُرت روايات هذه الفرقة عن الأمير ـ كرم الله تعالى وجهه ـ بواسطة هؤلاء الرجال.

وقد ذكر المؤرخون سبب دخول أولئك المنافقين في هذا الباب، وقالوا إنهم قبل وقوع التحكيم كانوا مغلوبين لكثرة الشيعة الأولى في عسكر الأمير وتغلبهم ولما وقع التحكيم وحصل اليأس من انتظام أمور الخلافة وكادت المدة المعينة للخلافة تتم وتنقرض وتخلفها نوبة العضوض رجع الشيعة الأولى من دومة الجندل التي كانت محل التحكيم إلى أوطانهم لحصول اليأس من نصرة الدين وشرعوا بتأييده بترويج أحكام الشريعة والإرشاد ورواية الأحاديث وتفسير القرآن المجيد كما أن الأمير ـ كرم الله تعالى وجهه ـ دخل الكوفة واشتغل بمثل هذه الأمور، ولم يبق في ركاب الأمير إذ ذاك من الشيعة الأولى إلا القليل ممن كانت له دار في الكوفة فلما رأت هاتيك الفرقة الضالة المجال في إظهار ضلالتهم أظهروا ما كانوا يخفونه من إساءة الأدب في حق الأمير وسب أصحابه وأتباعه الأحياء منهم والأموات، ومع هذا كان لهم طمع في المناصب أيضًا لأن العراق وخراسان وفارس والبلاد الأخرى الواقعة في تلك الأطراف كانت باقية بعد في تصرف الأمير وحكومته، والأمير ـ كرم الله تعالى وجهه ـ عاملهم كما عاملوه كما وقع ذلك لموسى عليه السلام مع اليهود ولنبينا محمد عليه الصلاة والسلام مع المنافقين(١).

وقد أقر بذلك النوبختي حيث كتب:

«فلما قُتل علي ـ عليه السلام ـ افترقت [الناس] التي تثبت على إمامته فصاروا فرقًا ثلاثا: فرقة منهم قالت: إن عليًا لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي صلى الله عليه وآله من هذه الأمة، وأول من قال بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال: إن عليًا ـ عليه السلام ـ أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أتقتل رجلًا يدعوإلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٥٦ – ٥٨.

فصيره إلى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي ـ عليه السلام ـ أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا ـ عليه السلام ـ وكان يقول وهوعلى يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي ـ عليه السلام ـ بمثل ذلك، وهوأول من شهر القول بفرض إمامة علي ـ عليه السلام ـ وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت، لوجئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلًا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض(١).

ومثل ذلك ذكره الكشي وغيره ممن تقدم ذكرهم.

وقصدًا أعدنا هذه العبارة لما لها من علاقة مباشرة بالموضوع، ولما لها أهمية كبيرة في فهم التشيع والشيعة، ولنعيد إلى ذهن القارئ ما لعله قد غاب عنه.

فكان هذا أول حدث عقائدي في التشيع وتغيير جذري غير منهج الشيعة في الفكر والرأي عبر القرون، ومن هنا بدأت تتزعم اليهودية وتترأس أفكار التشيع والشيعة كما أقر بذلك النوبختي وبعده الكشي وقبله سعد القمي وغيرهم الكثيرون، والكثيرون، وإليه ذهب كل من حقق ودقق وغربل التاريخ من المسلمين وغير المسلمين من المؤرخين والرجاليين وأصحاب المقالات في الفرق والعقائد من السنة والشيعة والمستشرقين من اليهود والنصارى وغيرهم فيقول ولهوزن وهويذكر السبئية:

ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان علي والحسن وتُنسب إلى عبد الله بن سبأ. وكما يتضح من اسمه الغريب، فإنه أيضًا يمنيًا، والواقع أنه من العاصمة صنعاء. ويقال أيضًا أنه كان يهوديًا. وهذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية. والمسلمون يطلقون (اليهودي) على ما ليس في الواقع كذلك، بيد أنه يلوح أن مذهب الشيعة، الذي ينسب إلى عبد الله بن سبأ أنه مؤسسه، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين(٢).

وسوف نتكلم عن السبئية وعقائدها التي سلحهم بها اليهود وغيرهم في باب آخر

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٣-٤٤.

(٢) الخوارج والشيعة ص ١٧٠-١٧١.

حيث نضطر إلى إعادة القول عن السبئية هناك، وقبل أن نأتي إلى آخر القول نريد أن نذكر هاهنا أن جماعة من الشيعة الأولى لا زالوا على عقائدهم الأصلية والتي ليس بينهما وبين عقائد المسلمين الأولين أي فرق إلى أن حصلت التغييرات الأخرى وعلى رأس هؤلاء كان أولاد علي ـ رضي الله عنه ـ من الحسن والحسين ومحمد وأبي بكر وعمر وعثمان والعباس وغيرهم من أبناء عليّ وبقية الهاشميين،من أبناء العباس وعُقيل وجعفر وطالب وغيرهم من أبناء عمومة الحسنين وأبناء أعمام أبيهم.

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الباب، ومن ثم ننتقل إلى باب آخر. وهويشتمل على التهم الباطلة والإيرادات الواهية والمطاعن المختلفة التي اخترعها السبئيون للقضاء على دولة الإسلام وأميرها خليفة المسلمين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لأنه خلف بعد الشيعة الأولى خلف تبنوا هذه الأفكار وتركوا سبيل عليّ وأهل بيته، فسلطوا ألسنتهم وأقلامهم تبعًا لسلفهم غير الصالح على ذلك الإمام المظلوم الذي قُتل ظلمًا وبغيًا وجورًا، كما أن له علاقة بالموضوع حيث إن قتلته أومن ساعد قاتليه على قتله هم الذين أيدوا السبئية، ومنهم تكونت وبآرائهم اعتنقوا وبأفكارهم تضللوا وانحرفوا عن جادة الحق والهدى، والضغائن، وثبت التفرقة والإنشقاق، وتثير الآلام وتقشر الجراحات وتحيي الأوجاع، وبهذا نمشي أيضًا مع مجرى التاريخ وثمراته ونتائجه وبالله التوفيق ونسأله العدل في القول، والإصابة في الحق، وهوولي القبول.

* * *

الباب الثالث

الشيعة ومطاعنهم على ذي النورين رضي الله عنه والسبئية وفتنهم أيامه

قبل أن نتكلم في هذا الموضوع نريد أن نكشف الحجاب عن بعض الحقائق الواقعة التي طالما خفيت على كثير من الناس وحتى على الخاصة منهم. ومنها أن الشيعة عامة جعلوا الكذب شعار لهم وأصبغوا عليه صبغة دينية باسم التقية حيث قالوا: لا إيمان لمن لا تقية له[١].

ونسبوا هذه الرواية إلى محمد الباقر زورًا وبهتانًا.

حتى اشتكى منهم ومن أكاذيبهم الكثيرة والجريئة، عليٌ وأهل بيته الذين يعدونهم أئمة لهم، اشتكوا منهم كثيرًا لهذا، فقد ذكر الكشي كبيرهم في الرجال عن ابن سنان:

قال أبوعبد الله عليه السلام: «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلومن كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله وكان الذي يكذب عليه عبدالله بن سبأ لعنه الله، وكان أبوعبد الله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتُلي بالمختار. ثم ذكر أبوعبد الله الحارث الشامي وبنان، فقال: كانا يكذبان على عليّ بن الحسين عليه السلام، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيغًا والسري وأبا الخطاب ومعمرًا وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي فقال: لعنهم الله، إنا لا نخلومن كذاب يكذب علينا، كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد»[٢].

ثانيًا: أن أكثر الرواة الذين ذكروا تلك التهم والمطاعن التي جرت إلى قتل عثمان أمير المؤمنين، وفتح باب الفتنة بين المسلمين هم من الشيعة، وقد كبروا الصغير

---

(١) الكافي في الأصول باب التقية ج ٢ ص ١٩ ط إيران.

(٢) رجال الكشي ص ٢٥٧، ٢٥٨.

وفخموا الحقير ونفخوا في الكير، وعنهم نقل المؤرخون كل ما هب ودب بدون تنقية وتحقيق وبدون نقد وتدقيق، ولم يميزوا الصدق من التلفيق والباطل من الحق والغث من السمين، وأدرج المؤرخون والنقلة منهم كل ما اخترعوها واختلقوها دعاية لباطلهم وتأييدًا لمذهبهم وتصديقًا لأهدافهم وأغراضهم.

ثالثًا: ولم ينقلوا هذه الوقائع عمن شاهدوها، بل كان سمعًا، على سمع وكذبًا على كذب، وباطلًا على باطل. وكثيرًا ما يروي الراوي الحادثة والواقعة وبينه وبينها بعد عشرات السنين كما سنبين.

رابعًا: الرواة مع كذبهم ودجلهم وكونهم دعاة إلى مذهبهم هم طرف في تلك الوقائع والحوادث حيث يتبعون تلك الشلة والطائفة التي نفخت في الرماد وسعرت نار الفتنة، فهم على شاكلتهم يعملون نفس العمل ويسعون بنفس الفساد بالقلم واللسان، الذي سعى به أسلافهم بالجسد والروح. فعلى ذلك يجب التحرز على كل منصف يريد أن يعرف الحقائق عن قبول رواياتهم ومروياتهم، مغمضًا العينين، معرضا عن الشكوك والشبهات. فيحتاط في كل رواية لاتؤيده رواية أخرى من الثقات المعتمدين غير المنحازين إلى طرف في الموضوع.

ولذلك لايلفت إلى ماتفرد به أبو مخنف والواقدي والكلبيان للإستنباط والإستنتاج والحكم.

ومن سوء الحظ أن هؤلاء هم العمدة للرواية عن هذه الوقائع والوقيعة في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسادة هذه الأمة وقادتها، وهم خلف لسلفهم الذين كانوا قادة البغاة والطغاة وعملاء اليهودية العالمية التي كانوا يعتقدونها، وحاملين نفس الأفكار التي كانوا مسومين بها، سالكين نفس الأسلوب الذي عرف في الزمن الأخير بأسلوب «جوئبلز»:

أكثر الكذب قدر ما تستطيع حتى تظنه صدقًا بدون خجل ولا وجل ولا حياء، فما أكثر ما كذبوا وما أشنعه، وما أجراءهم على ذلك. ونحن تعودنا أن لا نتكلم إلا مستندين إلى الحقائق [متثبتين] بالأدلة الناصعة والبراهين القاطعة، ولا نتفوه بالظن

والتخمين [بل] بالوثائق الموثوقة والمصادر المعتمدة. وهاهي الوثائق:

أبومخنف: فقد ذكره محسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) تحت عنوان مؤلفي الشيعة في السير والتاريخ والمغازي، فيقول: أبومخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي.

قال النجاشي: من أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم وصنف كتبًا كثيرة منها: فتوح الشام، العراق، خراسان، الجمل، صفين، النهر، الغارات، مقتل الحسين عليه السلام وغيرها، وقال ابن النديم في الفهرست: قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز قالت العلماء: أبومخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس والواقدي بالحجاز والسيرة. وقد اشتركوا في فتوح الشام واثنان من الثلاثة شيعة: أبومخنف، والواقدي[1].

ولقد ذكره النجاشي كما عرفت في مصنفي الشيعة، وزاد على كتبه التي ذكرها المحسن: كتاب السقيفة، وكتاب الشورى، وكتاب قتل عثمان، وكتاب الحكمين، ومقتل أمير المؤمنين، وقتل الحسين، ومقتل الحسين حجر بن عدي، وأخبار المختار، وأخبار الزيات، وأخبار محمد بن أبي بكر، ومقتل محمد ـ وغيره من الكتب ـ كما ذكر أنه شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يسكن إلى ما يرويه، روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام[2].

وذكر الطوسي أن أباه كان من أصحاب عليّ كما ذكره في رجاله وقد ذكره الحلي في الثقات، أبوه كان من أصحاب الباقر وهومن أصحاب جعفر[3].

وقد ذكره القمي في كتابه فقال:

لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الأخبار الكوفة ووجههم كما جش، وتوفي سنة ١٥٧ هـ يروى عن الصادق عليه السلام ويروي عنه هشام بن الكلبي وجده مخنف بن سليم صحابي شهد الجمل في أصحاب علي عليه

(١) أعيان الشيعة الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٢٧.
(٢) فهرست أسماء مصنفي الشيعة للنجاشي ص ٢٢٤- ٢٢٥ ط قم.
(٣) انظر رجال الحلي ص ٢٨٢.

السلام حاملًا راية الأزد، فاستشهد في تلك الوقعة سنة ٣٦ هـ، وكان أبومخنف من أعاظم مؤرخي الشيعة ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عنه كالطبري وابن الأثير وغيرهما، وليعلم أن لأبي مخنف كتبًا كثيرة في التاريخ والسير، منها كتاب مقتل الحسين عليه السلام الذي نقل منه أعاظم العلماء المتقدمين، واعتمدوا عليه[١].

هذا ما صرح به علماء الشيعة بتشيعه وتنبئ أسماء كتبه عن مغالاته وإغراقه في التشيع كما عددناها من النجاشي.

وأما السنة فقد قالوا فيه كما نقل عنهم الإمام ابن حجر العسقلاني:

لوط بن يحيى أبومخنف: إخباري تالف، لا يوثق به، تركه أبوحاتم وغيره.

وقال الدارقُطني: ضعيف. وقال يحيى بن معين: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء.

وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم ـ قلت: روى عن الصعقي بن زهير وجابر الجعفي ومجالد. روى عن ابن المدائني وعبدالرحمن بن مغراء، ومات قبل السبعين ومائة ـ وقال أبوعبيد الآجري: سألت أبا حاتم عنه فنفض يده، وقال: أحد يسأل عن هذا؟. وذكره العقيلي في الضعفاء[٢].

ومثل ذلك ذكر الذهبي في ميزانه[٣].

كما ذكره الذهبي في (المنتقى) من منهاج السنة عن شيخ الإسلام ابن تيمية تحت المعروفين بالكذب وعقب ذكره بقول الأشهب بن عبد العزيز القيسي أنه قال:

سُئل مالك رضي الله عنه عن الرافضة؟ فقال: لا تكلمهم ولا تروعنهم، فإنهم يكذبون، وعن حرملة بن يحي أنه قال: سمعت الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يقول: لم أر أحد أشهد بالزور من الرافضة، وعن مؤمل بن إهاب الربعي أنه قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: يكتب عن كل مبتدع ـ إذا لم يكن داعية ـ إلا الرافضة، فإنهم يكذبون، وعن

(١) الكنى والألقاب ج ١ ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢ – ٤٩٣.

(٣) انظر لذلك ميزان الإعتدال للذهبي ج ٢ ص ٣٦٠.

محمد بن سعيد الأصفهاني أنه قال: سمعت شريك بن عبد الله النخعي يقول: أحمل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه حديثًا. وعن أبي معاوية أنه قال: سمعت الأعمش يقول: أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين (يعني الروافض) ثم قال نقلًا عن شيخ الإسلام:

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأي المعروف عن مصنفيها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف. والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون بالتقية[1].

فتلك هي آراء أئمة الجرح والتعديل ومهرة الفن في نقد الرجال في أبي مخنف، وهذه هي أقوال الأئمة والحفاظ والمحدثين في الاعتماد عليهم.

وخلاصة ما ذكرنا أن أبا مخنف متفق على تشيعه عند الطرفين، الشيعة والسنة، غير معتمد وموثوق فيه. وأما قول القمي: ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء النقل من السنة كالطبري، فليس إلا كذب عادة قومه وذويه، لأنه من المعروف عند كل من قرأ الطبري ونظر فيه بأنه لم يشترط إدراج كل ما صح عنده في تاريخه ولم يلتزم صحة ما نقل. وقد صرح في مقدمة كتابه حيث قال:

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أويستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحوما أدى علينا[2].

وأما ابن الأثير فإنه صرح أيضًا في مقدمة كتابه أنه ناقل عن الطبري ومعتمد عليه في نقله كما يقول:

إني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبوجعفر الطبري إذ هوالكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٢١، ٢٢، ٢٣ ط المطبعة السلفية القاهرة.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ١ ص ٥ مقدمة الكتاب ط بيروت.

بترجمة واحدة منها [١].

فهذه هي حقيقة أبي مخنف والإعتماد عليه من الطبري وابن الأثير.

وأما الواقدي فلقد قال فيه الحسن الشيعي:

ومحمد بن عمر الواقدي، قال ابن النديم: كان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية، وهوالذي روى أن عليًا عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كالعصا لموسى صلى الله عليه وسلم وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام وغير ذلك من الأخبار. عالمًا بالمغازي والسير والفتوح والأخبار خلف ٦٠٠ قمطر كتبًا كل حمل رجلين وقبل ذلك بيع له كتب بألفي دينار، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار له التاريخ الكبير، المغازي، المبعث، أخبار مكة، فتوح الشام، فتوح العراق، الجمل، مقتل الحسين عليه السلام، السيرة، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة في السير والتاريخ [٢].

وذكره القمي:

أبوعبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني: كان إمامًا عالمًا، له التصانيف والمغازي وفتوح الأمصار، وله كتاب الردة وغير ذلك، كان من أقدم مؤرخي الإسلام. وكتاب مغازيه له مقدمة وشروح باللغة الإنجليزية يروى عنه كتابه محمد بن سعد وجماعة من الأعيان... وكان الواقدي مع ما ذكرناه من سعة علمه وكثرة حفظه لا يحفظ القرآن، ثم روى عن المأمون أنه قال للواقدي: أريد أن تصلي الجمعة غدا بالناس قال: فامتنع، قال: لا بد من ذلك، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أحفظ سورة الجمعة حتى يبلغ النصف منها، فإذا حفظه ابتدأ بالنصف الثاني، فإذا حفظ النصف الثاني نسي الأول فاتعب المأمون وتعس، فقال لعلي بن صالح: يا علي احفظه أنت، فذكر أنه مثل المأمون لم يقدر على أن يحفظه، فقال المأمون: اذهب فصل بهم واقرأ أي سورة شئت، وروي عن غسان قال: صليت خلف الواقدي صلاة الجمعة فقرأ: إن هذا لفي الصحف الأولى صحف

(١) الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٥ مقدمة.

(٢) أعيان الشيعة القسم الأول الجزء الأول ص ١٢٨.

«عيسى»[١] وموسى..كان يتشيع حسن المذهب يلزم التقية، وهوالذي روى أن عليًا عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالعصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام وغير ذلك من الأخبار[٢].

وقد ذكره الخوانساري في كتابه[٣] ولقبه بالإمام العلام.

هذا ما أقر به الشيعة بأنه شيعي سيء الذاكرة، غير ضابط لم يكن القرآن يستقر في ذاكرته وقلبه.

وأما ما ذكره أئمة الرجال وجهابذة الجرح والتعديل من السنة فإليك بيانه، قال ابن حبان: كان يروي عن الثقات مقلوبًا وعن الأثبات معضلات... وكان أحمد بن حنبل يكذبه..... وكان يقول المديني: الواقدي يضع الحديث[٤].

وقال الذهبي: مجمع على تركه، وقال النسائي: كان يضع الحديث[٥].

وأما ابن حجر فجمع أقوال العلماء فيه، فذكر أن البخاري قال: الواقدي مدني سكن بغداد، متروك الحديث، تركه أحمد وابن المبارك وابن نمير وإسماعيل بن زكريا، وقال معاوية بن صالح: قال لي أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب.

وقال لي يحيى بن معين: ضعيف. وقال مرة ليس بشيء... قال ابن المديني: الهيثم بن عدي أوثق عندي من الواقدي، وأرضاه في الحديث... قال الشافعي كتب الواقدي كلها كذب.

---

(١) ولا ندري كيف يعتقد القوم فيه الأمانة في التاريخ والأخبار ونقل الحوادث والوقائع وهوالذي لا يستطيع ضبط سورة قصيرة من القرآن، فهل مثل هذا يعتمد عليه أن يضبط الوقائع والحوادث بالتاريخ والتفصيل؟. أولم يكن يستطيع حفظ القرآن لأنه لم يكن من القوم الذين يعتقدون فيه؟ كما أثبتنا عقيدتهم في القرآن في كتابنا (الشيعة والسنة) ومن أراد معرفة ذلك فليراجع.

(٢) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢.

(٣) روضات الجنات ج ٧ ص ٢٦٨.

(٤) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ٢٨٤ ط دكن.

(٥) المغني للذهبي ج ٢ ص ٦١٩.

وقال النسائي في (الضعفاء): الكذابون المعروفون بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة: الواقدي في المدينة، ومقاتل في الكوفة، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام، وذكر الرابع، وقال ابن عدي: أحاديثه غير موثوقة.

قال ابن المديني: عندي عشرون ألف حديث ما لها أصل، وإبراهيم بن يحيى كذاب وهوعندي احسن حالًا من الواقدي.

وقال أبوداود: لا أكتب حديثه ولا أحدث عنه، ما اشك أنه كان يفتعل الحديث..... وقال بندار: ما رأيت أكذب منه.

وقال إسحاق بن راهويه: هوعندي ممن يضع. وحكى ابن العربي عن الشافعي قال: كان بالمدينة سبعة رجال يضعون الأسانيد أحدهم الواقدي، وقال أبوزرعة وأبوبشر الدولابي والعقيلي: متروك الحديث.

وقال أبوحاتم الرازي: وجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين مناكير..... وحكى ابن الجوزي عن أبي حاتم أنه قال: كان يضع. ولقد حدث بعد ذلك ابن حجر قصة تنبئ عن جرأته على الكذب والدجل:......حدثنا عمروالناقد قال: قلت للواقدي: تحفظ عن الثوري عن ابن خيثم عن عبد الرحمن بن نبهان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبي في لعن زوارات القبور، فقال: حدثنا سفيان، فقلت أمله عليّ، فأملاه علي بالمسند، فقال: نا عبد الرحمن بن ثوبان فقلت: الحمد لله الذي أوقعك، أنت تعرف أنساب الجن ومثل هذا يخفى عليك؟ قال الساجي: والحديث حديث قبيصة ما رواه عن سفيان غيره، وقال النووي: الواقدي ضعيف باتفاقهم، وقال الذهبي في الميزان: استقر الإجماع على وهن الواقدي، وتعقبه بعض مشايخنا بما لا يلاقي كلامه.

وقال الدارقُطني: الضعف يتبين على حديثه، وقال الجوزجاني: لم يكن مقنعًا[1].

فهذا هوالواقدي، وهذا هوشأنه عند العلماء الأعلام من السنة، وهذا مع تشيعه باعتراف الشيعة أنفسهم بأنه شيعي وليس شيعيًا فحسب، بل من الذين يلزمون التقية

---

(١) تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلاني ج ٩ ص ٣٦٣ إلى ٣٦٨ ملخصًا ومختصرًا ومثله ذكر الذهبي في ميزان الإعتدال ج٣ ص ١١٠.

أي الكذب بتعبير صحيح.

وأما محمد بن السائب وابنه هشام فلقد ذكرهما محسن الأمين في طبقات المؤرخين من الشيعة[١].

كما ذكرهما ابن النديم الشيعي في فهرسته.

وكما ذكر النجاشي هشام بن محمد بقوله:

هشام بن محمد بن السائب بن بشير بن زيد بن عمروبن الحارث بن عبد الحارث بن عزى بن امرئ القيس عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عوف بن زيد اللات وقيده بن ثور بن كلب بن وبرة المنذر: الناسب العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا، وله الحديث المشهور، وقال: اعتللت علة عظيمة نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام فسقاني العلم في كأس فعاد إليّ علمي، وكان أبوعبد الله عليه السلام يقربه ويدنيه ويبسطه، وله كتب كثيرة منها: كتاب مثالب ثقيف، كتاب مثالب بني أمية، كتاب مقتل عثمان، كتاب مقتل أمير المؤمنين، كتاب حجر بن عدي، كتاب الحكمين، كتاب مقتل الحسين عليه السلام، كتاب أخبار محمد بن الحنفية وغيرها[٢].

وكما ذكره أباه ابن داود الحلي في القسم الأول من رجاله، وذكر أنه من أصحاب الباقر[٣].

وذكر ابنه هشام وذكر أنه كان يقربه جعفر ويدنيه[٤].

وعد شيخ الطائفة الطوسي محمد بن السائب في رجاله من أصحاب الصادق[٥].

وأيضًا من أصحاب الباقر[٦].

---

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) رجال النجاشي ص ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) رجال ابن داود الحلي ص ٣١٢.

(٤) أيضًا ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٥) رجال الطوسي ص ٢٨٩.

(٦) أيضًا ص ١٣٦.

وكان غاليًا في التشيع، أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق[١].

ولقد ذكرهما عالم الشيعة في الرجال العباس القمي بقوله:

الكلبي النسابة، ويقال له ابن الكلبي أيضًا أبوالمنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، كان من أعلم الناس بعلم الأنساب، وقد أخذ بعض الأنساب عن أبيه أبي النضر محمد بن السائب الذي كان من أصحاب الباقر والصادق عليهم السلام، وأخذ أبوالنصر نسب قريش عن أبي صالح عن عقيل بن أبي طالب، قال ابن قتيبة: وكان جده بشر وبنوه السائب وعبيد الرحمن شهدوا الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتل السائب مع مصعب بن الزبير، وشهد محمد بن السائب الكلبي الجماجم مع ابن الأشعث، وكان نسابًا عالمًا بالتفسير، وتوفي بالكوفة وعن السمعاني أنه قال في ترجمة محمد بن السائب أنه صاحب التفسير، وكان من أهل الكوفة قائل بالرجعة، وانه هشام ذا نسب عال وفي التشيع غال، وفي (الرجال الكبير): هشام بن محمد بن السائب أبوالمنذر الناسب العالم، المشهور بالفضل والعلم، العارف بالأيام، كان مختصًا بمذهبنا، قال: اعتللت علة عظيمة نسيت علمي، فجئت إلى جعفر بن محمد عليه السلام فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي، وكان أبوعبد الله عليه السلام يقربه ويدنيه وينشطه، قلت: حكى المعاني وغيره، عن قوة حفظه أنه حفظ القرآن في ثلاثة أيام، وأنا أقول: لا بدع في ذلك، فإن من سقاه الصادق عليه السلام العلم في كأس يحفظ القرآن بأقل من ثلاثة أيام، توفي سنة ٢٠٦ أو ٢٠٤[٢].

وأنا أظن بأنه يكفي هذا لبيان حقيقة أحوال هشام وأبيه محمد حيث أنهما من أسرة شيعية بحتة من قديم الزمن.

وأما ما قاله السنة فنقل عن معمر بن سليمان عن أبيه أنه قال: كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي، وقال ليث بن أبي سليم كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي، والآخر السدي. وقال الدوري عن يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال معاوية بن صالح عن

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٩.

(٢) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٩٤ – ٩٥ – ٩٦.

يحيى: ضعيف وقال أبوموسى: ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن سفيان عنه بشيء، وقال البخاري تركه يحيى وابن مهدي وقال الدوري عن يحيى بن يعلى المحاربي قال: قيل لزائدة: ثلاثة لا تروي عنهم ابن أبي ليلى وجابر الجعفي، والكلبي، قال أما ابن أبي ليلى فلست أذكره وأما جابر فكان والله كذابًا يؤمن بالرجعة، وأما الكلبي وكنت أختلف إليه فسمعته يقول مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ فأتيت آل محمد فتفلوا في فيّ فحفظت ما كنت نسيت فتركته، وقال الأصمعي عن أبي عوانة: سمعت الكلبي يتكلم بشيء من تكلم به كفر فسألته عنه فجحده، وقال عبد الواحد بن غياث عن ابن مهدي: جلس إلينا أبوجزء على باب أبي عمروبن العلاء، فقال: أشهد أن الكلبي كافر قال: فحدثت بذلك يزيد بن زريع فقال سمعته يقول: أشهد أنه كافر قال: فماذا زعم؟ قال سمعته يقول: كان جبريل يوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام النبي لحاجته وجلس علي فأوحى إلى علي، فقال يزيد: أنا لم أسمعه يقول هذا ولكني رأيته يضرب صدره ويقول أنا سبئي أنا سبئي. قال العقيلي: هم صنف من الرافضة أصحاب عبد الله بن سبأ، وقال ابن فضيل عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال لمحمد بن السائب: ما دمت على هذا الرأي لا تقربنا وكان مرجئًا وقال زيد بن الحباب سمعت الثوري يقول: عجبًا لما يروى عن الكلبي، قال ابن أبي حاتم: فقلت لأبي: إن الثوري روى عنه، فقال: كان لا يقصد الرواية عنه ويحكي حكايته تعجبًا فيعلقه من حضره ويجعلونه رواية، وقال علي بن مسهر عن أبي جناب الكلبي حلف أبوصالح: أني لم أقرأ على الكلبي من التفسير شيئًا، وقال أبوعاصم: زعم لي سفيان الثوري قال: قال الكلبي: ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهوكذب فلا ترووه، وقال الأصمعي عن قرة بن خالد: كانوا يرون أن الكلبي يزخرف يعني يكذب، وقال يزيد بن هارون: كبر الكلبي وغلب عليه النسيان، وقال أبوحاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه هوذاهب الحديث لا يشتغل به، وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال ابن عدي: له غير ما ذكرت أحاديث صالحة وخالصة عن أبي صالح وهومعروف بالتفسير وليس لأحد أطول من تفسيره وحدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير وأما في

الحديث ففيه مناكير ولشهرته فيما بين الضعفاء يكتب حديثه وقال ابن أبي حاتم: كتب البخاري في موضع آخر محمد بن بشر سمع وعمروبن عبد الله الحضرمي وعنه محمد بن إسحاق قال ابن أبي حاتم: هوالكلبي، قال محمد بن عبدالله الحضرمي مات: بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة. قلت: ساق ابن سعد نسبه إلى كلب بن وبرة قال: وكان شهد جده بشر وبنوه السائب الجماجم مع ابن الأشعث وكان عالمًا بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم توفي بالكوفة سنة ست وأربعين أخبرني بذلك ابنه هشام، قالوا: ليس ذاك، في روايته ضعيف جدًا، وقال علي بن الجنيد والحاكم أبوأحمد والدارقطني: متروك، وقال الجوزجاني: كذاب ساقط، وقال ابن حبان، وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه روى عن أبي صالح التفسير وأبوصالح لم يسمع من ابن عباس لا يحل الإحتجاج به، وقال الساجي: متروك الحديث وكان ضعيفًا جدًّا لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع، قال الحاكم أبوعبد الله: روى عن أبي صالح أحاديث موضوعة[(١)].

فهذا هوالرجل وهذا هومقامه وشأنه، وهذه هي أقوال العلماء فيه، وهذا هووضعه من التشيع والكذب إلى حد الكفر.

وأما ابنه هشام فهو، يروي عنه وهومثله، رافضي متروك كما ذكره الذهبي وغيره[(٢)].

وأما الكلبي هذا فلقد صنف كتابًا في مثالب الصحابة كما ذكره ابن المطهر الحلي في كتابه منهاج الكرامة[(٣)].

وقال الإمام ابن تيمية فيه وأيضًا نقل كلام الأئمة الأعلام في كتابه:

هشام الكلبي: وهومن أكذب الناس وهوشيعي يروي عن أبيه وعن أبي مخنف لوط بن يحيى، وكلاهما متروك كذاب، وقال الإمام أحمد: ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه، إنما

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ١٧٨-١٧٩-١٨١-١٨٠.

(٢) انظر لذلك ميزان الإعتدال ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) ص ٥٨ الملحق بكتاب منهاج السنة لابن تيمية.

هوصاحب سمر ونسب، وقال الدارقطني: هومتروك، وقال ابن عدي: هشام الكلبي الغالب عليه الأسمار، ولا أعرف له في المسند شيئًا وأبوه أيضًا كذاب ساقط، وقال زائدة والليث وسليمان التيمي: هوكذاب، وقال يحيى: ليس بشيء كذاب ساقط، وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه[١].

فهؤلاء الأربعة هم العمدة للمؤرخين في سرد الروايات والحكايات والخزعبلات عن الحوادث والكوارث التي وقعت أيام عثمان رضي الله عنه والحروب التي حلت بين علي وبين المطالبين بثأر عثمان وقصاصه إلى شهادة الحسين وما ترتب عليها من الأمور والنتائج، فصبغوها بصبغة خاصة واستغلوها لنشر السبئية وعقائدهم من مدخل التاريخ بعدما خدعوا كثيرًا من الناس باسم العقائد وحب أهل البيت، ففتحوا مدخلًا جديدًا للطعن والتشنيع في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، في الأخيار البررة، ولإدخال السُذج الغفلة من الناس في دينهم الذي لم يأت به إلا عبد الله بن سبأ وأنصاره وأشياعه، ولم يؤسس قواعده وأصوله ولم يكون أسسه وضوابطه إلا هم ومن والاهم. ولذلك قدمنا الكلام في هؤلاء الناس قبل ذكر الوقائع والمطاعن لكي يعرف قيمة الروايات بقدر الرواة، ويعلم أن كل واقعة وحادثة يتفرد بروايتها هؤلاء السبئيون والشيعة لا يعتمد عليها ولا يكون لها اعتبار.

وبعد بيان هذه الأمور الهامة نقول: إن السبئيين خططوا خطة ودبروا مؤامرة للتفريق بين المسلمين وتمزيق كلمتهم وتشتيت شملهم وهدم كيان الإسلام والقضاء على الخلافة الإسلامية.

فأولًا: بنشر العقائد اليهودية والمدخولة الأجنبية بين المسلمين، ثم بنشر الأكاذيب والأراجيف عن الحكام وولاة الأمور. فنعيد عبارة ابن جرير الطبري، التي ذكرناها في مبحث السبئية لتبيين الحقائق عن المطاعن التي اخترعوها على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن عثمان هوعثمان المعروف بالكريم الحليم، الجواد السخي، الشريف الحيي، ابن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه

(١) منهاج السنة ج ٣ ص ١٩.

وسلم وزوج ابنتيه، والممدوح من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وعلي وأولاده[١].

وليعرف كيف حكيت ضده المؤامرات وكيف أحكم نسيجها وكيف أثيرت ضده الفتن ومن كان وراءها، فيقول الطبري:

كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء أمة سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمد يرجع وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إن كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكانت من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تنالوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما فيه الناس وجامعه محمد

(١) انظر لتفصيل ذلك كتابنا (الشيعة وأهل البيت).

وطلحة من هذا المكان قالوا فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإنا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا، إليهم: قال فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي، قالوا نشير عليك أن تبعث رجالًا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعًا قبل عمار فقالوا: أيها الناس ما أنكرنا شيئًا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعًا: الأمر أمر المسلمين إلا أن أمرائهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، واستبطأ الناس عمار حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارًا قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر(١).

وإتمامًا للفائدة نذكر ما ذكره الطبري من رد فعل عثمان رضي الله عنه على ذلك:

ثم كتب عثمان إلى أهل الأمصار أما بعد فأتى آخذ العمال بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقوامًا يشتمون وآخرون يضربون فيا من ضرب سرًا وشتم سرًا من ادعى شيئًا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان مني أومن عمالي أوتصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قُرِيء في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا: إن الأمة لتمخض بشر وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه، عبدالله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد وأدخل معهم في المشورة سعيدًا وعمرًا فقال: ويحكم ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقًا عليكم وما يعصب هذا الأبي فقالوا: ألم تبعث ألم نرجع إليك الخبر عن القوم ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلًا وما كنت لتأخذ به أحدًا

(١) الطبري ج ٥ ص ٩٨، ٩٩.

فيقيمك على شيء وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها ولا الإنتهاء إليها، قال: فأشيروا علي؟ فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يصنع في السر فيلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم، وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم فإنه خير من أن تدعهم، قال معاوية: قد وليتني فوليت قومًا لا يأتيك عنهم إلا الخير والرجلان أعلم بناحيتيهما قال: فالرأي؟ قال: حُسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو، قال: أرى أنك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين إن الشدة تنبغي لمن لا يألوا الناس شرًا واللين لمن يخلف الناس بالنصح وقد فرشتهما جميعًا اللين، وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به عليّ قد سمعت ولكل أمر باب يؤتى منه إن هذا الأمر الذي على هذه الأمة كائن وأن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة إلا في حدود الله تعالى ذكره التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها فإن سده شيء فرفق فذاك والله ليفتحن وليست لأحد على حجة حق وقد علم الله أني لم آل الناس خيرًا ولا نفسي ووالله إن رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا بهم وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها(١).

وأما الإيرادات التي أوردوها عليه والمطاعن التي اخترعوها لتمزيق دولة الإسلام، فهي التي ذكرها واحدًا بعد واحد وردها عثمان ذوالنورين في خطبته التي ذكرها جميع المؤرخين أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن هؤلاء ذكروا أمورًا قد علموا منها مثل الذي علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها عليّ عند من لا يعلم وقالوا: أتم الصلاة في السفر وكانت لا تتم، ألا وإني قدمت بلدًا فيه أهلي فأتممت لهذين الأمرين، أوكذلك قالوا: اللهم نعم، وقالوا؟ وحميت حمى؟ وإني والله ما حميت حمى قبلي والله ما حموا شيئًا لأحد ما حموا إلا

(١) الطبري ج ٥ ص ٩٩، ١٠٠.

ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعيه أحدًا واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ما منعوا ولا نحّوا منها أحد إلا من ساق درهمًا ومالي من بعير غير راحلتين ومالي ناغية ولا راغية وأني قد وليت وإني أكثر العرب بعيرًا وشاء فما اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، وقالوا كان القرآن كتبًا فتركها إلا واحدًا، ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقتلهم، وقالوا أني رددت الحكم وقد سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكم مكي سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم سيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم رده أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، وقالوا: استعملت الأحداث ولم أستعمل إلا مجتمعًا محتملًا مرضيًا وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه وهؤلاء أهل بلده ولقد ولي من قبلي أحدث منهم وقيل في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما قيل لي في استعماله أسامة، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس ما لا يفسرون، وقالوا: أني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه وأني إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف وقد أنفذ مثل ذلك أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذاك لهم، أكذلك؟ قالوا نعم، وقالوا: أني أحب أهل بيتي وأعطهم فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور بل أحمل الحقوق عليهم وأما إعطاؤهم فإني ما أعطيهم من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة والرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين أتيت على ما قالوا، وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلًا فيجوز ذلك لمن قاله، وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلًا فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم وما قدم عليّ إلا الأخماس ولا يحل لي منها شيء فولى المسلمين وضعها في أهلها دوني ولا يتلف من مال الله بفلس فما فوقه وما أتبلغ منه ما آكل إلا من مالي، وقالوا: أعطيت الأرض رجالًا وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهوأسوة أهله ومن

رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم فهوفي أيديهم دوني. وكان عثمان قد قسم ماله وأرشه في بني أمية وجعل ولده كبعض من يعطى فبدأ ببني أبي العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف وأعطى بني عثمان مثل ذلك وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب، ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف، وأبى المسلمون إلا قتلهم وأبى إلا تركهم، فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوهم مع الحُجاج كالحجاج، فتكاتبوا وقالوا موعدكم ضواحي المدينة في شوال[1].

ولما كان شوال سنة ٣٥هـ خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف، على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر والليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعلى القوم جميعًا الغافقي بن حرب العكي، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم أحد بني عامر بن صعصعة وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعًا عمروبن الأصم، وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي وزريح بن عباد العبدي وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي وابن المحرش بن عبد عمر والحنفي وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعًا حرقوص بن زهير السعدي سوى من تلاحق بهم من الناس، فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون عليًا، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنها كانوا يشتهون الزبير، فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتى لا يشك في كل فرقة إلا أن الفلج، معها وأن أمرها سيتم دون الآخرين، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر

(١) نفس المصدر السابق ص ١٠٢، ١٠٣.

وتركوا عامتهم بذي المرؤة ومشى فيها بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبدالله بن الأصم وقالا: لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا فوا الله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد وإن أمرنا هذا لباطل، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلًا لنرجعن إليكم بالخبر قالوا: اذهبا فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعليًا وطلحة والزبير وقالا: إنما نأتم هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك بالدخول، واستأذناهم للناس بالدخول، فكلهم أبى ونهى وقال بيضُ ما يفرخن، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليًّا، ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، وقال كل فريق منهم إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم، ثم كررنا حتى نبغتهم فأتى المصريون عليًا وهوعسكر عند أحجار الزيت عليه حلة أفواف معتم بشقيقة حمراء يمانية متقلد السيف ليس عليه قميص وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان وعليّ عند أحجار الزيت، فسلم عليه المصريون وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المرؤة وذي خشب ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا لا صحبكم الله قالوا: نعم فانصرفوا من عنده على ذلك وأتى البصريون طلحة وهوفي جماعة أخرى إلى جنب عليّ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان فسلم البصريون عليه وعرّضوا له فصاح بهم واطّردهم وقال لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، وأتى الكوفيون الزبير وهوفي جماعة أخرى وقد سرّح ابنه عبد الله إلى عثمان فسلموا عليه وعرضوا له فصاحبهم واطردهم وقال لقد علم المسلمون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فخرج القوم وأروهم إنهم يرجعون فانفشّوا عن ذي خشب والأعوص حتى انتهوا إلى عساكرهم وهي ثلاث مراحل كي يفترق أهل المدينة ثم يكرا راجعين، فافترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عساكرهم كّروا بهم

فبغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة فنزلوا في مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان، وقالوا من كفّ يده فهوآمنٌ، وصلى عثمان بالناس أيامًا ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا أحدًا من كلام فأتاهم الناس فكلموهم وفيهم عليٌّ فقال: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم، قالوا: أخذنا مع بريد كتابًا بقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريون، مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعًا كأنما كانوا على ميعاد، فقال لهم عليٌّ: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا هذا والله أمرٌ أبرم بالمدينة، قالوا فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا[١].

فحاصروا بيته محاصرة شديدة وجاء علي[٢] أهل بيته وطلحة والزبير مع أبنائهم للدفاع عنه فقال مخاطبًا إياهم:

يا أهل المدينة إني أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي. إني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي الله فيّ قضاه ولأدعن هؤلاء وراء بابي غير معطيهم شيئًا يتخذونه عليكم دخلًا في دين الله أودنا حتى يكون الله عز وجل الصانع في ذلك ما أحب. وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمد بن طلحة وابن الزبير وأشباهًا لهم، فجعلوا بالباب عن أمر آبائهم وثاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار[٣].

حُصر عثمان اثنين وعشرين يومًا ثم أحرقوا الباب وفي الدار أُناس كثير فيهم عبدالله بن الزبير ومروان فقالوا ائذن لنا، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ عهدًا فأنا صابرٌ عليه وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلَّا وهم يطلبون ما هوأعظم منه فأحرّج على رجل يستقتل ويقاتل وخرج الناس كلهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن

---

(١) الطبري ج٥: ص١٠٣-١٠٥.

(٢) ولقد أثبتنا كل هذا من كتب القوم أنفسهم في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) من أراد فلينظر إلى ذلك.

(٣) الطبري: ج٥ ص١٢٦.

عنده فقال: أن أباك الآن لفي أمر عظيم فأقسمت عليك لما خرجت وأمر عثمان أبا كرب رجلًا من همدان وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال وليس فيه إلا غرارتان من ورق فلما أطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير ومروان وتوعّد محمد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان فلما دخل على عثمان هربا ودخلوا عليه فمنهم من يجؤه بنعل سيفه وآخر يلكزه وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه في ترقوته فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله وكان كبيرًا وغُشي عليه ودخل آخرون فلما رأوه مغشيًا عليه جرّوا برجله فصاحت نائلة وبناته وجاء التُّجيبي مُخترطًا سيفه ليضعه في بطنه فوقّته نائلة فقطع يدها واتّكأ بالسيف عليه في صدره وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس ونادى منادٍ ما يحلّ دمه ويحرج ماله فانتهبوا كل شيء ثم تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا الهرب هذا ما طلب القوم، وذكر محمد بن عمران عبد الرحمن بن عبد العزيز حدّثه عن عبد الرحمن بن محمد أن محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمروبن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسُودان بن حمران وعمروبن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهويقرأ المصحف في سورة البقرة فتقدّمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزاك الله يا نَعثَلُ، فقال عثمان: لست بنعثل ولكني عبد الله وأمير المؤمنين، قال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان وفلان، فقال عثمان: يا ابن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمد لورآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك وما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك قال عثمان أستنصر الله عليك وأستعين به ثم طعن جبينه بمشقص في يده ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله فقال عبد الرحمن سمعت أبا عون يقول ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدَّم رأسه بعمود حديد فخرّ لجبينه فضربه سودان بن حمران المرادي بعدما خرّ لجبينه فقتله. قال محمد بن عمر حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال الذي قتله كنانة بن بشر بن عتاب التُّجيبي وكانت امرأة منظور بن سيَّار الفزاري تقول خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل

حتى إذا كنا بالعرج سمعنا رجلًا يتغنّى تحت الليل:

ألا إن خـــير النـاس بعـد ثــلاثــة   قتيــلُ التَّجيبـي الذي جاء من مِصْر

قال: وأما عمر بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمَقَ فطعنه تسع طعنات قال عمروفأما ثلاث منهن فإني طعنتهن إياه لله وأما ستّ فإني طعنتهن إياه لما كان في صدري عليه[١].

فهذه هي القصة، اختصرناها من تاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي الشيعي بدون تغيير لفظ وتحريفه. وهكذا فاز السبئيون في تفريق كلمة المسلمين وإيقاع الخلاف والشقاق بينهم الذي لا ينتهي إلى يوم القيامة كما تنبأ عن ذلك عثمان رضي الله عنه مخاطبًا الأشتر وغيره:

فوالله إن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبدًا ولا تصلون جميعًا بعدي أبدًا ولا تقاتلون بعدي جميعًا أبدًا[٢].

فهذا هوالذي حصل. ولقد أطلنا النقل في هذا الخصوص لما أن له علاقة مباشرة بهذا الموضوع وهي المطاعن التي استغلها السبئيون لقلب نظام الحكم. فهي كما تلي، بلسان أحد أخلافهم. فيقول ابن المطهّر الحلي:

وأما عثمان فإنه ولّى أمور المسلمين من لا يصلُح للولاية، حتى ظهر من بعضهم الفسوق ومن بعضهم الخيانة، وقسم الولايات بين أقاربه، وعوتب على ذلك مرارًا فلم يرجع. واستعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وصلّى بالناس وهوسكران، واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة، فظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها. وولّى عبد الله بن أبي سرح مصر حتى تظلّم منه أهلها، وكاتبه أن يستمر على ولايته سرًّا، خلاف ما كتب إليه جهرًا، وأمره بقتل محمد بن أبي بكر. وولّى معاوية الشام، فأحدث من الفتن ما أحدث. وولى عبد الله بن عامر العراق، ففعل من المناكير ما فعل. وولى مروان أمره، وألقى إليه مقاليد أموره، ودفع إليه خاتمه، فحدث

---

(١) الطبري: ج٥ ص١٣١-١٣٢

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١١٨

من ذلك قتل عثمان، وحدث الفتنة بين الأمة ما حدث. وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت مال المسلمين، حتى إنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوَّجهم بناته أربعمائة ألف دينار، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار. وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفّره، ولما حكم ضربه حتى مات. وضرب عمّارًا حتى صار [به] فتق، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: عمار جلدة بين عيني، تقتله الفئة الباغية، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة؛ وكان عمار يطعن عليه.

وطرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص عم عثمان عن المدينة، ومعه مروان، فلم يزل طريدًا هووابنه في زمن النبي صلى الله عليه وآله. وأبي بكر وعمر، فلما ولي عثمان آواه ورده إلى المدينة، وجعل مروان كاتبه، وصاحب تدبيره؛ مع أن الله تعالى قال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] الآية.

ونفى أبا ذرّ إلى ربذة، وضربه ضربًا وجيعًا، مع أن النبي صلى الله عليه وآله قال في حقه: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ، وقال صلى الله عليه وآله: إن الله أوحى إليّ أنه يحب أربعة من أصحابي، وأمرني بحبهم، قيل له: من هم يا رسول الله؟ قال: علي عليه السلام سيدهم، وسلمان، ومقداد، وأبوذر.

وضيَّع حدود الله فلم يحد عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين عليه السلام بعد إسلامه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يطلب عبيد الله لإقامة القصاص عليه، فلحق بمعاوية. وأراد أن يعطل حد الضرب في الوليد بن عقبة، حتى حدّه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا يبطل حد الله وأنا حاضر. وزاد الأذان يوم الجمعة وهوبدعة، وصار سنة الآن. وخالفه المسلمون كلهم حتى قتل[١] فهذه هي تركة السبئيين تلقفها الشيعة منهم وتوارثها آباء آبائهم قبل، وهذه أحد الأدلة بأن شيعة اليوم لم يكوّنوا مذهبهم ولم يؤسسوا قواعده وأركانه إلا على الأسس التي وضعها السبئية،

(١) منهاج الكرامة الملحق بمنهاج السنة ص٦٦-٦٧.

وليس لهم علاقة بالشيعة الأولى، شيعة عليّ وأولاده، لا من قريب ولا من بعيد وكما سنبينه قريبًا إن شاء الله في موضعه.

فالإيرادات هذه التي اخترعها واختلق بعضها السبئيون ردّ عليها ذوالنورين في حينها كما ذكرناه آنفًا من الطبري وغيره، ولم يكن لبعض منها وجود آنذاك، وقد تصدى للرد على جميع هذه الأكاذيب والأباطيل أعيان هذه الأمة وأسلافها، وأئمة السنة وأعلامها، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية حيث ذكر واحدًا واحدًا منها ثم ردّ عليها بالأصول الثابتة والبراهين الساطعة. وكذلك تلميذه الذهبي حيث لخص كتابه، والقاضي أبوبكر بن العربي وغيرهم من العلماء والمتكلمين والفقهاء. وفي شبه القارة الهندية الباكستانية انبرى لها الكثيرون وعلى رأسهم الحكيم الدهلوي وليّ الله صاحب (حجة الله البالغة) و(قرة العينين في تفضيل الشيخين) و(إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) وابنه عبد العزيز الدهلوي الذي لخص كتابه الآلوسي الصغير وغيره الكثيرون الكثيرون، ولكن القوم تعوّدوا على الكذب والإصرار عليه، ويكثرون كيما ينطلي على السُذج والمُغفلين من الناس.

ولكن لأننا بدأنا في البحث عن السبئية وأفكارهم والفرق التي تفرعت من الشيعة وتاريخها وتبنيها أفكارهم دون أفكار الشيعة الأولى أردنا ذكر هذه المطاعن، وعلاوة على ذلك نبتغي من الرد عليها بأسلوبنا الخاص وذكرنا الإستشهادات من كتب القوم إبتغاء مرضاة الله للدفاع عن حمى الإسلام والذود عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، الذين نحبهم لحب نبينا إياهم ولحبهم إياه، ونرجوالله القبول والتوفيق.

فأول إيراد أوردوه على سيدنا عثمان رضي الله عنه أنهم قالوا: إنه آثر القربى، وذكر أيضًا المؤرخ الشيعي المشهور اليعقوبي حيث قال:

«ونقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين وتكلم فيه من تكلم وقالوا: آثر القربى»[1].

فلننظر ما حقيقة هذا الإيراد وهذا الطعن؟ هل حقيقة قسّم الولاية بين أقاربه أم

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٧٣-١٧٤

هذه من أكاذيب السبئية التي اخترعوها لتأليب الناس على عثمان، وتبنتها الشيعة وحتى اليوم لتأييد السبئيين في خروجهم وبغيهم وإظهارًا للولاء لهم والوفاء بهم. فها هوذا المؤرخ الشيعي المشهور اليعقوبي بذكر عمال عثمان على الولايات، فيقول:

«وكان لعثمان على اليمن يعلى بن أمية التميمي، وعلى مكة عبد الله بن عمرو الحضرمي، وعلى همذان جرير بن عبد الله البجلي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى الكوفة أبوموسى الأشعري، وعلى البصرة عبد الله بن عامر الكريز، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان بن حرب»[(١)].

وقد ذكر الطبري وابن الأثير أسماء بقية العمال الذين كانوا على الولايات وعلى المناصب العليا فذكر الطبري وابن الأثير:

وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين حبيب ابن مسلمة، وعلى الأردن أبوالأعور السلمي، وعلى فلسطين علقمة بن حكم الكنعاني، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري، وعلى القضاء (الشام) أبوالدرداء، وعلى الخراج جابر بن فلان المزني، وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله البجلي، وعلى آذربيجان الأشعث بن قيس الكندي، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس، وعلى ماه مالك بن حبيب، وعلى الري سعيد بن قيس، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ما سبذان حبيش، وعلى بيت المال عقبة بن عامر، وعلى القضاء زيد بن ثابت[(٢)].

ونائبه في الحج سنة كان عبد الرحمن بن عوف، وفي السنة الأخيرة كان عبد الله بن عباس كما ذكر اليعقوبي في تاريخه[(٣)].

ومثل هذا ذكر كل من ابن سعد في طبقاته وابن كثير وابن الأثير في تاريخهما وابن عبد البر في الإستيعاب وغيرهم في غيرها.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٧٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٤٨-١٤٩، ابن الأثير ج٣ ص٩٥، وورد بعض هذه الأسماء في البداية والنهاية ص٣٢٢.

(٣) ج٢ ص١٧٦.

ويظهر من هذا الفهرست بداهة ولأول وهلة كذب السبئيين المعلنين لسبئيتهم والمفتخرين بها وكذب المتخلفين والوارثين في أفكارهم ومطاعنهم والمتسترين المتخفين تحت اسم التشيع خوفًا من افتضاح ما هومفضوح.

فهذه هي الولايات وهؤلاء هم العمال، وهذه هي المناصب وهؤلاء هم الحائزون عليها بثبت التاريخ وبشهادة القوم أنفسهم.

فالمناصب العليا في الدولة كانت هي:

أولًا: القضاء، ولم يكن يتولاها أحد من أقاربه، بل كان يتولاها زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

ثانيًا: وبيت المال كان عليه عقبة بن عامر.

ثالثًا: وعلى إمارة الحج عبد الله بن عباس.

رابعًا: وعلى الخراج جابر بن فلان المزني وسماك الأنصاري.

خامسًا: وعلى الحرب القعقاع بن عمرو.

سادسًا: وقد ذكر بعض المؤرخين أن رئيس الشرطة في أيامه عبد الله بن قنفذ من بني تيم[1].

فهذه هي المناصب الستة العليا في الدولة لم يكن واحد منها من بني أُمية أوأقارب عثمان رضي الله عنه وعن باقي الصحابة أجمعين.

سابعًا: وأما عمال الولايات وولاتها فلم يكن مع كثرتهم إلا الثلاثة من بني أمية، وواحد من هؤلاء الثلاثة لم يولّه عثمان على ولايته، بل كان قد ولّي من قبل أبي بكر ثم أثبته على تلك الولاية عمر مع كثرة عزله العمال والولاة ألا وهومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كما ذكر مؤرخ شيعي معاوية من عمال عمر[2].

ولم يكن أبوبكر ولاّه على تلك الولاية إلا نائبًا لأخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما

(١) تاريخ خليفة ابن خياط: ج١ ص١٥٧.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٦١.

رسول الله صلى الله عليه وسلم على تيماء[١] «كما استعمل أباهم، أبا سفيان ﷺ على نجران»[٢].

ولم يبق إلا الاثنان: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن عامر بن كريز.

والجدير بالذكر أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح أيضًا ليس من بني أُمية، بل هو من بني عامر ولكن المرضعة التي أرضعت عثمان ﷺ كان أم عبد الله هذا، فهذه حقيقة القرابة كلها.

ثم فهل كان تولية عبد الله بن عامر بن كريز وأضف إليه عبد الله بن سعد من بين العمال الكثيرين فيها مأخذًا ومطعنًا في سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ؟.

فهل من المحرّم شرعًا أن يولي الخليفة والأمير أحدًا من أقاربه يستأهله فقط لأنه من أقاربه أوقبيلته وعشيرته. فهل ورد بذلك الكتاب أم السنة، وهل صرح بذلك أحد من الصحابة وأهل البيت وحتى عليّ وأولاده؟.

وهل هذا من المطاعن؟.

فإن كان هذا طعنًا فوقوعه في عليّ بن أبي طالب ﷺ — أحق وأولى حيث ولّى أيام خلافته قثم بن عباس على مكة وعبد الله بن عباس على اليمن[٣] «وولّى عبد الله بن عباس على البصرة وولّى ربيبه محمد بن أبي بكر على مصر»[٤].

وولّى صهره وابن أخته جعد بن الهبيرة على خراسان، كما كان على عساكره محمد بن الحنفية[٥].

وقد ناب عنه في الحج سنة ٣٦هـ عبد الله بن عباس، وسنة ٣٧هـ قثم بن العباس،

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤ ص١٣٠، البداية ج٧ ص٢٤.

(٢) تاريخ خليفة ابن خياط تحت عنوان عمال رسول الله: ج١ ص٦٢، نسب قريش لمصعب الزبيري، كتاب المحبر لأبي جعفر البغدادي: ص١٢٦ تحت عنوان أمراء رسول الله.

(٣) تاريخ اليعقوبي الشيعي: ج٢ ص١٧٩.

(٤) مروج الذهب.

(٥) انظر لذلك مروج الذهب للمسعودي الشيعي ج٢ ص٣٥١، ومنهاج السنة لابن تيمية والعواصم من القواصم.

وسنة ٣٨هـ عبيد الله بن العباس[١].

ثم من أين لقوم أن يعترضوا على عثمان لتوليته أقاربه وهولم يولّ كما أثبتناه — وهم لم يجعلوا عليًّا رضي الله عنه وصي رسول الله إلا لقرابته منه، ولم يجعلوا الإمامة في أولاده إلا لأنهم من أولاده.

وعار عليك إذا فعلت عظيم

ثم ولولا أن يطول بنا الحديث لأثبتنا أن عمل عثمان رضي الله عنه كان أقرب لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن جاء بعده، ولم يعترض على عمله وعماله أحد من أصحاب رسول الله ولا عليّ والهاشميون الآخرون غيره، ولا أهل الأمصار والولايات الذين أمّر عليهم هؤلاء العمال كما هوثابت في التاريخ.

فهذا كل ما يدندن حوله القوم من السبئيين إلى شيعة عصرنا الحاضر. وهذه هي الحقيقة وهذه هي الحقائق، وهذه هي التهمة الكبيرة والمطعن الأكبر الذي استعمله السبئيون قديمًا، ويستعمله الشيعة حديثًا.

وأخيرًا ننقل هاهنا ما ذكره الذهبي في (المنتقى) جوابًا على هؤلاء:

إنّ نوّاب عليٍّ قد خانوه وعصوه أكثر مما خان عمال عثمان له وعصوه وذهب بعضهم إلى معاوية. وقد ولَّى علي رضي الله عنه زياد بن أبي سفيان أبا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين وولَّى الأشتر، وولى محمد بن أبي بكر، ومعاويةُ خيرٌ من هؤلاء كلهم. ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان ما يدعون أن عليًّا كان أبلغ فيه من عثمان، فيقولون إن عثمان ولى أقاربه من بني أمية وعليّ ولَّى أقاربه من قبل أبيه وأمه كعبد الله وعبيد الله ابني عمه العباس وقُثَم بن العباس وثُمامة ابن العباس. وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره وولد أخته أم هانئ ثم إن الإمامية تدَّعي أن عليًّا نص على أولاده في الخلافة... ومن المعلوم أنه إن كان تولية الأولاد أقرب إلى الإنكار من تولية بني العم... وإذا ادُّعي لعلي العصمة ونحوها مما يقطع عنه ألسنة الطاعنين كان ما يُدَّعى لعثمان من الإجتهاد الذي يقطع ألسنة الطاعنين أقرب إلى المعقول

(١) تاريخ اليعقوبي: ص٢١٣.

والمنقول. وأما عثمان فله أسوة في استعمال بني أمية بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد استعمل عتّابَ بن أُسيد الأموي على مكة، وأبا سفيان على نجران، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص، حتى إنه استعمل الوليد بن عقبة...

فيقول عثمان: «أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومن جنسهم ومن قبيلتهم، وكذلك أبوبكر وعمر بعده، فقد ولّى أبوبكر يزيد بن أبي سفيان بن حرب في فتوح الشام، وأقرَّه عمر، ثم ولّى عمى بعده، أخاه معاوية. وهذا النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم في استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه، بل متواتر عند أهل العلم، فكان الإحتجاج على جواز الإستعمال من بني أمية بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أظهرَ عند كل عاقل من عوى كون الخلافة في واحد معين من بني هاشم بالنص، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل، وذاك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل. وأما بنوهاشم فلم يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم منهم إلا عليًّا على اليمن وجعفر على غزوة مؤتة مع مولاه زيد وابن رواحة»[١].

وأما توليته الوليد بن عقبة على الكوفة فليس فيه شيء، لأن الوليد كان من أعيان قريش:

وكان من رجال قريش ظرفًا وحلمًا وشجاعة وأدبًا، وكان شاعرًا شريفًا[٢] ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أمّره على صدقات بني المصطلق:

أسلم يوم الفتح وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق[٣].

وأما سعيد بن العاص فنثبت هاهنا ما ذكره الخطيب محب الدين على هامش (المنتقى من منهاج السنة):

«كان سعيد بن العاص في الذروة العليا من فصحاء قريش، ونَدبه عثمان عند كتابة

---

(١) المنتقى للذهبي: ص٣٨٢-٣٨٣.

(٢) تهذيب التهذيب: ج١١ ص١٤٣.

(٣) تهذيب التهذيب: ج١١ ص١٤٢، وكتاب المحبر: ص١٢٦.

القرآن فأقيمت عربية القرآن على لسانه، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ من صدق إيمانه أن قال له عمر يومًا أنا لم أقتل أباك، وإنما قتلت خالي العاص بن هشام فقال له سعيد: ولوقتلته لكنتَ على الحق وكان على الباطل. وسعيد بن العاص هوفاتح طبرستان وغزا جرجان وكان في عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة. وحسبه شرفًا ما رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة فقال: إني نذرت أن أعطي هذه البردة لأكرم العرب، فقال لها صلى الله عليه وسلم: أعطيها لهذا الغلام، وهوواقف[١]، فإن لم تكن إقامة القرآن على لسان سعيد بن العاص مفخرة عند الرافضة فشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بأنه أكرم العرب من أعظم مفاخر الدنيا والدين، إلا أن له عيبًا وهوأنه أحد الذين أخرجوا إيران من المجوسية إلى الإسلام بتسجيل التاريخ له أنه فاتح طبرستان وقائد كبار الصحابة في غزوجرجان. وأحاديثه في صحيح مسلم وسنن النسائي، وجامع الترمذي، ولكن الرافضة لا تعبأ بصحيح مسلم، ولا بجميع دواوين السنة المحمدية مادامت مكتفية بأكاذيب كتابهم الذي يسمونه الكافي، ومن مفاخر سعيد بن العاص التي يموت الرافضة بسببها كمدًا وحنقًا ما أخرجه الطبراني من طريق محمد بن قانع بن جُبير بن مُطعم عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سعيد بن العاص، فرأيته يكمده بخرقة. وأراد بعضهم أن يصرف هذه المنقبة إلى جد سعيد بن العاص – وهوأيضًا يسمى سعيد بن العاص – لكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا في مكة قبل الهجرة وجد سعيد بن العاص مشرك، فإن صحّ أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بجد سعيد بن العاص الأموي وهومشرك فيكون ذلك من باب المودة في القربى لأنهما من بني عبد المناف، وسبُّ الرافضة للأمويين من بني عبد المناف في جاهليتهم وإسلامهم ينافي ما كان يحتج إليه النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب المودة في القربى التي تقدم الكلام عليها لمناسبة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبادل به أبا سفيان في

(١) وكان هذا الغلام هوسعيد بن العاص المجاهد الفاتح الذي يعير الرافضي أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة.

الجاهلية من أسباب هذه المودة العائلية. وعلى ذكر حديث البردة التي نذرت إحدى الصحابيات أن تعطيها لأكرم العرب فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعطيها لسعيد بن العاص وكان غلامًا بعد، فإن هذا الحديث من أعلام النبوة، وقد اكتشف النبي صلى الله عليه وسلم بنور الوحي الإلهي أن سعيدًا سيكون أكرم العرب، روى ابن أبي خيثمة من طريق يحيى بن سعيد قال: قدم محمد بن عقيل بن أبي طالب على أبيه فقال له: من أشرف الناس؟ قال: أنا وابن أمي، وحسبك بسعيد بن العاص وقال معاوية: كريم قريش سعيد بن العاص. وكان مشهورًا بالكرم والبر، حتى كان إذا سأله السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بها يريد أن يعطيه مسطورًا، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاها عنه ولده عمروالأشدق.... وهذا هوالأموي الذي يعير الرافضيُّ أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة، مات سعيد بن العاص في قصره بالعقيق سنة ٥٣[١] ونضيف إلى ذلك أنه كان يهدي عليًّا رضي الله عنه وكان يقبل منه كما ذكره ابن سعد في طبقاته:

إن سعيد بن العاص قدم المدينة وافدًا إلى عثمان، فبعث إلى وجوه المهاجرين والأنصار بصلات، وإلى علي بن أبي طالب فقبل منه[٢] فإن كان كما يذكره السبئيون والشيعة فكيف يقبل منه صلات وهدايا؟. وأكثر من ذلك أن سعيد بن أبي العاص هذا:

«خطب أم كلثوم بنت علي من فاطمة التي كانت زوجة عمر بن الخطاب فأجابت إلى ذلك»[٣].

﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝﴾ [الملك: ٣-٤].

فانظر إلى شهامة عمال عثمان وكرم البيت الأموي كما يذكره الذهبي وغيره:

---

(١) المنتقى من منهاج السنة للذهبي: ص٣٧٥-٣٧٦ الهامش.

(٢) طبقات ابن سعد: ج٥ ص٢١.

(٣) البداية والنهاية: ج٨ ص٨٦.

«خطب سعيد بن العاص أم كلثوم بنت علي بعد عمر، وبعث لها بمائة ألف، فدخل عليها أخوها الحسين وقال: لا تزوجيه، فقال الحسن: أنا أزوّجه واتعدوا لذلك، فحضروا فقال سعيد: وأين أبوعبد الله؟ فقال الحسن: سأكفيك، قال: فلعل أبا عبد الله كره هذا، قال: نعم، قال: لا أدخل في شيء يكرهه ورجع ولم يأخذ من المال شيئًا»(١).

وأما عبد الله بن عامر عامل عثمان على العراق فيكفيه شرفًا أنه:

أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وهوصغير، فقال: يشبهنا وجعل يتفل عليه ويعوذه، وجعل عبد الله يبتلع ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه المستقى، فكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر له الماء... فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

وزاد ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هذا ابننا وهوأشبهكم بنا»(٣).

لأن جدته كانت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم حكيم بنت عبدالمطلب بن هاشم(٤).

وكان سخيًا شجاعًا، وصولًا لقرابته ولقومه، محببًا فيهم، رحيمًا(٥).

وولاه بلاد فارس وكان عمره خمسًا وعشرين سنة، فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس، وسجستان، وكرمان، وزابلستان(٦).

كما أرسل العساكر إلى كل من قومس، ونسّا، وابرشهر، وجام، وطوس، واسفرائين، وسرخس، ومرو، وبوشنج، وزرنج(٧) وهوالذي قتل كسرى في ولايته(٨).

(١) سير أعلام النبلاء: ج٣ ص١٩٥.
(٢) الإستيعاب ج٣ ص١٥١، الإصابة ج٣ ص١٦٠، أسد الغابة: ج٣ ص١٩١.
(٣) طبقات ابن سعد: ج٥ ص٣١.
(٤) انظر كتاب مصعب ابن الزبير: ص١٤٨-١٤٩.
(٥) طبقات ابن سعد ج٥ ص٣٢، الإستيعاب لابن عبد البر: ج٢ ص٣٥٢، كتاب نسب قريش ص١٤٩.
(٦) أسد الغابة: ج٣ ص١١٩، طبقات ابن سعد: ج٥ ص٣٣.
(٧) كتاب البلدان لليعقوبي الشيعي: ص٤٠ وما بعد.
(٨) الإستيعاب لابن عبد البر: ج٢ ص٥٢.

وأرسل العساكر إلى الكاريان، والفيشجان، وناشب، وبهراة، وبيهق، وطخارستان، وجوزجان، والفاريان، والطالقان، وبلخ، وخوارزم، وبادغيس، وأصبهان، وحلوان(١).

وافتتحت هذه البلدان كلها تحت إشرافه وبأيدي عساكره(٢) وهوأول من اتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليه العين وسقى الناس الماء، فذاك جار إلى اليوم(٣).

وعلى ذلك قال شيخ الإسلام:

«إن عبد الله بن عامر له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا ينكر»(٤).

وأنّى للشيعة من أولهم إلى أخرهم أن يكون لهم وال مثله في الجهاد والغزوات وفي الفتوحات وتقديم الهبات والصلات والبر بالناس وعمل الخيرات.

وأما مروان الذي طالما كُثر الكلام حوله فتفصل فيه القول بعض التفصيل لأنه هوكان محور المطاعن ومركز التجريح، ولا زال من قبل السبئية ومن فرق الشيعة كلها.

فإن أكثر ما روي عنه من المطاعن والتهم من قبيل شتمه وسبابه لعليّ، وأخذه خمس أفريقيا، ونفي والده وطرده هومعه، وكتابته الكتاب المزعوم لقتل محمد بن أبي بكر وغيرها من الروايات لم تروإلا من طريق الواقدي ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام أوأبي مخنف لوط بن يحيى، وقد ذكرنا أحوال جميع هؤلاء الرواة بأنهم من بقايا السبئيين ومن الشيعة مع الإنقطاع في رواياتهم ومروياتهم لأنهم يروون ممن لم يسمعوا عنه ولم يلتقوا به، وعلى ذلك لا يلتفت إلى ما ورد بطرقهم وتفردوا بنقلها مثل الطبري وابن سعد فإنهم لم يروا إلا من الواقدي. وأما البلاذري في (أنساب الأشراف) فلم يروا إلا من هشام الكلبي وابن مخنف. وأما البقية من المؤرخين فلم يأخذوا إلا من هؤلاء، ولأجل ذلك قال القاضي أبوبكر بن العربي وابن حجر الهيتمي وابن تيمية والذهبي وغيرهم:

---

(١) تاريخ خليفة ابن خياط: ج١ ص١٤٠، ١٥٨.
(٢) تاريخ خليفة ابن خياط: ج١ ص١٤٠، ١٥٨.
(٣) طبقات ابن سعد: ج٥ ص٣٤، أسد الغابة: ج٣ ص١٩١، البداية: ج٨ ص٨٨.
(٤) منهاج السنة لابن تيمية: ج٣ ص١٨٩-١٩٠.

إن أكثر الأخبار في ذلك مختلقة ولم يصح منه شيء[١] وبذلك صرح علماء الحديث تحت ذكر الروايات الموضوعة أن أكثر ما ورد في هذه الروايات من ذم معاوية وعمروبن العاص وبني أمية وكذلك من ذم الوليد ومروان بن الحكم فهي موضوعة مكذوبة اختلقها الكذابون الدجالون من الشيعة الذين جعلوا دينهم الكذب، وجعلوا الكذب من أقدس المقدسات عندهم[٢].

كما صرح بذلك الملا علي القاري في كتابه (الموضوعات)[٣] وانظر أيضًا الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة[٤] والمنار المنيف في الصحيح والسقيم لابن القيم وغيرهم.

هذا قسم من المطاعن. وأما القسم الآخر فردّ عليه المؤرخون أنفسهم، كما ردّوا على الكتب المزوّرة التي نسبت إلى مروان بأنه هوالذي كتبها وختم عليها عثمان لأن الختم كان عنده، فقالوا: إن هذا كذب على الصحابة:

«إنما كتبت مزورة عليهم كما كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير كتبًا مزوّرة عليهم»[٥].

وذكر ابن خلدون:

فانصرفوا قليلًا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون أنهم لقوه في يد حامله إلى عامل مصر بأن يقتلهم، وحلف عثمان على ذلك، فقالوا مكنّا من مروان فإنه كاتبك فحلف مروان فقال: ليس في الحكم أكثر من هذا[٦].

وقبل ذلك قد أعلن باختلاق هذه الكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه دراية وفراسة

---

(١) انظر العواصم من القواصم ص١٠٠، الصواعق المحرقة ص٦٨، منهاج السنة: ج٣ ص١٩٦، المنتقى: ص٣٩٥، التحفة الاثنا عشرية: ص٣١١. ط. الهند.

(٢) انظر لذلك كتابنا (الشيعة والسنة).

(٣) ص ١٠٦.

(٤) ص٣٧٧. ط. بيروت

(٥) البداية والنهاية: ج٧ ص١٧٥.

(٦) مقدمة ابن خلدون الفصل الثلاثون في ولاية العهد: ص٢١٥.

منه كما نقلنا كلامه في بداية الأمر بأنه قال:

«كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا، هذا والله أمر أبرم بالمدينة، قالوا: فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا»[١].

هذا من ناحية الرواية. وأما دراية فهل يعقل أن شخصًا كهذا يكون كاتبًا لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا يعترض عليه أحد من كبار الصحابة بما فيهم علي بن أبي طالب حامل راية رسول الله يوم خيبر، وسعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة وفاتح إيران، والزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، وطلحة الذي وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سهام مشركي مكة وصار له كالترس، وغيرهم من أعيان الصحابة وأكابرهم؟ ولا يصدر هذا الكلام الذي يخترعونه ويختلقونه من أعيان الصحابة وأكابرهم.

ثم وهل يمكن أن يشفع له الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى أبيهما أن يطلق سراحه يوم كان أسيرًا عنده؟ كما ذكره الشيعة أنفسهم، قالوا:

«أخذ مروان بن الحكم أسيرًا فاستشفع له الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلم فيه فخلّى سبيله»[٢].

وهؤلاء الثلاثة أي علي وابناه الحسن والحسين معصومون عند الشيعة حسب زعمهم، وعند السبئيين كان عليّ هوهو– أي الله – فالإله يقبل الشفاعة ويطلق السراح لشخص يكون متصفًا بتلك الأوصاف التي وصفه بها القوم كذبًا ومينًا؟.

وأكثر من ذلك. نعم أكثر من ذلك قد ذكر كبير القوم المجلسي حديثًا في كتابه عن موسى بن جعفر عن جعفر أنه قال:

«كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان بن الحكم فقالوا: لأحدهما (أي

---

(١) الطبري: ج٥ ص١٠٥.

(٢) نهج البلاغة: ص١٢٣ في خطبة له عليه السلام علم فيه الصلاة على النبي.

لموسى أوجعفر): ما كان أبوك يصلي إذا رجع إلى البيت؟ فقال: والله لا، ما كان يزيد على صلاة»(١).

ومثل ذلك ذكره ابن كثير في تاريخه(٢).

كما ذكر الإمام البخاري في تاريخه عن شرحبيل بن سعد قال:

«رأيت الحسن والحسين يصليان خلف مروان»(٣).

هل بعد هذا شك لشاك بأن هذه التهم كانت كلها باطلة ومختلقة، لا صحة لها على الإطلاق، ولوكان فيها شيء من الصحة لما كانت معاملة علي وأهل بيته له مثل ما ذكر في كتب الشيعة أنفسهم.

هذا ولقد ذكر المؤرخون كثيرًا من الوقائع التي تنبئ وتثبت صراحة عكس ما ذكره السبئيون وما يعيده الشيعة في مختلف الأدوار. ومنها ما ذكروه أن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين - وهوالإمام المعصوم الرابع عند القوم - استقرض من مروان ستة آلاف دينار ومائة ألف درهم، فلما حضرته الوفاة أوصى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من علي بن الحسين شيئًا مما كان أقرضه(٤).

ثم إن ابنة علي رضي الله عنه ألا وهي رملة زوّجت من ابن مروان هذا، كما ذكر هذا الزواج عديد من النسابين:

«كان رملة بنت علي عند أبي الهياج - الهاشمي - واسمه عبد الله بن سفيان بن أبي الحارث بن عبد المطلب ولدت له وقد انقرض ولد سفيان بن الحارث، ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم»(٥).

وكذلك زينب بنت الحسن المثنى كانت متزوجة من حفيد مروان وليد بن عبدالملك،

---

(١) بحار الأنوار لمجلسي: ج١٠ ص١٣٩.

(٢) ج٨ ص٢٥٨.

(٣) التاريخ الصغير للبخاري.

(٤) البداية والنهاية: ج٨ ص٢٤٩ وج٩ ص١٠٥.

(٥) نسب قريش لمصعب الزبيري تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: ص٤٥، جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحت ذكر ولد مروان: ص٨٧.

وكانت زينب هذه نجيبة الطرفين حيث أنها حسنية من قبل أب وحسينية من قبل الأم، فإن أمها كانت فاطمة بنت الحسين بن علي.

ولقد ذكر هذا الزواج أيضًا عديد من أصحاب الأنساب:

«وكانت زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي عند الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة»[1].

وكذلك تزوج الوليد بن عبد الملك هاشمية علوية أخرى نجيبة الطرفين. ألا وهي نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب سبط الرسول صلى الله عليه وسلم، وأم نفيسة كانت لبابة بنت عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. وقد ذكر هذا الزواج نسابة شيعي مشهور كما ذكرنا من قبل:

«وكان لزيد ابنة أمها نفيسة خرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان، فولدت منه»[2].

وهناك مصاهرات أخرى ذكرها أصحاب الأنساب.

فهذه هي شهادات التاريخ وشهادات الشيعة أنفسهم بأن الفاطميات والعلويات تزوجن من أبناء مروان وأحفاده، فإن كان مروان كما يصفه الواصفون، وكما يكذب عليه الكذابون فكيف كان هذا؟ وما الجواب عنه؟

والجواب يعلمه المنصفون لأول وهلة أنه لم يكن هناك شيء إلا ما اختلقه السبئيون أبناء اليهود ومن سلك مسلكهم، وإلا فهل يعقل من أولاد عليّ رضي الله عنه بأنهم يزوّجون بناتهم من أبناء مروان وأحفاده إن كان مروان كما قيل عنه وكما يقال؟

وأما اتهام السبئيين ومن خلفهم بأن عثمان كان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت المال فلا يثبت في ذلك شيء لأن عثمان ردّ على السبئيين يوم ذاك كما نقلنا مقدمًا أنه قال:

«وأما إعطاءهم فإني أعطيهم من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد

(١) نسب قريش تحت أولاد الحسن المثنى: ص٥٢، جمهرة أنساب العرب: ص١٠٨.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب بجمال الدين بن عنبة الشيعي: ص٧٠ تحت أولاد زيد بن الحسن، طبقات ابن سعد: ج٥ ص٣٤.

من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الثمينة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي وفني عمري وودعت الذي لي في أهلي»(١).

وقد أقر المخالفون لعثمان حينما قال لهم:

«وإني قد وليت وإني أكثر العرب شاةً وبعيرًا ومالًا، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير البعيرين لحجي، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم»(٢).

ثم كل ما ورد بعد هذا ليس إلا من اختلاق السبئية الذين تعودوا على تكرار الكذب والإصرار عليه ليورثوا الضغائن والأحقاد ضد رحماء رسول الله وأصهاره وضد رفاق رسول الله وتلامذته وأحبائه.

والجدير بالذكر أن رواة هذه الأشياء هم نفس الرواة الذين ينقلون الأكاذيب في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفخمونها ويكبرونها، بل ويختلقونها ويخترعونها من الواقدي الرافضي، ولوط بن يحيى أبي مخنف الشيعي، لا عن واحد من الثقات ومن رواة السنة، ولقد قدمنا الكلام في هؤلاء في بداية البحث، فلا التفات إلى رواياتهم الكاذبة الموضوعة ولا اعتبار بها.

فلم يأت عثمان بمنكر. لا في أول الأمر ولا في آخره، ولا جاء الصحابة بمنكر، وكل ما سمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت إليه.

ومثل ذلك قال أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري عن الحسن بن علي أنه قال:

«عمل أمير المؤمنين عثمان ثنتي عشرة سنة لا ينكرون من إمارته شيئًا حتى جاء فسقة فداهن والله في أمره أهل المدينة»(٣).

وبذلك شهد محمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر أنه لم يكن هناك

---

(١) الطبري: ج٥ ص١٠٣.

(٢) أيضًا، ومثل ذلك في البداية والنهاية لابن كثير: ص١٦٩.

(٣) التاريخ الصغير للإمام البخاري: ص٣٢ تحت ذكر من مات في خلافة عثمان.

شيء، بل كان ما كان هومؤامرة دبّرها عبد الله بن سبأ بمؤامرة خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر وغيرهم[١].

وجمعوا حولهم قومًا لأحقاد اعتقدوها ممن طلب أمرًا فلم يصل إليه، وحسد حساد أظهر داؤها، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين، وإيثار العاجلة على الآجلة[٢].

«والجدير بالذكر أن سودان بن حمران وخالد بن ملجم كانا من الذين نظر إليهم عمر بن الخطاب في إمرته فأعرض عنهم ثم أعرض ثم أعرض حتى قيل: مالك ولهؤلاء؟ فقال: إني عنهم لمتردد، وما مرّ بي قوم من العرب أكره إلي منهم»[٣].

وأما ضربه ابن مسعود وعمارًا ونفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يثبت شيء منه، كلها أباطيل وأكاذيب، اللهم إلا أنه اختلف مع ابن مسعود على حمله الناس على مصحف واحد حيث إن ابن مسعود كان يعارضه، والأمة قاطبة وعلى رأسهم أصحاب رسول الله كانوا مع عثمان، ولا زال مصحفه هومتداولًا بين الناس، فلم ينقل عن الثقات أنه ضرب ابن مسعود حتى مات، ولم يذكره السبئيون فيما ذكروا من تهمهم على عثمان.

وأما قضية عمار فقد كان كل ما فيه كما ذكره المؤرخون أنه كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب خلاف فأدبهما عثمان بالضرب ولم يكن بينهم شيء، ولأجل ذلك أرسل أمير المؤمنين عثمان عمارًا فيمن أرسل لاستخبار أحوال المسلمين واكتشاف أمورهم كما مرّ ذلك مقدمًا[٤].

نعم استغل السبئيون وجوده في مصر والتفوا حوله وأثاروا حفيظته ليستميلوه إليهم، فلما وصل المدينة عاتبه عثمان على ممالأته السبئيين وقال له:

«يا أبا اليقظان قذفت ابن أبي لهب قذفك... وغضبت على أن أخذت لك بحقك وله بحقه، اللهم قد وهبت ما بيني وبين أمتي من مظلمة، اللهم إني متقرب إليك بإقامة

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٩٩، تاريخ ابن خلدون تحت ذكر بدء الانتفاض على عثمان ص١٣٨.

(٢) العواصم من القواصم لابن العربي: ص١١١.

(٣) انظر لذلك الطبري: ج٤ ص٨٦.

(٤) انظر تاريخ الطبري: ج٥ ص.

حدودك في كل أحد ولا أبالي»[١].

وأما أمر أبي ذر فنذكر لبيان الحقيقة عبارة من تاريخ ابن خلدون حيث يذكر مطعن السبئيين على سيدنا عثمان لقلب حكم المسلمين ويذكر حقيقة هذا الطعن بقوله:

وكان مما أنكروه على عثمان إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة وكان الذي دعا إلى ذلك شدّة الورع من أبي ذر وجعل الناس على شدائد الأمور والزهد في الدنيا وأنه لا ينبغي لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ويأخذ بالظاهر في ذم الادخار بكنز الذهب والفضة وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب قوله المال مال الله ويوهم أنّ في ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين حتى عتب أبوذر معاوية فاستعتب له وقال سأقول مال المسلمين، وأتى ابن سبأ إلى أبي الدرداء وعُبادة بن الصامت بمثل ذلك فدفعوه وجاء به عبادة إلى معاوية وقال هذا الذي بعث عليك أبا ذر ولما كثر ذلك على معاوية شكاه إلى عثمان فاستقدمه وقال له ما لأهل الشام يشكون منك؟ فأخبره، فقال يا أبا ذر لا يمكن حمل الناس على الزهد وإنما عليّ أن أقضي بينهم بحكم الله وأرغبهم في الإقتصاد، فقال أبوذر لا نرضى من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للجيران والإخوان ويصلوا القرابة، فقال له كعب الأحبار من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه أبوذر فشجه، وقال يا ابن اليهودية ما أنت وهذا! فاستوهب عثمان من كعب شجته فوهبه، ثم استأذن أبوذر عثمان في الخروج من المدينة وقال إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعًا، فأذن له ونزل بالربذة وبنى بها مسجدًا وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقًا وكان يتعاهد المدينة فعدّ أولئك الرهط خروج أبي ذر فيما ينقمونه على عثمان[٢].

وقد ثبت بذلك أشياء منها:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٧ ص٤٢٩.

(٢) ابن خلدون: ج٢ ص١٣٩.

أولًا: أن أبا ذر رضي الله عنه لشدة ورعه وزهده وسذاجته انطلى عليه أكاذيب عبد الله ابن سبأ، وهو الذي كان يحرضه.

ثانيًا: كان رضي الله عنه يقول بأقوال ويدعوا الناس إلى آراء لم يأخذ بها أحد من الصحابة ولم يعمل بها أحد من حكام المسلمين وحتى عليّ لم يعمل بها في إمرته.

ثالثًا: كانت معاملة عثمان معه معاملة الرفق والرفيق.

رابعًا: شدة أبي ذر بآرائه وأفكاره، وضربه كعب الأحبار وجرحه إياه.

خامسًا: شفاعة عثمان إلى كعب الأحبار لعدم الإقتصاص منه وطلبه العفو والسمح.

سادسًا: استيذان أبي ذر عثمان في الخروج من المدينة امتثالًا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سابعًا: نزوله الربذة برضاه، لا نفيًا ولا طردًا من عثمان.

ثامنًا: لم يكن الربذة خلاء ولا صحراء كما يصورها الأعداء، بل كان فيها عمران حتى بنى بها مسجدًا.

تاسعًا: إقطاع عثمان إياه صرمة من الإبل وإعطاؤه إياه مملوكين للخدمة، وإجراء الأرزاق عليه.

عاشرًا: لم يكن منفيًا ومطرودًا حيث كان يتعاهد المدينة.

فتلك عشرة كاملة

والجدير بالذكر أن الربذة لم تكن بعيدة من المدينة لأن بنيهما ثلاثة أميال فقط، وقال ياقوت: وكانت في أحسن منزل في طريق المدينة(١).

وعلى ذلك قال أبوبكر ابن العربي:

«وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل»(٢).

---

(١) هوامش المنتقى: ص٣٨٠.

(٢) انظر العواصم من القواصم: ص٧٣.

ونقل الذهبي عن الحسن البصري أنه قال:

«معاذ الله أن يكون أخرجه عثمان»(١).

ومثل هذا روي عن زوجة أبي ذر أنها قالت:

«والله ما سير عثمان أبا ذر إلى ربذة»(٢).

وأما عدم أخذه القصاص من عبيد الله بن عمر على قتله هرمزان فالغريب أن الشيعة يقولون بهذا القول، الذي يدعون موالاة علي رضي الله عنه ومشايعته، وأنّى لهم تلك وهم أنفسهم يذمون كل من طالب عليها قصاص عثمان ممن قتله؟.

ثانيًا: ولقد ثبت أن الهرمزان كان واحدًا ممن دبروا اغتيال الفاروق الأعظم رضي الله عنه وقتله، وهاهوعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يذكر غداة طعن عمر:

مررت بأبي لؤلؤة عشي أمس، ومعه جفينة والهرمزان وهم نجيّ، فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل وقد تخلل أهل المسجد وخرج في طلبه رجل بني تميم، فرجع إليهم التميمي وقد كان ألظّ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه فقتله وجاء بالخنجر الذي وصفه عبدالرحمن(٣).

ثالثًا: إن القماذبان بن الهرمزان عفى عنه وغفر له قتل أبيه، وهاهوالنص كما رواه أبوالمنصور أنه قال:

سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمرّ فيروز بأبي ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟. فقال: ابس به، فرآه رجل. فلما أصيب عمر قال: رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولّى عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال: يا بني هذا قاتل أبيك وأنت أولى به وما في الأرض أحد إلا معي إلا أنهم يطلبون إلي فيه، فقلت

(١) المنتقى: ص٣٩٦. ط. مصر.
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) الطبري: ج٥ ص٤٢.

لهم: إلى قتله؟ قالوا: نعم، وسبوا عبيد الله، فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا وسبّوه، فتركته لله ولهم، فاحتملوني. فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم(١).

رابعًا: أن عثمان دفع ديته من ماله:

قال عثمان: أنا وليّه وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي(٢).

أوبعد هذا مجال لقائل أن يقول، وطاعن أن يطعن؟.

وأما قضية الأذان الثاني في الجمعة فلم يكن مما اعترضه عليه السبئيون، وهذا من زيادات أسلافهم، وعلى ذلك نقول لهم: هل عليّ أزال هذا الأذان حينما تولّى الخلافة؟.

والثابت أنه لم يزل طيلة خلافته، فلماذا سكت على هذا المنكر إن كان منكرًا؟. ولم الطعن على عثمان دون عليّ إن كان هذا من المطاعن؟.

وبذلك قال الذهبي:

وأما زيادات الأذان الثاني يوم الجمعة فعليّ ممن وافق على ذلك في خلافته ولم يزله وإبطال هذا كان أهون عليه من عزل معاوية وغيره من قتالهم. فإن قيل إن الناس لا يوافقونه على إزالة الأذان قلنا: فهذا دليل على أن الناس وافقوا عثمان على الإستحباب حتى مثل عمار وسهل بن حنيف والسابقين. وإن اختلفوا فهي من مسائل الإجتهاد(٣).

هذا ما قاله السبئية وطعنوا له على عثمان المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه حتى ألّبوا الناس عليه وقتلوه خدعة ومكرًا، غدرًا وطغيانًا، بعدما أراد علي وسبطا رسول الله الحسن والحسين وطلحة والزبير وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وأبوهريرة وعبد الله بن الزبير الدفاع عنه والمقاتلة دونه، وغيرهم الكثيرون حتى جاءه زيد بن ثابت الأنصاري فقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، فقال له عثمان: لا حاجة لي في ذلك، كفّوا(٤).

وقد ذكر ذلك ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي:

---

(١) الطبري: ج٥ ص٤٣-٤٤.

(٢) الطبري: ج٥ ص٤١.

(٣) المنتقى: ص٣٩٩.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥ ص٧٣.

ومانعهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص وجماعة معهم من أبناء الأنصار، فزجرهم عثمان وقال: أنتم في حل من نصرتي فأبوا[(١)].

وأيضًا نهى عليّ أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارًا، نابذهم بيده وبلسانه وبأولاده[(٢)]: وقد ذكر ذلك المؤرخ الشيعي المسعودي ببعض التفصيل وقد ذكرناه من قبل، ونعيد عبارته في آخر الكلام لأن فيه تذكرة لمن يتذكره وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهوشهيد.

فلما بلغ عليًّا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله، وبعث طلحة ابنه محمدًا، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا، فصدُّوهم عن الدار، فرمى من وصفنا بالسهام، واشتبك القوم، وجرح الحسن، وشج قنبر، وجرح محمد بن طلحة، فخشي القوم أن يتعصب بنوهاشم وبنوأمية، فتركوا القوم في القتال على الباب، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران، وعند عثمان زوجته، وأهلُه ومواليه مشاغيل بالقتال، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته، فقال: يا محمد، والله لورآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده، وخرج عن الدار، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت امرأته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية، فوجدوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه، فبكوا، فبلغ ذلك عليًّا وطلحة والزبير وسعدًا وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فاسترجع القوم، ودخل عليّ الدار، وهوكالواله الحزين، وقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ولَطَمَ الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير[(٣)] فهل لهم أن ينتهوا؟

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص١٩٧ تحت محاصرة عثمان ومنعه الماء.

(٢) نفس المصدر ج٣ ص٤٤٩ تحت أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر.

(٣) مروج الذهب للمسعودي الشيعي: ج٢ ص٣٤٤-٣٤٥.

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

ونختم هذا الباب على حديث رواه البخاري:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدًا وأبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله فقال: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**» صحيح البخاري.

وعلى حديث آخر رواه البخاري ومسلم أيضًا:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه **قال**: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**افتح له وبشّره بالجنة**»، ففتحت له فإذا أبوبكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**افتح له وبشّره بالجنة**» ففتحت له فإذا عمر فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: «**افتح له وبشّره بالجنة على بلوى تصيبه**»، فإذا عثمان فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم قال: «الله المستعان» متفق عليه.

وأخيرًا ما رواه الترمذي وابن ماجة عن مُرة بن كعب قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن فقرّبها، فمر رجل مقنع في ثوب فقال: «**هذا يومئذ على الهدى**»، فقمت إليه فإذا هوعثمان بن عفان، قال: فأقبلت عليه بوجهه – أي النبي صلى الله عليه وسلم – فقلت: هذا؟ فقال: «**نعم**».

«رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث صحيح».

فهذا هوعثمان بن عفان رضي الله عنه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هوشأنه، وهذا هوما فعله السبئيون والمخدوعون بهم، وهذه هي المطاعن المزوّرة التي اخترعوها لقلب نظام الحكم الإسلامي الراشد[1] ولبثّ سموم الفتنة بين المسلمين

---

(١) ومن المؤسف جدًّا بأن كثيرًا ممن يدعون الإنتساب إلى السنة تأثروا من دعايات السبائية الكثيرة المكررة فلم يفرقوا بين الحق والباطل وأطلقوا عنان أقلامهم لنقل هذه الخرافات والخزعبلات دون النظر إلى الأكاذيب السبائية وأباطيلها، ودون التمييز بين الغث والسمين فقالوا ما قالوا وكتبوا ما كتبوا – وما=

وتزحزحهم عن العقائد الإسلامية الصحيحة وردّهم بالمرحلة الأولى بقتل أمير المؤمنين وخليفة المسلمين والتفريق بين الجماعة الواحدة والأمة المرحومة، ثم تخطوا بعد ذلك بخطوة أخرى ألا وهي الإيقاع بين المسلمين وإشعال نيران الحرب بينهم وإثارة الفتن والبغضاء، ثم إبعادهم عن العقائد الإسلامية الصحيحة وإدخالهم في العقائد اليهودية المدسوسة والفكر اللاإسلامي، وفعلًا نجحوا في المرحلة الثانية أيضًا ألا وهي إيقاع الفتن بين المسلمين والهرج والمرج حتى ينفلتوا عن الجهاد في سبيل الله ويرجعوا لضرب بعضهم بعضًا، وينحصر القتال فيما بينهم ويدور بين فئاتهم وأحزابهم بعدما كانت تدور رحاها على ثغور الكفر وبلاد الشرك والوثنيات. وسنلخص القول في الباب القادم ما حصل فعلًا بأن الرقاع الإسلامية التي اتسعت في عهد عثمان امتدادًا لإتساع الفاروق والصديق انحصرت على ما كانت عليه في عهد علي رضي الله عنه، وبدأ علي رضي الله عنه يشكوويقول متأسفًا:

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنها خير ما تواصى به العباد وخير عواقب الأمور عند الله، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة)[1].

فبدل أن يتوجه المسلمون إلى أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء هذه الأمة بدأت سيوفهم تتفلل فيما بينهم. وهذا ما كانت تريده اليهودية البغيضة وهذا ما حصل كما نحن بصدد بيانه وذكره.

الباب الرابع: تطوّر التشيع الأول والشيعة الأولى ودَور السبئية بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وأيام علي رضي الله عنه

لم يكن قصدنا من كتابة هذا الكتاب أن نسرد وقائع تاريخية حدثت، بل ما قصدنا هوسرد تاريخ السبئية وما قاموا بها من شنائع واقترفوا من الجرائم والمآثم وارتكبوا من

= أكثرهم — وما أبعدهم عن الحق والصواب مع انتسابهم إلى العلم والزعامة الدينية.

(١) نهج البلاغة ص٣٦٧ ط. بيروت.

الفضائح والوقاحات ولكنه لما كنا نحتاج لسرد تاريخ هذه الفئة الباغية التي أسست في الإسلام عقائد خاصة، وكوّنت فرقًا مخصوصة، اضطررنا لسرد بعض الحوادث التاريخية التي حدثت وللسبئية فيها دخل كبير بل لم تكن لتقع لولا دسائسها ومؤامراتها، وليكون لنا بتوفيق الله وتقديره وتيسيره في هذه الحوادث والوقائع كتاب مستقل ومنزه عن الخرافات والسخافات، وخال من القصص والأساطير، ومجرد عن الأكاذيب والأباطيل التي طالما استعملها أعداء الإسلام وأعداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم للنيل من أسلافها وأكابرها، وما ذلك على الله بعزيز.

ويكون بحثنا مقتصرًا على الحوادث التي تتعلق بموضوعنا فقط، ونتجنب وقائع أخرى لعدم علاقتها بموضوعنا علاقة مباشرة قاصدين الإختصار دون الإطناب والتطويل، فنقول:

لما قُتل الإمام المظلوم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بقيت المدينة خمسة أيام لا أمير لها. أوأميرها واحد من قتلة عثمان هوالغافقي بن حرب وحوله السبئيون وقتلة عثمان، وأهواؤهم مختلفة فيمن يجعلونه خليفة بعد عثمان أمير المؤمنين، اللهم إلا السبئية منهم فإنهم لم ينادوا إلا باسم عليّ ـ رضي الله عنه ـ ولم يتستروا إلا وراءه وهومنهم بريء، ولقد مرّ مقدّمًا أن عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر الخبيث الذي كان وراء كل هذه المؤامرات كان مع المصريين، فاختلفت آراء البغاة والطغاة والأوباش السفلة[1]، فقوم يريدون طلحة، وقوم يريدون الزبير، وقوم يريدون عليًّا، وكل واحد منهم يأبى وينكر لما يعرف منهم الخبث والطغيان والإشتراك في مؤامرة مدبرة لهدم كيان الإسلام والقضاء على الدولة الإسلامية، المترامية الأطراف، التي لم تتسع رقعتها إلا في عصر عثمان الذهبي، والعصر الذي يندر مثيله في تاريخ الإسلام في كثرة الغزوات والفتوحات، ثم ييئسون من هؤلاء الثلاثة ويذهبون إلى سعد بن أبي وقاص فاتح إيران. ومن ثم إلى ابن الخليفة الفاروق الأعظم عبد الله بن عمر، فلم يكن جوابها إلا ما أجاب بهم الثلاثة من العشرة المبشّرة، وإليك ما ذكره أقدم المؤرخين الطبري ووافقه عليه كل من ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم:

(١) ولقد سماهم بهذه الأسماء كل من ابن العربي وابن تيمية وغيرهم.

حدثنا محمد بن عبد الله وطلحة بن الأعلم وأبوحارثة وأبوعثمان قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان – رضي الله عنه – خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر، فلا يجدونه. يأتي المصريون عليًّا فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه فأرسلوا إليه حيث هورسلًا فتبرأ من مقالتهم، ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم مرة بعد مرة وكانوا مجتمعين على قتل عثمان، مختلفين فيمن يهوون، فلما لم يجدوا ممالئًا ولا مجيبًا جمعهم الشر على أول من أجابهم وقالوا: لا نولي أحدًا من هؤلاء الثلاثة، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع فأقدم نبايعك، فبعث إليهم أني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال، وتمثل:

لا تخلطن خبيثات بطيبة　　　واخلع ثيابك منها وانج عريانا

ثم أنهم أتوا ابن عمر عبد الله فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقامًا والله لا أتعرض له فالتمسوا غيري، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم(١).

ولم تكن حيرتهم إلا لمعرفتهم أنه لوقام قائم دون مشورتهم وبغير رأي منهم لحكّم فيهم السيف وأخذ منهم القصاص للإمام المظلوم وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنتيه وابن بنت عمته، القائم بالحق، ذي الجود والحياء عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ولقد صرح بذلك ابن كثير في روايته التي ساقها أن القوم لما يئسوا من الجميع وحاروا في أمرهم قالوا:

«إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بعد قتل عثمان بغير إمرة اختلف الناس في إمرتهم ولم نسلم»(٢).

ثم جاءوا إلى أهل المدينة وجمعوهم:

---

(١) الطبري: ج٥ ص١٥٥، ابن الأثير: ج٧ ص٢٢٦، ابن الأثير: ج٣ ص٩٩، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.
(٢) البداية والنهاية: ج٧ ص٢٢٦.

«فوجدوا سعدًا والزبير خارجين ووجدوا طلحة في حائطه، ووجدوا بني أمية قد هربوا إلا من لم يطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج وتبعهم مروان وتتابع على ذلك من تتابع، فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة وأمركم عابر على الأمة فانظروا رجلًا تنصبونه ونحن لكم تبع... فقد أجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدًا عليًّا وطلحة والزبير وأناسًا كثيرًا، فغشي الناس عليًّا فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من ذي القرب»[1] فردّ عليهم علي - رضي الله عنه - بقول: ـ وقد نقل هذا القول في أقدس كتاب شيعي حسب زعم القوم ألا وهونهج البلاغة ـ:

«دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا»[٢، ٣].

---

(١) الطبري: ج٥ ص١٥٦، الكامل: ج٣ ص٩٩، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.

(٢) نهج البلاغة: ص١٣٦ ط. بيروت.

(٣) وفي هذا أكبر دليل رغم أنوف من يرى خلاف ذلك أن عليًّا رضي الله عنه لم يكن يعدّ نفسه إمامًا منصوبًا من قبل الله عز وجل ولا منصوصًا عليه لأنه لوكان كذلك لما كان له الخيار في ردّ الإمامة والخلافة عندما جاءت إليه تسعى بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فهذا الكلام الصادر عن علي رضي الله عنه المنقول في أقدس كتبهم لكلام فصل وقضاء مبرم واضح صريح بيننا وبين الذين يرون خلاف هذا، وعلى ذلك قال ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي مع تشيعه أن هذا الكلام يدل على:

«أنه عليه السلام لم يكن منصوصًا عليه بالإمامة من جهة الرسول ﷺ، وإن كان أولى الناس بها وأحقهم بمنزلتها، لأنه لوكان منصوصًا عليه بالإمامة من جهة الرسول ﷺ لما جاز له أن يقول: دعوني والتمسوا غيري، ولا أن يقول: وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا، ولا أن يقول: ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧ ص٣٣-٣٤.

كما أن مجرد امتناعه عن قبول الخلافة لكان من الحجة القاضية عليهم، والنصوص في هذا المعنى كثيرة=

وذكر ذلك من مؤرخين السنة الطبري في تاريخه[١]، وابن الأثير في الكامل[٢]، ولكنهم أكرهوه على ذلك وأجبروه:

وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه من الناس – من بايعه –[٣].

كما ذكر علي – رضي الله عنه – ذلك أيضًا فيما ينقله الشيعة عنه في رسالته التي أرسلها إلى أهل مصر أوخطبة ألقاها:

حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثم جئتموني لتبايعوني، فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمتم عليّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أوأنكم قاتليّ. فقلتم: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا بك، بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا. فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طوعًا قبلته، ومن أبى لم أكرهه وتركته[٤].

ومثل ذلك نقل الشريف الرضي في (نهج البلاغة) تحت عنوان أمر البيعة[٥].

فبايعه من بايعه ولم يبايعه من لم ير الجووالوقت مناسبًا، وممن امتنع عن بيعته من كبار الصحابة كما ذكر المؤرخين:

«ثم بايعه الناس وجاءوا بسعد فقال لعليّ حتى يبايعك الناس، فقال: أخلوه. وجاءوا بابن عمر فقال كذلك، فقال: ائتني بكفيل قال: لا أجده، فقال الأشتر: دعني أقتله، فقال: دعني أنا كفيله، وبايعت الأنصار وتأخر منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن خالد، وأبوسعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير،

= وبعضها آتية مذكورة قريبًا.

فهل منصف ينصف وعادل يعدل؟ وإن في ذلك لذكرى لأولي الأبصار

(١) ج٥ ص١٥٦.

(٢) ج٣ ص٩٩.

(٣) ابن كثير: ج٥ ص٢٢٦.

(٤) الغارات للثقفي الكوفي الشيعي: ج١ ص٣١٠-٣١١ ط. طهران، شرح النهج لابن أبي الحديد الشيعي: ج٦ ص٩٦-٩٧، بحار الأنوار للمجلسي: ص٥١-٥٢.

(٥) نهج البلاغة: ص١٩٥ ط. بيروت.

وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وسلمة بن سلامة بن وقش. وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة. وأما النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقميصه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخًا»[١] وأما طلحة فقال:

بايعت والسيف فوق رأسي[٢].

وقال الزبير:

«جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللجة في عنقي»[٣] وفي رواية: «جاء القوم بطلحة فقالوا: بايع فقال: إني أبايع كرهًا... ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك»[٤].

وقال قوم: إنما بايعا على شرط إقامة الحدود في قتلة عثمان[٥].

وقيل: إنه قد بايع طلحة ولم يبايع الزبير ولا سلمة بن سلامة ولا أسامة بن زيد[٦].

والمدائني نقل عن الزهري:

هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليًّا[٧].

فهكذا انعقدت البيعة للإمام علي ـ رضي الله عنه ـ واستتر السبئيون والمخدوعون بهم من قتلة عثمان وراء المبايعين لعليّ ـ رضي الله عنه ـ واختلفوا خلف المشايعين له وأحاطوه من كل جانب كما ذكر الطبري أن عليًّا ـ رضي الله عنه ـ لما خطب بخطبته الأولى بعد بيعته ثم أراد الذهاب إلى بيته قالت السبئية:

---

(١) ابن خلدون: ج٢ ص١٥١، ابن الأثير: ج٣ ص٩٨، ابن الكثير: ج٧ ص٢٢٦.
(٢) الطبري: ج٥ ص١٥٤.
(٣) الطبري: ج٥ ص١٥٤، الكامل: ص٩٩.
(٤) أيضًا: ص١٥٧، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.
(٥) أيضًا: ص١٥٨.
(٦) الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٩٨.
(٧) البداية والنهاية: ص٢٢٦.

خذها إليك واحذرًا أبا الحسن إنا نمرُّ الأمر إمرار الرسن
صَوْلَةَ أقوامٍ كأسداد السُّفُن بِمَشْرَفيّاتٍ كغُدرانِ اللبن
ونَطعُنُ المُلكَ بِلَينٍ كالشَّطَن حتى يُمَرَّنَ على غيرِ عَنن

فقال علي وذكر تركهم العسكر والكينونة على عدة ما مُنُّوا حين غمزوهم ورجعوا إليهم فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى:

إني عجزتُ عجزةً لا أعتذر سوف أكيسُ بعدها وأستمر
أرفَعُ من ذَيليَ ما كنتُ أجُر وأجمَعُ الأمرَ الشّتيتَ المنتشر
إن لم يُشاغبني العَجولُ المُنتَصِر أويترُكوني والسلاحُ يُبْتَدَر

«واجتمع إلى علي بعدما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة فقالوا: يا علي إنّا قد اشترطنا إقامة الحدود وإن هؤلاء القوم اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا أخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعًا لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيًا ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية وإن لهؤلاء القوم مادة وذلك إن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدًا إن اليأس من هذا الأمر إن حرك على أمور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا، واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها وإنما هيجه على ذلك هرب بني أُمية، وتفرق القوم وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على إنتصار من هؤلاء الأشرار لتركوا هذا إلى ما قال عليّ أمثل، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، ووالله أن عليًّا لمستغن برأيه وأمره عنا»[1].

---

(١) الطبري: ج٥ ص١٥٨.

ولأجل ذلك منعه ابن عمه عبد الله بن عباس عن أخذ البيعة، كما منعه ابنه الحسن من قبل عن بقائه في المدينة والسبئيون يفعلون ما يفعلون ويعملون ما يعملون:

فقال ابن عباس: «أطعني وادخل دارك، والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لأن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدًا، فأبى عليّ»[(١)].

وأما منع الحسن إياه عن بقائه في المدينة يوم استولت السبئية فذكرها المؤرخون[(٢)] أيضًا.

وبدأ السبئيون يتقوون ويجمعون حولهم الموالي والأعراب إلى أن فحل أمرهم، فأراد علي — رضي الله عنه — أن يضعف قوتهم ويكسر شوكتهم بالحيلولة بين السبئية والعبيد والأعراب والتفريق بينهم، فنادى في الناس:

«برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبائية والأعراب وقالوا: لنا غدًا مثلها»[(٣)].

وفي اليوم الثالث من بيعته خرج عليّ على الناس فقال:

«يا أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم، فأبت السبئية وأتاهم الأعراب»[(٤)].

ولما رأى الناس وفي مقدمتهم رؤوس الصحابة وأكابرهم أن السبئية يزدادون يومًا فيومًا في غلوائهم وطغيانهم، وأيديهم متلطخة بدم الإمام المظلوم، وهم زيادة على ذلك يريدون أن يلفّوا حولهم أوباشًا من الناس والفسقة والفجرة، كما أنهم بدءوا يبثون العقائد الأجنبية بينهم، طالبوا عليًا — رضي الله عنه — أن يقتص منهم لعثمان بأن يحكّم فيهم بالسيف، ولكن أمير المؤمنين عليًا هاب من نفوذهم، وخاف من سلطتهم، فماطل

(١) الطبري: ج٥ ص١٦٠، ابن الأثير: ج٣ ص١٠١، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.
(٢) الطبري: ج٥ ص.
(٣) الطبري: ج٥ ص١٥٨. ابن الأثير: ج٣ ص١٠٠.
(٤) الطبري: ج٥ ص١٥٩. ابن الأثير: ص١٠١، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.

الصحابة وطلب منهم المهلة لازدياد نفوذ السبئية وقوتهم، فلقد ذكر المؤرخون ألفاظًا عديدة منه - رضي الله عنه - تبريرًا لقصوره عن أخذ الثأر وإقامة الحد، فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه:

«ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة - رضي الله عنهم - وطلبوا منه إقامة الحد والأخذ بدم عثمان، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا، فطلب منه الزبير أن يواليه على إمرة الكوفة ليأتي له بالجنود، وطلب منه طلحة أن يواليه إمرة البصرة ليأتي له منه بالجنود ليقضي على شوكة هؤلاء الخوارج وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان - رضي الله عنه - فقال لهما: مهلًا عليَّ حتى أنظر في هذا الأمر»(١).

وعبارة الطبري:

يا عليّ إنا قد شرطنا إقامة الحدود وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ولكني كيف يملكوننا ولا نملكهم. هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعًا لقدرة على شيء مما تريدون(٢).

وأما ابن الأثير فنقل عنه أنه قال:

كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم(٣).

وأما ابن خلدون فذكر أنه قال في جوابهم:

لا قدرة لي على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق(٤).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٧ ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) الطبري: ج٥ ص١٥٨.

(٣) ابن الأثير: ج٣ ص١٠٠.

(٤) ولا أدري أي شيء جعل أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه أن يستعجل في إقامة الحد على ابن أمير المؤمنين الفاروق، على عبيد الله الذي قتل الهرمزان مع أنه مضى على تلك الحادثة أكثر من عشر سنوات، وأن القضية كانت قضية مختلف فيها من عدة وجوه كما مرّ، مع تأجيله وتأخيره في أخذ القصاص عن عثمان أمير المؤمنين وإمام المسلمين وخليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام وصهره وخال السبطين وعديله=

فافترقوا عنه وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان[1].

وهذا الذي جعل الزبير وطلحة يقنطان من اقتصاص الإمام المظلوم عثمان - رضي الله عنه - ويخرجان من المدينة، وهناك التقيا أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ومن طرف آخر بدأت الرسائل تتبادل بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - لأن عليًّا عزل معاوية - رضي الله عنهما - عن الشام وأمّر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فقال ابن عباس:

= هو نفسه؟

وأين هرمزان من عثمان وأين عبيد الله بن عمر من عبد الله بن سبأ والسبئية؟

ثانيًا: ولا ندري ما الذي جعل الإمام عليًّا رضي الله عنه وهو في ذلك الضيق من الأمر أن يستعجل عزل عمال عثمان وأن يستبدل بهم عماله وأبناء عمه وأقاربه؟

ثالثًا: كما أننا لا نعلم لأي شيء استعجل عزل معاوية أمير الشام وقد عيّنه على ذلك المنصب خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام الصديق، ثم أقرّه على ذلك شديد في أمر الله الفاروق، ثم الخليفة الراشد الثالث عثمان. وفوق كل ذلك لم يرفع عنه شكوى واحدة مع كثرة الشكاوى على العمال والحكام والولاة، وهذا مع نصيحة ابن عمه وأقرب المقربين إليه عبد الله بن عباس وداهية العرب المغيرة بن شعبة إياه بالإعراض عن عزله وإثباته على عمله كما يرويه ابن عباس رضي الله عنه نفسه:

يا أمير المؤمنين أخبرني عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال لي أخلني ففعلت فقال إن النصح رخيص وأنت بقية الناس وإني لك ناصح وإني أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت، فقلتُ: والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدنيَّ في أمري قال: فإن كنتَ قد أبيت عليَّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإن لمعاوية جُرأة وهو في أهل الشام يسمع منه ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها، فقلتُ لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدًا فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال لي: إني أشرت عليك بما أشرت به فأبيت عليَّ ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون في أمرك دُلسة، قال فقال ابن عباس: فقلت لعلي: أما أول ما أشار به عيك فقد نصحك وأما الآخر فغشك وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله. قال علي: لا والله لا أعطيه إلا السيف قال ثم تمثل بهذا البيت:

ما ميتةٌ إن مُتُّها غيرَ عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالت النفس غَولُها

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لستَ بأرَبٍ بالحرب» (الطبري).

لا ندري هذا كله، ولا نستطيع أن نقول شيئًا اللهم إلا أنه لم يكن معصومًا، فلكل اجتهاد، وقد يخطئ وقد يصيب.

(١) ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.

«ما هذا برأي، معاوية رجل من بني أمية وهوابن عم عثمان وهوعامل الشام ولست آمن أن يُضرب عنقي لعثمان»[١].

فاعتذر إليه وأعفاه منها، وبينا هم في ذلك بدأت السبئية يشتغلون ويثيرون الفتن والقلاقل ويسعون فسادًا، ويثيرون الأحقاد والضغائن، وينفخون في الرماد، ويحاولون إسعار الحرب بين المسلمين، ويحرضون شيعة عليّ ضد كل من يطالب بثأر عثمان وقصاصه، وخاصة معاوية – رضي الله عنه – الذي بدأ يمتنع من الخضوع لخلافة عليّ – رضي الله عنه – والتسليم بإمارته بدعوى أن بيعة علي لم تنعقد، لأنه لم يحصل الشورى ولم يبايعه أهل الحل والعقل، ولم ينتخبه إلا رجال معدودون من المهاجرين والأنصار ومن أهل المدينة. وفوق ذلك كله قتلة عثمان والسبئية التجئوا في معسكره واكتنفوا بكنفه.

ولقد أشرنا إلى تلك الأمور كلها في الباب الأول بثبت من عبارات التاريخ والمؤرخين. فبينا هم كذلك في الجواب وجواب الجواب إذ جاءه رسول معاوية – رضي الله عنه – فقال: آمن أنا؟ قال علي – رضي الله عنه –:

«نعم إن الرسول لا يُقتل، فقال: إني تركت قومًا لا يرضون إلا بالقود، ثم بّلغ الرسالة، فاستأذن بالخروج، فقال له علي: اخرج، قال: وإني آمن؟. قال: وأنت آمن»[٢].

فاشتغل السبئية لزيادة التوتر والحدة وإخراج الحرب من الكلام إلى السيوف، وإليك النص ما ذكره المؤرخون:

«وصاحت السبئية: هذا الكلب رسول الكلاب، اقتلوه، فنادى: يا لمضر، يا لقيس الخيل والنبل، إني أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصيّ فانظروا كم الفحولة والركاب وتعاووا عليه ومنعته مضر وجعلوا يقولون له: اسكت، فيقول: لا والله لا يفلح هؤلاء أبدًا فلقد أتاهم ما يوعدون، فيقولون له: اسكت، فيقول: لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم»[٣].

---

(١) الطبري: ج٥ ص١٦٠.
(٢) انظر الكامل لابن الأثير: ج٣ ص١٠٤.
(٣) ابن الأثير: ج٣ ص١٠٤، الطبري: ج٥ ص١٦٣.

وهذه العبارة وهذه الألفاظ الصادرة عن السبئية تدل وتنبئ صريحًا عما كانوا يسعون لأجله، فبدءوا ينشرون الأراجيف ويشيعون الأكاذيب حتى يستل سيوف المسلمين ما بينهم ويقع الإصطدام ويحصل الحرب ويشتغلون بها ويضرب بعضهم رقاب بعض، وينسى هؤلاء ويعرض عنهم وعن فعلتهم، ويكثر الشقاق والإختلاف، ويزداد الإبتعاد ويمتد بينهم الجدال والقتال. هذا كل ما كانوا يقصدونه، وهذا كل ما يرجونه.

ولما سمعوا باجتماع طلحة والزبير - رضي الله عنهما - مع أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في مكة بدءوا يحرضون شيعة عليّ - رضي الله عنه - وعليًّا نفسه على محاربة أهل الشام، قبل أن يعظم الأمر ويستفحل الخطر، فأمر علي - رضي الله عنه - الناس بالمسير إلى أهل الشام، فتثاقل أهل المدينة، كما أن ابنه الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه عن ذلك قائلًا:

«يا أبتِ دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الإختلاف بينهم فلم يقبل منه ذلك بل صمم على القتال ورتّب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية»[1].

كما منعه عن ذلك زياد بن حنظلة التميمي:

وكان منقطعًا إلى علي، فجلس إليه ساعة ثم قال له علي: يا زياد تيسّر، فقال لأي شيء؟. فقال: لغزو الشام، فقال زياد: الأناة والرفق أمثل، وقال:

ومـن لم يـصانع في أمـور كثـيرة ... يـضرس بأنيـاب ويوطـأ بمنـسم

«فخرج زياد والناس ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟. فقال: السيف يا قوم، فعرفوا ما هو فاعل»[2].

ولم يخرج إلى الشام حتى جاءه خبر خروج أم المؤمنين وطلحة والزبير إلى البصرة يطالبون بدم عثمان، فبادر إليهم بناس من المدينة ليمنع أولئك من دخولها:

«فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم، قال الشعبي: ما نهض معه في

---

(١) البداية والنهاية: ج٥ ص١٦٣، ابن الأثير: ج٣ ص١٠٤.
(٢) الطبري: ج٥ ص١٦٣، ابن الأثير: ج٣ ص١٠٤.

هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين، ليس لهم سابع. وقال غيره أربعة. وذكر ابن جرير وغيره قال: كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبوالهيثم بن التيهان، وأبوقتادة الأنصاري، وزياد بن حنظلة، وخزيمة بن ثابت. قالوا: ليس بذي الشهادتين، ذاك مات في زمن عثمان - رضي الله عنه - وسار علي من المدينة نحوالبصرة على تعبئته المتقدم ذكرها، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وخرج علي من المدينة في نحومن تسعمائة مقاتل، وقد لقي عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - عليًّا وهوبالزبدة، فأخذ بعنان فرسه وقال: يا أمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبدًا، فسبَّه بعض الناس، فقال علي: دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجاء الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال: لقد نهيتك فعصيتني تقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال له علي: إنك لا تزال تحن على حنين الجارية، ما الذي نهيتني عنه فعصيتك؟ فقال: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يُقتل وأنت بها، فيقول قائل أويتحدث متحدث؟ ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كله؟ فقال له علي: أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه. فتريد مني أن أكون كالضبع التي يحاط بها، ويقال ليست هاهنا، حتى يشق عرقوبها فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟. فكف عني يا بني، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذي قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، إني قد اخترتكم على أهل الأمصار، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانًا وأنصارًا، وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا، فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب»[(١)].

---

(١) ابن كثير ج٧ ص٣٣٣-٣٣٤، ابن الأثير ج٢ ص١١٣-١١٤، الطبري ج٥ ص١٦٩، ابن خلدون ج٢ ص١٥٧.

فاجتمع الناس حول الفريقين من المدينة ومكة والكوفة والبصرة، كما اعتزل أكثر أصحاب النبي الموجودون، الأحياء منهم آنذاك عن الطرفين، فنزلت أم المؤمنين مع من كان معها بالبصرة ونزل علي - رضي الله عنه - بذي قار، ثم دعا علي - رضي الله عنه - القعقاع بن عمروو بعثه رسولًا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة ويعظم عليهما الفرقة والإختلاف فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال:

«أي أماه! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بنيَّ! الإصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضروا عندها، فحضروا، فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن، قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركًا للقرآن، فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الإستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير، لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخّر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة، ثم أعلمهم أن خلقًا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع. فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟. قال: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واثتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولًا، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وأيم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه،

وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة. فقالوا: قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر، قال: فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام علي في الناس خطيبًا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم على الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذي جرى على الأمة، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها، وأرادوا ردّ الإسلام على أدبارها، والله بالغ أمره»[١].

وكان مع أم المؤمنين ثلاثون ألف، كما كان مع عليّ - رضي الله عنه - عشرون ألف[٢].

هذا والسبئية وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ وقتلة عثمان مترقبون كل صغيرة وكبيرة بكل دقة وما يجري بين الفريقين من السعي إلى الصلح والإصلاح والوفاق والإتحاد، وينظرون كيف تفشل خطتهم ومؤامرتهم للفتنة والفساد وإقامة الحروب بين المسلمين إلى أن وصل الأمر حدًّا لم يكن في تصورهم أن يصل إليه، وخاصة عندما قام أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - خطيبًا في معسكره وقال:

«ألا إني مرتحل غدًا فارتحلوا، ولا يرتحلن أحد معي أعان على قتل عثمان بشيء من أمر الناس»[٣].

فما أن سمعت السبئية بهذا القول إلا وعرفوا مصيرهم. وهنا نرجع إلى ما سطر في التاريخ، والألفاظ لابن كثير: «فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم - أي قتلة عثمان -

---

(١) ابن كثير: ج٧ ص٢٣٧-٢٣٨. الطبري: ج٥ ص١٩١-١٩٢، ابن خلدون: ج٢ ص١٦٢.
(٢) الطبري: ج٥ ص٢٠٢.
(٣) البداية والنهاية: ج٧ ص٢٣٨، الطبري: ج٥ ص١٩٤، ابن الأثير: ج٣ ص١٢٠.

جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وغلاب بن الهيثم، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا: ما هذا الرأي وعلي والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غدًا يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا أحلقنا عليًّا بعثمان، فرضي القوم منا بالسكوت، فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت، لوقتلناه قتلنا، فإنا يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة، وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، لا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم، فقال غلاب بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها، فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، إذًا والله يتخطفكم الناس، ثم قال ابن السوداء قبحه الله: يا قوم إن عيركم في خلطة لناس فإذا اتقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بدًّا من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون، ويأتيهم ما يكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه، وأصبح علي مرتحلًا ومر بعبد القيس فسار ومن معه حتى نزلوا بالزاوية، وسار منها يريد البصرة، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد، ونزل الناس كل في ناحية. وقد سبق علي جيشه وهم يتلاحقون به، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، فأشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة، من قتلة عثمان، فقالا: إن عليًّا أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك، وقام علي في الناس خطيبًا، فقام إليه الأعور بن نيار المنقري، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء الثائرة ليجتمع الناس على الخير، ويلتئم شمل هذه الأمة، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال فإن لم يتركونا؟. قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا، قال: نعم! وقام إليه أبوسلام الدالاني فقال: هل

لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم! قال: فهل لك من حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم! قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟ قال: نعم! قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا؟ قال: إني لأرجوأن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله أدخله الجنة»[١].

فهكذا جرت الأمور، وهكذا تقدم كل من الطرفين إلى الإصلاح وتخطى إلى الصلح بخطوات سريعة، وكذلك بدأ عبد الله بن سبأ وأعوانه يخططون خطوط المؤامرة ويحكمون نسيجها وإن المؤمنين المخلصين من شيعة عثمان ومن شيعة علي كانوا في الخفاء عما يجري وراء الأستار، وكان المتآمرون في يقظة تامة عما يجري أمامهم مكشوفًا ظاهرًا، فنزل الفريقان وتراسلوا ما بينهم، فبعث عليّ إلى طلحة والزبير يقول:

«إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمروفكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر، فأرسلا إليه في جواب رسالته: إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرومن الصلح بين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنت. واجتمع كل فريق بأصحاب من الجيش»[٢].

فلم يجدوا أمرًا هوأمثل من الصلح، ووضع الحرب حين رأوا الأمر أخذ في الإنقشاع[٣]، وبات الناس على الصلح كما قال الطبري:

«فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها[٤].

وقال ابن كثير:

وبات الناس بخير ليلة وبات قتلة عثمان بشر ليلة[٥].

فكانت الليلة هذه حاسمة لم ينم فيها عيون اليهودية البغضاء وعيون أبنائها

(١) ابن كثير: ج٧ ص٢٣٨، الطبري: ج٥ ص١٩٥، ابن الأثير: ج٣ ص١٣٠، ابن خلدون: ج٣ ص١٦٠-١٦١.
(٢) ابن كثير: ج٧ ص٢٤١.
(٣) الطبري: ج٥ ص٢٠٣.
(٤) الطبري: ج٥ ص٢٠٢، الكامل: ج٣ ص١٢٣.
(٥) البداية والنهاية: ج٧ ص٢٣٩، ابن خلدون: ج٢ ص١٦٢.

الحاقدين على الإسلام وعلى الملة الإسلامية، والمخدوعين بهم، لم تنم ولا للحظة، وإليك ألفاظ التاريخ:

«وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم يمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلًا، وبيّتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب عليّ فبلغ الأمر عليًّا فقال: ما للناس؟ فقالوا، بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا للأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا وقامت الحرب على ساق وقدم، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفًا، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسبئية أصحاب ابن السوداء قبحهما الله لا يفترون عن القتل، ومنادي علي ينادي: ألا كفوا ألا كفوا، فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن سوار قاضي البصرة فقال: يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله يصلح بك بين الناس، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركتهم، فتصاولوا وتجاولوا. وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يـ[جهز] على جريح، ولا يتبع مدبر، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدًّا»(١).

وقد زاد الطبري وابن الأثير في روايتهما:

«وقد وضع السبئية رجلًا قريبًا من عليّ يخبرهم بما يريد، فقال علي: ما هذا؟. قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا، فرددناهم فركبونا وثار الناس»(٢).

فهكذا وقعت تلك الكارثة التي ذهب ضحيتها آلاف من الناس حتى جعل علي – رضي الله عنه – يقول لابنه الحسن:

---

(١) البداية والنهاية: ج٧ ص٢٣٩-٢٤٠، الطبري: ج٥ ص٢٠٢-٢٠٣، الكامل: ج٣ ص١٢٣-١٢٤.
(٢) ابن الأثير: ج٣ ص١٢٤، الطبري: ج٥ ص٢٠٣.

«يا بنيّ ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا، فقال له: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا. قال سعيد بن أبي عجرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة قال: قال علي يوم الجمل: يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة، فقال له: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بنيّ إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا»(١).

وانتهى الحرب بسقوط الجمل الذي كان عليه هودج أم المؤمنين بعدما قتل ممن أخذ خطامه سبعون رجلًا. ونسرد آخر ما في هذا من (الكامل لابن الأثير):

«لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه فأدخل محمد يده فيه فقالت: من هذا؟. فقال: أخوك البر. قالت: عقق، قال: يا أخية هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت وذاك. قال: فمن إذا الضلال. قالت: بل الهداة، وقال لها عمار: كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه؟. قالت: لست لك بأم. قال: بلى وإن كرهت. قالت: فخرتم أن ظفرتم وأتيتم مثل الذي نقمتم هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه فأبرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها أحد، وأتاها علي فقال: كيف أنت يا أمه؟. قالت: بخير. قال: يغفر الله لك. قالت: ولك، وجاء أعين بن ضبيعة بن أعين المجاشعي حتى اطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله. فقال: والله ما أرى إلا حميراء. فقالت له: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمي عريانًا في خربة من خرابات الأزد، ثم أتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع بن عمروفسلم عليها فقالت: إني رأيت بالأمس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك؟ قال: نعم ذاك الذي قال: أعقُّ أمِ نعلم، وكذب، إنك لأبر أم نعلما ولكن لم تطاعي. قالت: والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة... فأقام علي بظاهر البصرة ثلاثًا وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم وطاف علي في القتلى فلما أتى علي كعب بن سور قال: أزعمتم أنه خرج معهم السفهاء وهذا الخبر قد ترون، وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال: هذا يعسوب القوم – يعني أنهم كانوا يطيفون به – واجتمعوا على الرصافة لصلاتهم، ومرّ على طلحة بن عبيد الله وهوصريع

(١) البداية والنهاية: ج٣ ص٢٤٠.

فقال: لهفي عليك يا أبا محمد! إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشًا صرعى، أنت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   إذا ما هواستغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مرّ برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم، وصلى عليٌّ على القتلى من أهل البصرة والكوفة، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، وأمر فدفنت الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر شيء وبعث به إلى مسجد البصرة[1].

«ثم جهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أوزاد أومتاع وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس وودّعوها وودّعتهم، وقالت: يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال عليّ: يا أيها الناس صدقت والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦ وشيعها عليّ أميالًا وسرح بنيه معها يومًا»[2].

هذا آخر ما أردنا ذكره من مؤامرات السبئية ومن مخططاتها ولأجل ذلك دخل اليهودي الملعون في الإسلام وتستر بالكفر وتظاهر بالحب لعليّ وآل بيته، وفعل هووجماعته السبئيون هذه الشناعات المنكرة التي جرّت إلى أن تتمنى أم المؤمنين حبيبة رسول الله عائشة وأمير المؤمنين ربيب رسول الله عليّ أن كانا أمواتًا قبل وقوع هذه الحوادث.

---

(١) ابن الأثير: ج٣ ص١٣٠-١٣١.

(٢) الطبري: ج٥ ص٢٢٥، تحت تجهيز علي عائشة من البصرة.

وقبل أن نأتي إلى خاتمة هذا الكلام في الحرب نريد أن نذكر أن عليًا - رضي الله عنه - لم يكن يعد محاربيه كفارًا كما نقلنا الكلام عن جميع المؤرخين آنفًا، ولقد أقرّ بذلك الشيعة أنفسهم حيث أوردوا نفس الرواية التي أوردها أهل السنة في كتبهم:

«عن جعفر عن أبيه أن عليًا عليه السلام كان يقول لأهل حربه: إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم يقاتلونا على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنّا على حق ورأوا أنهم على حق»[(١)].

وروى الحيري الشيعي رواية أخرى عن جعفر عن أبيه محمد الباقر:

«إن عليًا عليه السلام لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكن يقول: هم إخواننا بغوا علينا» [قرب الإسناد للحميري الشيعي: ص٤٥ ط. إيران].

وهذه نفس الرواية التي رواها شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وابن عساكر وغيرهم عن جعفر بن محمد عن أبيه الباقر قال:

«سمع عليّ يوم الجمل ويوم صفين رجلًا يغلو في القول فقال: لا تقولوا إلا خيرًا، إنما هم قوم زعموا أنا بغينا عليهم وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم»[(٢)].

وأخيرًا: فلما انتهى عليّ - رضي الله عنه - من حرب الجمل لم تمتنع السبئية عن إظهار خبثهم وسريرتهم وما يكنّونه في صدورهم، فلقد نقل الإمام ابن كثير بعد ذكر مجموع من قتل يوم الجمل:

«وكان مجموع من قُتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم، وقد سأل بعض أصحاب عليّ عليًا أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير، فأبى عليهم، فطعن فيه السبئية وقالوا: كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟. فبلغ ذلك عليًا فقال: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ فسكت القوم، ولهذا لما دخل البصرة فض في أصحابه

---

(١) قرب الإسناد للحميري الشيعي: ص٤٥ ط. إيران.

(٢) انظر منهاج السنة لابن تيمية: ج٣ ص٦١، المنتقى: ص١٣٥، تهذيب ابن عساكر: ج١ ص٧٣، ومثله في السنن الكبرى: ج٨ ص١٧٣.

أموال بيت المال، فنال كل رجل منهم خمسمائة، وقال: لكم مثلها من الشام، فتكلم فيه السبئية أيضًا ونالوا منه وراء وراء»[١].

وأما حرب صفين فلم يكن سعي السبئية فيها أقل من حرب الجمل لإثارة الفتن والقلاقل والإضطرابات، ولا زالوا على دأبهم هذا طيلة أيام عليّ ـ رضي الله عنه ـ يؤذونه بآرائهم الشاذة وأفكارهم الغريبة وعقائدهم الأجنبية، وبتجميعهم المجرمين وتحزبهم وتكتلهم وتجمعهم وإيقاع الفرقة بين المسلمين حتى لم يمتنعوا من إيقاعها بين علي وأصحابه، وإبعاد المخلصين عنه، لأنهم لم يكن قصدهم من إظهار الولاء لعليّ والبراءة من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام حب عليّ وأولاده، بل جعلوا هذا التظاهر بالحب والولاء سترًا على مقاصدهم الخبيثة ومطامعهم الحقيقية للنيل في الإسلام والمسلمين حتى حالوا بين علي ـ رضي الله عنه ـ وبين أخلص المخلصين له كرئيس عساكره وكبير مستشاريه وابن عمه عبد الله بن عباس لاتهامهم إياه بغصب الأموال وأخذها بغير حق[٢].

وكذلك زياد أمير فارس وغيرهم الكثيرين الكثيرين.

فهذه كانت أحوال السبئية في أيام علي – رضي الله عنه – وهذه مساعيهم غير المحمودة. وقبل ذلك ذكرنا سعيهم بالفتنة والفساد أيام عثمان – رضي الله عنه – مزحزحة أركان الإسلام والدولة الإسلامية ببعض الإيجاز والإختصار من كتب التاريخ إعتمادًا على أصح الروايات وموقفنا من الشيعة أنفسهم أيضًا.

ونريد أن نلفت الأنظار أن شيعة عليّ – رضي الله عنه – العامة منهم كانوا على جانب عن هؤلاء كما يلاحظ من خلال الروايات التي سردناها لذكر هذه الوقائع، وعلى ذلك كانوا دائمًا يسعون إلى الصلح واجتناب القتال والجدال، قدر الإستطاعة وحسب المقدور، ولوأن قليلًا منهم تأثروا بأفكار هؤلاء المخبثين، وانخدعوا بأباطيلهم وأكاذيبهم ووقعوا في شراكهم وحبائلهم. ولذلك لم يكن شيعة عليّ الأولى يطعنون في

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٧ ص٢٤٤، الطبري: ج٥ ص٢٢٣.

(٢) انظر لذلك كتب التاريخ ابن خلدون: ج٢ ص١٨٣–١٨٤، وغيره.

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا يسبونهم ولا يشتمونهم سواء نازعوا عليًّا في خلافته أوحاربوه في مطالبة القصاص للإمام المظلوم عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بل أكثر من ذلك كانوا يقدمون أبا بكر وعمر على عليّ – رضي الله عنه – كما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية:

«كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليًّا أوكانوا في ذلك الزمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان، وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر»[(١)].

ثم نقل عن واحد من الشيعة الأولى شريك بن عبد الله أنه سأله سائل:

«أيها أفضل؟. أبوبكر أم علي؟ فقال له: أبوبكر، فقال له السائل: تقول هذا وأنت شيعي؟ فقال له: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعيًّا، والله لقد رقي هذه الأعواد عليّ، فقال: ألا خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، فكيف نردّ قوله وكيف نكذبه؟. والله ما كان كذابًا»[(٢)].

ثم يقول:

«وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقًا» [منهاج السنة لابن تيمية: ج١ ص٣ـ٤].

وكذلك كان أولاد علي وأهل بيته وكانوا على نفس هذا الإعتقاد، وهذه وجهة كانوا يحملونها تجاه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الثلاثة، وأكثر من ذلك لم يكونوا يعتقدون محاربة معاوية وأصحابه خروجًا عن الإسلام وطغيانًا وظلمًا وعدوانًا، ولأجل ذلك بايع معاوية أكبر أبناء علي سبط رسول الله – الإمام المعصوم حسب زعم الشيعة – ووافقه على ذلك أبناؤه الآخرون مع ما فيهم الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وغيرهم كما سيأتي بيانه، وصاهروه

(١) منهاج السنة لابن تيمية: ج١ ص٣-٤.
(٢) منهاج السنة لابن تيمية: ج١ ص٣-٤.

وأسرته وعاونوه على أمور الخير والبر، وقبلوا منه الهدايا والصلات كما ذكرنا قريبًا، إلا من تأثر من السبئية أودخل في ذلك الحزب الملعون على لسان عليّ - رضي الله عنه - وأبنائه.

ثم ولم يكن الشيعة عامة آنذاك يشتمون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدين الثلاثة ولا يطعنون فيهم ولا ينقصونهم، فلقد ذكر ابن خلكان في ترجمة يحيى بن معمر: كان شيعيًّا من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم[1].

ولقد أقر بذلك شيعي معاصر حيث قال:

«إني خلال مراجعتي كتب التاريخ لم أر في الفترة التي تمتد من بعد وفاة النبي حتى نهاية خلافة الخلفاء من عمد إلى الشتم من أصحاب الإمام، وإنما هناك من قيّم الخلفاء وقيّم الإمام وحتى في أشد جمحات عاطفة الولاء لم نجد من يشتم أحدًا ممن تقدم الإمام بالخلافة... يضاف لذلك أنه حتى في الفترة الثانية أي في عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتورعون عن شتم أحد من الصحابة أوالتابعين»[2].

فرق الشيعة، تاريخها وعقائدها:

اجتمع شيعة علي رضي الله عنه بعد استشهاده حول ابنه الحسن رضي الله عنه، وجعلوه إمامًا لهم في اليوم الثالث بعد انتقال أبيه من دار الدنيا إلى دار الآخرة[3].

وأول من بايعه كان قيس بن سعد بن عبادة[4].

وعند ذاك ظهرت السبئية من جديد بكل قوة وأظهروا العقائد التي طالما أخفوها خوفًا من بطش عليّ رضي الله عنه، وحذرًا من يقظته ومراقبته الأفكار الهدامة ومن يريد بثها في صفوف شيعته، ومعاقبتهم معاقبة شديدة، ولقد ذكر مؤرخ شيعي حيث قال:

إن بدعة السبئية في الغلوظهرت على عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

(١) وفيات الأعيان: ج٢ ص٢٦٩.
(٢) هوية التشيع لأحمد الوائلي: ص٤١.
(٣) مروج الذهب للمسعودي الشيعي ج٢ ص٤٢٦.
(٤) الطبري: ج٦ ص٩١.

عندما مرّ بقوم يأكلون في شهر رمضان نهارًا، فقال لهم: أسفر أنتم أم مرضى؟ قالوا: لا ولا واحدة منهما، قال: فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل نهارًا في رمضان؟ فقالوا له: أنت أنت، يومئون إلى ربوبيته. فاستتابهم واستأنى ووعّدهم فأقاموا على قولهم. فحفر لهم حفرًا دخن عليهم فيها طمعًا في رجوعهم، فأبوا فحرقهم وقال: ألا تروني قد حفرت لهم حفرًا:

إني إذا رأيـــت شـــيئًا منكـــرًا أوقـــدت نـــاري ودعـــوت قنـــبرا

فلم يبرح عليه السلام من مكانه حتى صاروا حممًا. ثم استترت عنهم المقالة سنة أونحوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديًا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين - رضي الله عنه - فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: «إن عليًا لم يمت»(١).

وبمثل ذلك القول قال أقدم من كتب عن الفرق من الشيعة النوبختي حيث قال:

فلما قتل علي عليه السلام افترقت التي ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله عز وجل ورسوله عليه السلام فصاروا فرقًا ثلاثة، فرقة منهم قالت:

إن عليًا لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة وأول من قال منها بالغلووهذه الفرقة تسمى (السبأية) أصحاب «عبد الله بن سبأ» وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن عليًا عليه السلام أمره بذلك فأخذه عليّ فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين! أتقتل رجلًا يدعوإلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيره إلى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا عليه السلام وكان يقول وهوعلى يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام بمثل ذلك، وهوأول من شهر القول بفرض ولاية علي عليه السلام وأظهر

(١) الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين الشيعي ص٥٤-٥٥، ابن أبي الحديد ج٢ ص٣٠٩.

البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه،؟؟ وهناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، وقد بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت لوجئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلًا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض[١].

وأورد مثل هذا كل من ألمّ بتاريخ التشيع وفرقه سواء كان من الشيعة أم من السنة. كما ذكرناه فيما قبل من مؤلفي الشيعة وكتبهم.

ولقد ذكر ظهور السبئية من جديد والمجاهرة بعقائدهم الخبيثة بعد مقتل علي رضي الله عنه من كتب علماء السنة في الفرق من عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق[٢] والأشعري في مقالات الإسلاميين[٣] والرازي في إعتقادات فرق المسلمين والمشركين[٤] والإسفرابيني في التبصير[٥] والشهرستاني في الملل والنحل[٦] وابن حزم الظاهري في الفصل[٧] وأبوالحسن البلطي في التنبيه[٨] والجرجاني في التعريفات[٩] والمقريزي في الخطط.

فذكر كل واحد منهم أن عبد الله بن سبأ رجع بعد شهادة علي رضي الله عنه من منفاه وأظهر عقائده في عليّ آنذاك، فيقول الإسفرابيني:

«ثم إن عليًّا رضي الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن، فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًّا»[١٠].

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٣-٤٤ ط. النجف.
(٢) ص٢٢٥ و٢٣٣.
(٣) ج١ ص٨٥.
(٤) ص٥٧.
(٥) ص١٠٨-١٠٩.
(٦) ج٢ ص١١ الهوامش.
(٧) ج٤ ص١٨٠.
(٨) ص٢٥ و١٤٨.
(٩) ص٧٩.
(١٠) الفرق بين الفرق ص٢٣٣.

وكذلك قال الشهرستاني:

«إنما أظهر عبد الله بن سبأ بعد انتقال علي - رضي الله عنه - واجتمعت عليه جماعته»(١).

فحاربه الحسن رضي الله عنه وحارب أفكاره وعقائده دأب أبيه كما ذكر ابن أبي الحديد الشيعي:

«ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديًا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها، واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: إن عليًا عليه السلام لم يمت، وإنه في السماء، والرعد صوته والبرق ضوئه؛ وإذا سمعوا صوت الرعد، قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! وقالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلظ قول، وافتروا عليه أعظم فرية، فقالوا: كتم تسعة أعشار الوحي، فنقض عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضي الله عنه في رسالته، التي يذكر فيها الإرجاء، رواها عنه سليمان بن أبي شيخ، عن الهيثم بن معاوية، عن عبد العزيز بن أبان، عن عبد الواحد بن أيمن المكي، قال: شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملي هذه الرسالة، فذكرها وقال فيها: ومن قول هذه السبئية: هدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي عنهم؛ وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم تسعة أعشار الوحي؛ ولوكتم صلى الله عليه وسلم شيئًا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد، وقوله تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١]»(٢).

ولكن لم يكن محاربته إياهم مثل محاربة أبيه، فبدأ السبئية يزرعون بذور الفتنة والفساد ويبثون سموم الخلاف والشقاق والفرقة بكل حرية وانطلاقة، وخاصة بعد أن تخاذل الشيعة عن الحسن وبعد تفرقهم عنه ودخول بعضهم في السبئية وميول بعضهم إلى معاوية والتحاق البعض الآخرين بالخوارج وغيرهم، ولقد صوّر هذه الأحوال شيخ الشيعة المفيد والأربلي الشيعي والمجلسي في كتبهم وهم يذكرون تحرك معاوية إلى

(١) الفصل ج٢ ص١١ الهوامش.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٨ ص١٢٠ ط. دار إحياء الكتب.

العراق:

«وسار معاوية نحوالعراق ليغلب عليه فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالمسير واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه ثم خفوا ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، فسار حتى أتى حمام عمر ثم أخذ إلى دير كعب فنزل ساباط دون القنطرة وبات هناك فلما أصبح أراد — رضي الله عنه — أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له ليتميز بذلك أولياءه من أعداءه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام فأمر بهم أن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال:

الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحق وائتمنه على الوحي صلى الله عليه وسلم.

«أما بعد: فوالله إني لأرجوأن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملًا على مسلم ضغينة ولا مريدًا له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أميّ ولا تردوا علي رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا. قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل، ثم شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالسًا متقلدًا السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه وأحدث به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده فقال: ادعوا إليّ ربيعة وهمدان فدعوا فطافوا به ودفعوا الناس عنه رضي الله عنه وسار ومعه شوب من غيرهم، فلما مر في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال الله أكبر أشركت يا حسن! كما أشرك أبوك من

قبل، ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم ثم اعتنقه الحسن عليه السلام وخرّا جميعًا إلى الأرض، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن – رضي الله عنه – يقال له عبد الله بن خطل الطائي فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه فأكب عليه آخر يقال له ظبيان بن عمارة فقطع أنفه فهلك من ذلك، وأخذ آخر كان معه فقتل، وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقره الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل الحسن عليه السلام بنفسه يعالج جرحه، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السر واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن رضي الله عنه إليه عند دنوهم من عسكره أوالفتك به، وبلغ الحسن رضي الله عنه ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضي الله عنه وكان قد أنقذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة ليلقى معاوية ويرده عن العراق وجعله أميرًا على الجماعة، وقال: إن أصبت فالأمير قيس بن سعد، فوصل كتاب قيس بن سعد يخبره أنهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبوبية بإزاء مسكن وإن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المسير إليه وضمن له ألف ألف درهم يعجل له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند دخوله إلى الكوفة، فانسل عبيد الله في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلى بهم قيس بن سعد رضي الله عنه ونظر في أمورهم فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نيات المحكمة فيه بما أظهروه له من السب والتكفير له واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصته من شيعة أبيه وشيعته، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام، فكتب إلى معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، فاشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطًا كثيرة وعقد له عقودًا كان الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن – رضي الله عنه – وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير أنه لم يجد بدًّا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له، وما انطوى عليه

كثير منهم في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة. فتوثق - رضي الله عنه - لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه والأعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين - رضي الله عنه - والعدول عن القنوت عليه في الصلاة وأن يؤمن شيعته رضي الله عنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه فأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهد عليه وحلف له بالوفاء»[1].

وزاد على ذلك ابن أبي الحديد الشيعي:

لما أراد الحسن أن يرتحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال: أيها الناس؛ إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإني والله ما أصبحت محتملًا على أحد من هذه الأمة ضغينة في شرق ولا غرب، ولما تكرهون في الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون في الفرقة، والخوف والتباغض والعداوة، وإن عليًّا أبي كان يقول: لا تكرهوا إمارة معاوية؛ فإنكم لوفارقتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كالحنظل. ثم نزل.

فقال الناس: ما قال هذا القول إلا وهوخالع نفسه ومسلم الأمر لمعاوية، فثاروا به فقطعوا كلامه، وانتهبوا متاعه، وانتزعوا مطرفًا عليه، وأخذوا جارية كانت معه، واختلف الناس فصارت طائفة معه؛ وأكثرهم عليه، فقال: اللهم أنت المستعان، وأمر بالرحيل، فارتحل الناس، وأتاه رجل بفرس، فركبه وأطاف به بعض أصحابه، فمنعوا الناس عنه وساروا، فقدمه سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم ساباط، فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه، وطعنه في فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى العظم، فغشي عليه وابتدره أصحابه[2].

---

(١) الإرشاد للمفيد ص١٨٩-١٩١، جلاء العيون للمجلسي ص٩٠ وما بعد، كشف الغمة للأربلي ج٢ ص٦٥ ط. بيروت، ومثل ذلك في تاريخ اليعقوبي الشيعي ص٢١٤-٢١٥، مروج الذهب ص٤٣١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٦ ص٣٦.

ولقد صرح المؤرخون والكتّاب من الشيعة بأن الذين غصبوا الحسن وانتهبوا مضاربه وما فيها وجرحوه كانوا من ساباط المدائن، وهي المحل الذي نفي إليه عبد الله بن سبأ من قبل علي رضي الله عنه، وكانوا متأثرين بأفكاره وعقائده والساعين في الفرقة والإختلاف، ومن بينهم كان فريسة السبئية المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان له شأن فيها بعد والذي أظهر نفس العقائد التي تلقنها من عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر الخبيث ومن السبئية الماكرة الخبيثة، ولقد ذكر المؤرخون أن السن بن علي رضي الله عنه دخل المدائن ونزلها وهوجريح على علم المختار:

«فقال له المختار وهوشاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تأخذ الحسين بن علي وتقيده وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمه: قبحك الله وقبح ما جئت به، أأغدر بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

ولما رأى الحسن ذلك ومعاملة السبئية من جانب، وتخاذل الشيعة من جانب، وإراقة الدماء من ناحية أخرى رأى الصلح خيرًا، ولقد ذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي:

وحمل الحسن إلى مدائن وقد نزف نزفًا شديدًا، واشتدت به العلة، فافترق الناس عنه، وقدم معاوية إلى العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين[2].

ولم يكتف الحسن بصلحه مع معاوية وتسليمه الأمر له، بل وأكثر من ذلك بايعه على رؤوس الأشهاد وبمن معه من إخوانه وقادة جيشه كما ذكر الرجالي الشيعي المشهور، الكشي عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«إن معاوية كتب إلى الحسن رضي الله عنه أن اقدم أنت والحسين وأصحاب علي، فخرج معه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وقدموا إلى الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم

---

(١) الطبري ج٦ ص٩٢، ابن الأثير ج٣ ص٢٠٣، ابن كثير ج٨ ص١٤، واللفظ له.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٥.

الخطباء فقال: يا حسن قم فبايع، ثم قال للحسين رضي الله عنه: قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال: يا قيس قم فبايع، فالتفت إلى الحسين رضي الله عنه ينظر ما يأمره فقال: يا قيس إنه إمامي – يعني الحسن رضي الله عنه»[١].

وذكر مثل هذا شيعي متعصب المجلسي في كتابه (جلاء العيون) الفارسي[٢] وثقة محدثي الشيعة العباس القمي في تاريخه الفارسي الكبير منتهى الآمال[٣] وكذلك ابن أبي الحديد الشيعي في كتابه شرح نهج البلاغة[٤].

وعندئذ افترق الشيعة بفرق أخرى:

«لما واعد الحسن معاوية وأخذ منه المال الذي بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته فدخلوا في مقالة جمهور الناس وبقي سائر أصحابه على إمامته إلى أن قتل، فلما تنحى عن محاربة معاوية وانتهى إلى مظلم ساباط وثب عليه رجل من هناك يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام دابته ثم قال الله أكبر أشركت كما أشرك أبوك من قبل وطعنه بمعول في أصل فخذه فقطع الفخذ إلى العظم، فاعتنقه الحسن وخرا جميعًا فاجتمع الناس على الجراح فوطئوه حتى قتلوه ثم حمل الحسن على سرير فأتي به المدائن، فلم يزل يعالج بها في منزل سعد بن مسعود الثقفي حتى صلحت جراحته ثم انصرف إلى المدينة فلم يزل جريحًا من طعنته كاظمًا لغيظه متجرد طريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته حتى توفي رضي الله عنه في آخر صفر سنة سبع وأربعين وهوابن خمس وأربعين سنة وستة أشهر، وقال بعضهم أنه ولد سنة ثلاث من الهجرة من شهر رمضان وإمامته ست سنين وخمسة أشهر»[٥].

ففرقة ثبتوا مع الحسن بعد هذا الصلح وبايعوا معاوية رضي الله عنه معه، وأطاعوا وأخلصوا له الوفاء طيلة حياتهم من سنة إحدى وأربعين إلى سنة ستين من الهجرة،

(١) رجال الكشي ص١٠٢.
(٢) ج١ ص٣٩٥.
(٣) ص٣١٦.
(٤) شرح النهج ج١٦ ص٣٨.
(٥) النوبختي ص٤٦.

وكان على رأس هؤلاء أولاد علي رضي الله عنه وأهل بيته من الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وأبناء عقيل وجعفر وغيرهم من الهاشميين الكبار من أسرة النبي صلى الله عليه وسلم يعتقدون نفس الإعتقادات التي كان يعتقدها المسلمون عامة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدون تكفير أحد وتفسيق أحد من المسلمين، متحدين متفقين، ناسين الخلافات التي حدثت، ومعرضين عن الوقائع التي وقعت، متآخين متزوجين فيما بينهم كما ذكرنا ذلك مفصلًا فيما سبق، وفرقة مالت عن الحسن والحسين وقالت بإمامة محمد بن الحنفية وعرفت بعد ذلك بالكيسانية وقويت بعدما صالح الحسن معاوية وازدادت قوتها وشوكتها وحملت نفس الأفكار التي كانت تحملها السبئية، وتطورت فيما بعد تطورًا سريعًا، وتشعبت منها فرق شيعية كثيرة أخرى كما سنذكرها فيما بعد، ولقد ذكرها النوبختي الشيعي في الفرق التي نشأت بعد قتل علي رضي الله عنه وعدها من إحدى الثلاث التي كانت في عهد الحسن، فإنه قال:

«فلما قتل علي رضي الله عنه افترقت التي ثبتت على إمامته... فصاروا فرقًا ثلاثًا، أولًا: السبئية، وثانيًا: فرقة قالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسموا الكيسانية، وإنما سموا بذلك لأن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم وكان يلقب كيسان وهوالذي طلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قتل وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه، وإنما لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكنى بأبي عمرة كان اسمه وكان أفرط في القول والفعل والقتل من المختار جدًّا، وكان يقول أن محمد بن الحنفية وصي علي بن أبي طالب وأنه الإمام وأن المختار قيمه وعامله، ويكفر من تقدم عليًّا ويكفر أهل صفين والجمل، وكان يزعم أن جبرائيل عليه السلام يأتي بالوحي من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه، وروى بعضهم أنه سمي بكيسان مولى علي بن أبي طالب عليه السلام وهوالذي حمله على الطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودله على قتلته وكان صاحب سره ومؤامرته والغالب على أمره»[1].

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٤-٤٥، ومثل ذلك ورد في رجال الكشي ص١١٧.

وبذلك صرح الشهرستاني:

«ومن قالوا إن الإمام تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام فمنهم من قال: إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية... وأما من لم يقل بالنص على محمد ابن الحنفية فقال بالنص على الحسن والحسين وقال: الإمامة في الأخوين الحسن والحسين»[1].

وبذلك القول قال القاضي النعمان[2] (الشيعي الفاطمي أوالاثنا عشري على اختلاف الأقوال).

واختلفوا وكثر الكلام، فقال قوم:

إنه الإمام بعد علي والوصي بنا ... وأسقطوا الحسن والحسينا
ثم غلوا فيه فقالوا: لم يمت ... بل هوفي شعب برضوى قد ثبت
بين أسود فيه وكلوا به ... يأتيه قالوا رزق من ربه[3]

وقد ذكر الكيسانية من السنة كل من البغدادي في الفرق بين الفرق[4] والأشعري في مقالات الإسلاميين[5] والملطي في التنبيه[1] والرازي في إعتقادات فرق المسلمين

(١) الملل والنحل ج١ ص٢٨-٢٩ الهوامش.

(٢) هوأبوحنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن الحيوان التميمي المغربي، عاش في النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٣٤هـ، وصلى عليه الإمام الفاطمي المعز لدين الله، وهومن الأعلام الثلاثة من الدعاة الفاطميين، وهوعلمهم وأسبقهم وقدوتهم، عاصر أربعة من الخلفاء الفاطميين من المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب إلى المعز لدين الله في مصر (مقدمة تأويل الدعائم ص١٢، ١٣). وينسبه الشيعة الاثنا عشرية إلى طائفتهم (انظر مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي وغيره).

(٣) الأرجوزة المختارة للقاضي النعمان ص٢٢٤-٢٢٥ ط.

(٤) ص٣٨.

(٥) ج١ ص٨٩.

والمشركين[٢] والإسفرائيني في التبصير[٣] وابن خلدون[٤] وابن حزم في الفصل[٥] والمقريزي وغيرهم.

وفرقة تركت التشيع مطلقًا بعد صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنه ولم يعدوا أنفسهم من الشيعة فيما بعد:

«لما واعد الحسن معاوية وأخذ المال الذي بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته، فدخلوا في مقولة جمهور الناس»[٦].

وأما السبئية فلقد انتشرت انتشارًا فظيعًا في هذا العصر، كما أقر بذلك مؤرخ شيعي بقوله:

«فقد ظهرت هذه البدعة الضالة وسرت سريان الوباء إلى نفر من أهل العراق – ثم ذكر أسباب انتشارها فيهم نقلًا عن ابن أبي الحديد لأنهم – كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهور فلا عجب من مثلهم أن تستخفهم المعجزات – التي رأوها من علي – رضي الله عنه ـ فيعتقدوا في صاحبها أن الجوهر الإلهي قد حل فيه. وقد قيل إن جماعة من هؤلاء من نسل النصارى واليهود، وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في أنبيائهم، فاعتقدوا فيه رضي الله عنه مثل ذلك. ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا إدخال الإلحاد في دين الإسلام»[٧].

الشيعة أيام الحسين رضي الله عنه

ولما توفي الحسن رضي الله عنه واجتمع الشيعة حول أخيه الحسين رضي الله عنه حدثت حادثة

---

(١) ص٢٩ و١٤٨.

(٢) ص٦٢.

(٣) ص٣٥.

(٤) ص١٩٨.

(٥) ج٤ ص١٧٩.

(٦) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٦.

(٧) الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين ص١٠٥.

كبيرة، ووقعت كارثة عظيمة، ألا وهي خروج الحسين على يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه وقتله في كربلاء، ونقف برهة يسيرة قبل أن نذكر تفرق الشيعة بعد هذه الكارثة لسرد وبيان تخاذل الشيعة وغدرهم عن الحسين، فلقد ذكر اليعقوبي المؤرخ الشيعي الغالي أن يزيد بن معاوية لما تولى الخلافة بعد أبيه كتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبي سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي رضي الله عنهما ولما طلب الوليد منه ذلك:

خرج الحسين إلى مكة، فأقام بها أيامًا، وكتب أهل العراق إليه، ووجهوا بالرسل على أثر الرسل، فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانئ بن أبي هانئ، وسعيد بن عبد الله الخثعمي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين، أما بعد فحيّ هلا، فإن الناس ينتظرونك، لا إمام لهم غيرك، فالعجل ثم العجل والسلام»[(١)].

والمؤرخ الشيعي الآخر المسعودي يكتب:

«ولما مات معاوية راسل أهل الكوفة»[(٢)] إلى الحسين بن علي: «أن قد حبسنا أنفسنا على بيعتك، ونحن نموت دونك، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة»[(٣)].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤١، ٢٤٢، ومثل ذلك في الإرشاد للمفيد ص٢٠٣ وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص٣٢.

(٢) نعم الكوفة التي كانت مركزًا للشيعة ومرتعًا خصبًا حتى قالوا فيها:
وأما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف.
وأما الجزيرة فحرورية مارقة. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان.... وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبوبكر وعمر (عيون الأخبار للرضا – نقلًا عن الشيعة في التاريخ).
ورووا عن جعفر أنه قال:
إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة (بصائر الدرجات ج٢ الباب العاشر).
وأيضًا ما رواه الكليني في كافيه عن عبد الله الوليد الكندي:
قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام في زمن مروان، فقال: من أنتم؟ فقلنا: من أهل الكوفة، فقال: ما بلدة من البلدان أكثر محبًا لنا من أهل الكوفة، ولا سيما هذه العصابة، إن الله جل ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا (الروضة من الكافي)].

(٣) مروج الذهب ج٣ ص٥٤.

وكتبًا أخرى: فقد اخضرت الجنات، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة[١].

ولما تواترت الرسائل وكثرت، واشتد طلب الكوفيين:

وجه إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكتب إليهم، وأعلمهم أنه إثر كتابه، فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا إليه، فبايعوه وعاهدوه وعاقدوه، وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء[٢].

وزاد المفيد: «فبايعوه وهم يبكون، وتجاوز عددهم ثمانية عشر ألفًا»[٣].

وبعد أيام وصل إليه من مسلم بن عقيل:

«أن لك مائة أله، ولا تتأخر»[٤].

فتحرك نحوالكوفة، فأتاه ابن العباس من بني هاشم وقائد جيوش علي رضي الله عنه ومستشاره الخاص والرجل المجرب المحنك الذي كان يعرف شيعة زمانه حق المعرفة فقال له – كما نقل المسعود الشيعي –:

«يا ابن عم، قد بلغني أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن، فإنها في عزلة، ولك فيها أنصار وإخوان، فأقم بها وبث دعاتك، واكتب إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق أن يخرجوا أميرهم، فإن قووا على ذلك ونفوه عنها، ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم، وما أنا لغدرهم بآمن، وإن لم يفعلوا أقمت بمكانك إلى أن يأتي الله بأمره، فإن فيها حصونًا وشعوبًا»، فقال الحسين: «يا ابن عم، إني لأعلم أنك لي ناصح وعلي شفيق، ولكن مسلم بن عقيل كتب إلي باجتماع أهل المصر على بيعتي ونصرتي، وقد أجمعت على المسير إليهم»، قال: «إنهم من خبرت وجربت، وهم

(١) إعلام الورى للطبرسي ص٢٢٣، ١ الإرشاد للمفيد ص٢٢٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٢.

(٣) الإرشاد ص٢٢٠.

(٤) الإرشاد للمفيد ص٢٢٠.

أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدًا مع أميرهم – ما أصدقه وما أحنك به وأخبر بهم – إنك لوقد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك، وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك، فإن عصيتني وأبيت إلى الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه»[١].

هذا ما قاله عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، وله من المنزلة والمقام عند علي رضي الله عنه ما لا يخفى على أحد حتى كتب مفيد الشيعة:

«كان أمير المؤمنين يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن العباس»[٢].

وهذا ما كان يحمل من الشيعة، وكيف لا وقد قال فيهم علي رضي الله عنه نفسه: «لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلًا منهم»[٣].

ثم أيد ابن عباس أبوبكر بن هشام في وصف الشيعة بالغدر والخيانة وعدم الخروج إليهم كما نقله الشيعي المسعودي: دخل أبوبكر بن الحارث بن هشام على الحسين فقال: يا ابن عم، إن الرحم يظائرني عليك، ولا أدري كيف أنا في النصيحة لك، فقال: يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولا يتهم، فقل، فقال أبوبكر: كان أبوك أقدم سابقة، وأحسن في الإسلام أثرًا، وأشد بأسًا، والناس له أرجى، ومنه أسمع وعليه أجمع، فسار إلى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهوأعز منه، فخذلوه، وتثاقلوا عنه، حرصًا على الدنيا، وضنًّا بها، فجرعوه الغيظ، وخالفوه حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا، وقد شهدت ذلك كله ورأيته، ثم أنت تريد أن تسير إلى الذي عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هوأعد منك وأقوى، والناس منه أخوف، وله أرجى، فلوبلغهم

(١) مروج الذهب ج٣ ص٥٥.
(٢) الإرشاد للمفيد ص١٤.
(٣) نهج البلاغة.

مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فاذكر الله في نفسك، فقال الحسين: جزاك الله خيرًا يا ابن عم، فقد أجهدك رأيك، ومهما يقض الله يكن، فقال: إنا لله وعند الله نحتسب يا أبا عبد الله، ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي والي مكة وهويقول:

كـــم نـــرى ناصـــحًا فيعـــصى وظنـــين المغيـــب يلفـــي نـــصيحًا

«فقال: وما ذاك؟ فأخبره بما قال للحسين، فقال: نصحت له ورب الكعبة»[1].

ثم ونقل القصة بكاملها من الشيعة أنفسهم كي يعرف ويدرك خيانة القوم وجبنهم. فيذكر المسعودي:

«واتصل خبر مجيء مسلم الكوفة بيزيد فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة؛ فخرج من البصرة مسرعًا حتى قدم الكوفة على الظهر، فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها، وهوراكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل بن زياد يسلم على الناس فيقولون: «وعليك السلام يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم»، حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم أشرف عليه، فقال: «يا ابن رسول الله مالي وما لك؟ وما حملك على قصد بليد من بين البلدان؟» فقال ابن زياد: «لقد طال نومك يا نعيم»، وحسر اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: «ابن مرجانة»، وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول إلى هانئ بن عروة المرادي، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث ابن قيس إلى هانئ، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانئ: «إن لزياد أبيك عندي بلاء حسنًا، وأنا أحب مكافأته به، فهل لك في خير؟»، قال ابن زياد: «وما هو؟»، قال: «تشخص إلى أهل

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٥٦.

الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هوأحق من حقك وحق صاحبك»، فقال ابن زياد: «أدنوه مني»، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر أنفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هانئ بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هانئ بالباب: «قتل صاحبنا»، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بيت إلى جانب مجلسه، وأخرج إليهم ابن زياد شريحًا القاضي، فشهد عندهم أنه حي لم يقتل، فانصرفوا، ولما بلغ مسلمًا ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر مناديًا فنادى: «يا منصور»، وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد، فتحصن منه، فحصروه في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر إلى الناس يتفرقون عنه سار نحوأبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائرًا لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحدًا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددًا في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه، حتى انتهى إلى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سألته عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته، وجاء ابنها فعلم بموضعه، فلما أصبح غدا إلى محمد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه»[1].

فقتله وقتل هانئ بن عروة وهويصيح:

«يا آل مراد، وهوشيخها وزعيمها، وهويومئذ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحدًا فشلًا وخذلانًا»[2].

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له: «أين تريد يا ابن رسول الله؟»، قال: «أريد هذا المصر»، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثم قال: «ارجع،

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٥٧، ٥٨.

(٢) مروج الذهب ص٥٩.

فإني لم أدع خلفي خيرًا أرجوه لك، فهمّ بالرجوع»، فقال له أخوه مسلم: «والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أونقتل كلنا»، فقال الحسين: «لا خير في الحياة بعدكم»(١).

ثم قال للناس:

«أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس معه ذمام فتفرق الناس عنه وأخذوا يمينًا وشمالًا حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه وإنما فعل ذلك لأنه – رضي الله عنه – علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلدًا قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون، فلما كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماء وأكثروا ثم ساروا حتى مر ببطن العقبة فنزل عليها فلقيه شيخ من بني عكرمة يقال له عمروبن لوذان فسأله أين يريد فقال له الحسين – رضي الله عنه – الكوفة فقال الشيخ أنشدك لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لوكانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأيًا فأما على هذه الحالة التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل فقال له يا عبد الله ليس يخفى علي الرأي وإن الله تعالى لا يغلب على أمره»(٢).

ثم ارتحل إلى الكوفة فلقي في الطريق واحدًا من أهل الكوفة وأخبره عن غدرهم وتخاذلهم وجبنهم قائلًا:

«ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك»(٣).

ولما عارضه ورفاقه جيش الكوفة ورأى منهم عكس ما كتبوا وقالت رسلهم، وتنكروا ما كتبوا إليه قال لبعض أصحابه:

---

(١) مروج الذهب ص٦٠، ٦١.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٢٢٣، إعلام الورى للطبرسي ص٢٣١، ٢٣٢، جلاء العيون للمجلسي ج٢ ص٥٤٠.

(٣) الإرشاد ص٢٢٢.

«أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي»، فأخرج خرجين مملوئين كتبًا فنشرت بين يديه[(١)].

فأنكروا عليه هذه الكتب والرسائل، ثم سار حتى وصل كربلاء:

«فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه... وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، فلم يحضرهم شامي»[(٢)].

ثم يذكر اليعقوبي الشيعي المتحمس – كما يسميه ولهوزن – «إن أهل الكوفة لما قتلوه، انتهبوا مضاربه وابتزوا حرمه، وحملوهن إلى الكوفة، فلما دخلن إليها خَرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال علي بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟»[(٣)].

وهنا نريد أن نثبت ما ذكره ولهوزن المستشرق الألماني المتعاطف على الشيعة:

«ولم يكن جمهور أهل الكوفة حريصًا على مساعدة الحكومة، ولكنه مع ذلك لم ينضم إلى صف أعدائها، وحتى أولئك الذين بعثوا بالكتب إلى الحسين وأقسموا على الإخلاص له تخلوا عنه في المحنة ولم يقدموا له يد المعونة، وقصارى ما فعلوه أنهم راقبوا المعركة من بعيد ومصرعه الأخير ثم بكوا، وقليلون جدًّا هم أولئك الذين تجاسروا على اللحاق به ومشاركته في مصيره، مثل أبي ثمامة الصائدي خازن بيت المال، وابن عوسجة، وعدا هذا فإن بعض الذين شاركوه في مصرعه إما أنهم كانوا من أولئك الذين التقطهم عرضًا في الطريق أومن أولئك الذين دفعتهم الحمية الإنسانية في اللحظة الأخيرة إلى الانضمام إليه وإن لم يكن لهم من قبل شأن به أولم يكونوا من شيعته. وقد أبرز المؤرخون هذا التعارض بين المكلفين، الذين لم يعملوا شيئًا، وبين غير

---

(١) إعلام الورى ص٢٣٢، الإرشاد ص٢٢٥، جلاء العيون ص٥٤١-٥٤٢.
(٢) مروج الذهب ج٣ ص٦١.
(٣) تاريخ اليعقوبي ج١ ص٢٣٥.

المكلفين الذين أخجلوا الأولين، أبرزوه وعرضوه أحيانًا عرضًا دراميًا، ومما هوجدير بالاعتبار أن الأنصار أيضًا، لا القرشيون وحدهم، قد تخلوا عن الحسين، فلم يخرج من المدينة واحد منهم معه ولم يكن منهم بين شيعة الكوفة إلا أفراد قلائل جدًا، والثورة التي قامت في المدينة سنة ٦٣هـ لم تكن من أجل آل علي، كما أن علي بن الحسين نفض يديه منها.

وفي مقابل الجبناء وغير المخلصين كان أعداء الشيعة الصرحاء وهم أتباع حكومة بني أمية وموظفوها. ولم يكن الجدال يدور حول أمور دينية إيمانية»[١].

وعلى ذلك قال البغدادي:

«روافض الكوفة موصوفون بالغدر، والبخل، وقد سار المثل بهم فيهما، حتى قيل: أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي، والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء:

أحدهما: أنهم بعد قتل علي رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن، فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في ساباط المدائن، فطعنه سنان الجعفي في جنبه فصرعه عن فرسه، وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية.

والثاني: أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنه، ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ كربلاء غدروا به، وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدًا واحدة عليه، حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

والثالث: غدرهم بزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر، ثم نكثوا بيعته وأسلموا عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان»[٢].

فهؤلاء كانوا الشيعة، شيعة علي والحسن والحسين، وهذه هي كانت معاملتهم لأئمتهم وقادتهم.

ولقد فصلنا في ذلك القول لأنه بعد هذه الحادثة حصل في التشيع تطور كبير، وبدأ

---

(١) الخوارج والشيعة ص١٣٤.

(٢) الفرق بين الفرق ص٣٧.

يتجه إلى اتجاه ديني ويصبغ بصبغة مذهبية بعد أن كان سياسيًّا بحتًا، يرى رأي علي وأولاده مقابل معاوية وبني أمية. وبذلك صرح ولهوزن بكل وضوح حيث يذكر مقتل الحسين وبعده قيام المختار باسم الثأر، فيقول:

«كان التشيع في الكوفة آنذاك قد لبس ثوبًا جديدًا، وقد عرفنا من قبل المعنى الذي كان يدل عليه في الأصل، لقد كان تعبيرًا عن الاتجاه السياسي العام لمعارضة العراق لسلطان الشام، وفي بادئ الأمر كان الأشراف صفًّا واحدًا مع سائر الناس ويتولون قيادتهم، ولكن حينما أحدث الخطر تراجعوا واستلانوا لإغراء الحكومة (حكومة الأمويين في الشام) ثم استخدموا للقضاء على الثورات الشيعية، وبهذا انفصلوا عن الشيعة، فتحدد نطاق التشيع واتخذ شيئًا فشيئًا صورة فرقة دينية في تعارض مع الأرستقراطية ونظام العشائر، وأصبح بفضل استشهاد زعمائه وأوليائه ذا طابع مثالي خيالي، وكان أنصار سليمان بن صرد يرمون إلى الثورة على أرستقراطية العشائر في الكوفة، ولكن المختار كان أول من نفذ هذا الغرض وحققه عمليًّا. وإلى هذه الحركة اجتذب الموالي أيضًا، وهؤلاء كان اجتذابهم سهلًا لأنهم كانوا ذوي نزعة واضحة إلى الحكم الديني، لا القومي الشعوبي، وإن كان العرب هم الذين كانوا يتولونه حتى ذلك الحين، كما كانوا – أعني الموالي – يكرهون المتعصبين لسيادة العرب.

فلما ارتبطت الشيعة بالعناصر المضطهدة تخلت عن تربية القومية العربية وكانت حلقة الارتباط هي الإسلام، ولكنه لم يكن ذلك الإسلام القديم، بل نوعًا جديدًا من الدين»[1].

وبدأ التشيع يحمل الأفكار الأجنبية المدسوسة، كما بدأ يحصل فيه التفرق الكثير، «وصار مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الإسلام لعداوة أوحقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم، فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: إن

(١) الخوارج والشيعة ص١٦٧-١٦٨.

النار محرمة على كل شيعي إلا قليلًا، كما قال اليهود: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات، والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه، وقالوا: إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدًا، فمن اتحد به اللاهوت فهونبي، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلو، ونحوذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية، وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم، واسعي لاستقلالهم»(١).

كما نقل عن المقريزي أنه قال:

«إن الفرس كانوا ذوي سعة وعلويد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قومًا منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»(٢).

ونرجع الآن إلى تفرقهم واختلافهم بعد ذكرنا إياهم وخذلانهم مناصرة زعمائهم ومن كانوا يدعون حبهم وموالاتهم، فبعد قتل الحسين رضي الله عنه افترقت الشيعة ثلاث فرق كما يذكر النوبختي.

* * *

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) الخطط للمقريزي – نقلًا عن فجر الإسلام ص٧٧.

الــكــيســـانية

فلما قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين لأنه إن كان الذي فعل الحسن حقًّا واجبًا صوابًا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد لعنة الله عليه حتى قتل وقتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب لأن الحسين كان أعذر في القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية. وإن كان ما فعله الحسين حقًّا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد بن معاوية حتى قتل وقتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية، وقتاله ومعه الكثير باطل فشكوا لذلك في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام وبقي سائر أصحاب الحسين على القول الأول بإمامته حتى مضى.

ثم افترقوا بعده ثلاث فرق: ففرقة قالت بإمامة محمد بن الحنفية وزعمت أنه لم يبق بعد الحسن والحسين أحد أقرب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من محمد بن الحنفية فهوأوى الناس بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن من ولد الحسن فمحمد هوالإمام بعد الحسين.

«وفرقة قالت إن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى هوالإمام المهدي وهووصي علي بن أبي طالب عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سيفه إلا بإذنه وإنما خرج الحسن بن علي إلى معاوية محاربًا له بإذن محمد ووادعه وصالحه بإذنه وإن الحسين إنما خرج لقتال يزيد بإذنه ولوخرجا بغير إذنه هلكا وضلا وإن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك وأن محمدًا استعمل المختار بن أبي عبيد على العراقين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا وسماه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم فهم يسمون

(المختارية) ويدعون: الكيسانية»(١).

ولقد ذكرنا قبل ذلك أن الكيسانية وجدت بعد قتل علي رضي الله عنه ولكن غلب هذا الاسم على المختارية، ومن الكيسانية تفرعت فروع كثيرة، وتفرقت فرق متعددة مثل الكرابية والحربية والرزارمية والبيانية والراوندية وأبوالمسلمية والهاشمية والحارثية وغيرها الكثيرة الكثيرة(٢).

ويجمع هذه الفرق كلها القول بإمامة محمد بن الحنفية والاعتقاد بالعقائد التي زرع بذورها السبئية وعبد الله بن سبأ، الغيبة والرجعة والتناسخ وغيرها، وفي ذلك قال شاعرهم:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانًا ... برضوى عنده عسل وماء(٣)

وقد أجاب على هذه الأبيات البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق)(٤).

وقال أحد الكيسانين أيضًا:

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٧-٤٨.

(٢) انظر لمعرفة ذلك فرق الشيعة للنوبختي ص٤٨ وما بعد ومقالات الإسلاميين ص٨٩ والفرق بين الفرق ص٣٨ وما بعد، والحور العين ص١٥٧ وما بعد، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص، والتبصير للإسفرائيني، مقدمة ابن خلدون ص١٩٩ وما بعد ط. مصر.

(٣) الفرق بين الفرق ص٤١.

(٤) انظر ص٤٢.

ألا حي المقيم بشعب رضوى وأهد له بمنزله السلاما
أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم سبعين عاما
لقد أمسى بجانب شعب رضوى تراجعه الملائكة الكلاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت لا وارث له أرض عظاما
وإن له به لمقيل صدق وأندية تحدثه كراما(١)

وأجابه البغدادي أيضًا بقوله:

لقد أفنيت عمرك بانتظار لمن وارى التراب له عظاما
فليس بشعب رضوى من إمام تراجعه الملائكة الكلاما
ولا من عنده عسل وماء وأشربة يعل بها الطعاما
وقد ذاق ابن خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلو مجد لعاض المصطفى أبدًا وداما(٢)

والجدير بالذكر أن من الكيسانية انتقلت الإمامة إلى بني العباس لأن بعض فرقها اعتقدت انتقال الإمامة من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن العباس، ومنه إلى ابنه إبراهيم، ومن إبراهيم إلى أبي العباس، ومن أبي العباس إلى أبي جعفر المنصور المؤسس للدولة العباسية(٣).

ومن بين هذه الفرق كلها اشتهرت فرقة المختار بن أبي عبيد الثقفي لما كان له من صولة وجولة باسم القصاص بدم الحسين رضي الله عنه، وقد ذكر المختار هذا، الكشي في (رجاله) عن محمد بن مسعود قال: حدثني ابن أبي علي الخزاعي قال: [حدثني] خالد بن يزيد العمري عن الحسن بن زيد عن عمر بن علي: أن المختار أرسل إلى علي بن الحسين - رضي الله عنه - بعشرين ألف دينار فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم

---

(١) فرق الشيعة ص٥١.
(٢) الفرق بين الفرق ص٤٣.
(٣) انظر فرق الشيعة ص٦٩، مقدمة ابن خلدون ص١٩٩.

التي هدمت. قال: ثم إنه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام الذي أظهره فردها ولم يقبلها، والمختار هوالذي دعا الناس إلى محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية وسموالكيسانية، وهم المختارية، وكان لقبه كيسان ولقب بكيسان لصاحب شرطته المكنى أبا عمرة وكان اسمه كيسان. وقيل إنه سمي كيسان بكيسان مولى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهوالذي حمله على الطلب بدم الحسين ودله على قتلته، وكان صاحب سره والغالب على أمره، وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين – رضي الله عنه – أنه في دار أوموضع إلا قصده وهدم الدار بأسرها وقتل كل من فيها من ذي روح، وكل دار بالكوفة خراب فهي مما هدمها، وأهل الكوفة يضربون به المثل فإذا افتقر إنسان قالوا «دخل أبوعمرة بيته» حتى قال فيه الشاعر:

إبليس بما فيه خير من أبي عمرة يغويك ويطغيك ولا يعطيك كسرة[1]

كما ذكره النوبختي الذي نقلنا عنه آنفًا:

ولقد ذكره ولهوزن أيضًا بالتفصيل، ولعل الحديث عنه أطول حديث في كتابه نقطع منه هذا الجزء لتصوير الرجل وتحليله الذي حلل به شخصيته:

كان المختار ينعت بأنه «سحار»[2]، وأنه «الدجال»، ويوصف عادة بـ«الكذاب».

وهذا الوصف لا لأنه زعم أنه مكلف من قبل ابن الحنفية، بل لأنه تبدى على أنه نبي، حقًا إنه لم يسم نفسه بهذا الاسم، ولكنه أتى أفعالًا من شأنها أن تعطي عنه هذه الفكرة، فكرة أنه نبي، وكان يتكلم وكأنه جالس في الحضرة الإلهية، يعلم الغيب، ويسجع سجع الكهان بطلاقة ومهارة، ويريد أن يفرض شخصيته على الناس، وأفلح في هذا أيضًا وإن كان نجاحه لدى الخاصة والعقلاء أقل منه لدى العامة والدهماء، وطالما حالفه النصر اتسعت دوائر المؤمنين به، فلما مني بالهزيمة أدبرت عنه الدنيا، وراحت الروايات تطلق سهامها على ذكراه بعد مقتله، في البدء كانت تذمه دون أن تشوه صورته، ولكنها راحت بعد ذلك في مرحلة متأخرة تنعته بنعوت أملاها الحقد،

(١) رجال الكشي ص١١٧.
(٢) الطبري ج٢ ص٧٣٠ س١٣، ص٦٨٦ س٧.

وهذه النعوت نفسها هي التي تسود الصورة التي كونتها عنه الأجيال التالية، و«دوزي» لا يستخدم غيرها لرسم الصورة التي عملها للمختار في كتابه «مقالة في تاريخ الإسلام»: فيقول عنه إنه هوالذي أمر بإطلاق الحمام البيض، وأنه كان خارجيًّا ثم زبيريًّا ثم شيعيًّا، وأنه ابتدع القول بالبداء في الله كيما يبرر تقلبه هومن مذهب إلى مذهب، ولكن لا يحق للمرء أن يجعله معرضًا للسخرية من أجل أن يفهمه على حقيقته، ولحسن الحظ كان لنشر «تاريخ» الطبري الفضل في وضع حد لهذا النحومن تصوير الرجل.

فإن كان لابد من الإجابة عن السؤال: هل كان المختار نبيًّا صادقًا أومتنبئًا كاذبًا؟ ـ فلا مناص من تعديله إلى هذه الصيغة: أكان المختار مخلصًا أم غير مخلص؟ قد يأخذ عليه المرء أنه استعان بالتنبؤ للوصول إلى الحكم. ولكن هذا المأخذ عينه قد يؤخذ على محمد، وعلى المرء أن يلاحظ أن الإسلام دين سياسي وأن أي نبي مسلم لابد أن يسعى إلى الحكم. ولكن ما هوأشد من ذلك المأخذ خطرًا وأكبر وزنًا هوأنه تستر وراء شبح وناطور خيالي (هومحمد بن الحنفية) لم يعرف عن أمره شيئًا ولم يشأ أيضًا أن يعلم عن أمره شيئًا. فلم يكن ضميره نقيًّا من هذه الناحية، ولكن الظروف في ذلك الحين لم تسمح له – بوصفه مسلمًا وشيعيًّا – أن يظهر باسمه هوالخاص، بل كان عليه أن يخلق لنفسه مركز «أمين» للمهدي المستتر... وإن المختار اتخذ نقطة ابتدائه من بدعة غريبة غامضة اختلط بها المختار وهي «السبئية»، والسبئية كانت قد اتخذت اتجاهًا أنشأ يسيطر على طبقات واسعة بحيث اضطرت الشيعة بوجه عام إلى اتخاذ موقف أشد حدة بإزاء الإسلام السني وازداد إبراز الخلافات بين الشيعة والسنة، والسبئية يسمون أيضًا «الكيسانية» وكان كيسان زعيمًا للموالي، فإن كان في نفس الوقت زعيمًا للسبئية، فيستنتج من هذا أن السبئية والموالي كانوا شيئًا واحدًا تقريبًا [1].

واعتمادًا على هذا الاستنتاج مضى البعض فزعم أن التشيع كمذهب ديني إيراني الأصل، لأن غالبية موالي الكوفة كانوا إيرانيين، قال دوزي [2]: «كانت الشيعة في

(١) ص٦٢٣ س١٤، ص٦٥١ س٢.

(٢) في كتابه المذكور آنفًا، ص ٢٢٠ وما يليها.

حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربي، الذي يحب الحرية، وبين الجنس الفارسي الذي اعتاد الخضوع كالعبيد.

لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمرًا غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد لم يترك ولدًا يرثه، فإن عليًّا هوالذي كان يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي. ومن هنا فإن جميع الخلفاء ـ ما عدا عليًّا ـ كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة، وقوى هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية، فكانوا في الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم، وهم قد اعتادوا أيضًا أن يروا في ملوكهم أحفادًا منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته، فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي ـ كانت في نظرهم الواجب الأعلى، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيرًا رمزيًّا وأن يتجاوزها ويتعداها.

لقد كان «الإمام» عندهم هوكل شيء، إنه الله قد صار بشرًا، فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات – ذلك هوالأساس في مذهبهم وعلى نحومشابه يتحدث أ. ملر في كتابه المذكور سابقًا ج١ ص٣٢٧، ويضيف إلى هذا أن الفرس كانوا – تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل – يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هوتجسد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك من الآباء إلى الأبناء.

أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين ـ فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين، فليست تلك الملاءمة دليلًا عليه [1].

وأما عقائدهم الباقية فإنها لمبسوطة موجودة في كتب الفرق، ولقد ذكرنا ما فيها الكفاية وتفي بالمطلوب. ولقد طولنا الكلام في هذه الفئة من الشيعة وهذا الرجل لأنه هووطائفته هم تركة السبئية الحقيقية، ومنهم أخذ بالأفكار وتمسك بالآراء من جاء من الشيعة بعدهم، وعندئذ بدأ التشيع الأصلي يذوب، والشيعة الأولى ينقرضون إلا

(١) الخوارج والشيعة ص١٦٥ إلى ١٦٩.

القليل القليل، وعلى رأسهم أولاد علي وبنوهاشم، وبدأت أفكار السبئية تتسرب إليهم وتتغلب عليهم، خصوصًا شهادة حسين رضي الله عنه جعلت الموالين لعلي وأولاده، وحتى بعض الطالبيين أيضًا يحسون بالحرمان الكبير واليأس الكثير، ويجدون أنفسهم تواقة إلى الانتقام وخصوصًا قلب نظام الحكم القائم المتهم بقتل الحسين وأهله في كربلاء، وبدأ بعض الجهلة والمغفلين ينقمون كل ما يتصل بالحكام ويبغضون كل ما يرى برأيهم وحتى العقائد والمعتقدات، فلما رأى هؤلاء أن ولاة الأمر يعظمون أبا بكر وعمر وعثمان وبقية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين بدءوا يتبرؤون منهم ويتكلمون فيهم. لا لأنهم يجدون عليهم شيئًا، بل كرهًا لكل ما يسمعونه على المنابر وفي المحاريب. وعلى ذلك نقل الذهبي عن شيخ الإسلام ابن تيمية:

«كان السلف متفقين على تقديم أبي بكر وعمر حتى شيعة علي رضي الله عنه . وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق: حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبد الله بن زياد بن حدير قال: قدم أبوإسحاق السبيعي الكوفة، قال لنا شمر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا. فقال أبوإسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون... وعن ضمرة عن سعيد بن حسن قال: سمعت ليث بن أبي سليم يقول: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا. وقال أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن سلمة عن مسروق قال: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة. ومسروق من أجلّ تابعي الكوفة وكذلك قال طاوس... وقد روى ذلك عن ابن مسعود. وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقًا، وقد روى البخاري عنه في صحيحه من حديث الهمدانيين — الذين هم أخص الناس بعلي حتى كان يقول:

ولوكنت بوابًا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

فقد رواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهوهمداني، عن منذر وهوهمداني عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا بني أوما تعرف؟ فقلت: لا. قال: أبوبكر. فقلت: ثم من؟ قال: عمر. وهذا يقوله لابنه بينه وبينه، ليس هومما يجوز أن يقوله تقية. ويرويه عن أبيه خاصة. وقاله على المنبر. وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري»[1].

«وكتب محب الدين الخطيب في الهامش هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها، ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفي سنة ١٢٧، وكان طفلًا في خلافة أمير المؤمنين علي. وهويقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب أبيض الرأس واللحية. ولوعرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًّا ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وخليفتيه على أمته في أتقى وأطهر أزمانها. ومن العجيب أن الخوارج والإباضية ثبتوا على عقيدتهم الأولى في أبي بكر وعمر كما كانوا عليه مع علي إلى مدة الحكم، والشيعة نقضوا هذه العقيدة وعصوا فيها إمامهم بعد القرن الأول، أي في أواخر حياة أبي إسحاق السبيعي»[2].

هذا وبلغ الأمر بعد تطور الشيعة إلى حد أنهم بدءوا ينكرون المسلمات والأسس التي عليها يقوم المذهب الإسلامي الحنيف والشريعة السماوية السمحاء. فقط لأن الحكام يتمسكون بها ويعتقدونها، مثل القرآن، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسول الله التي جعلها الله بيانًا لهذا القرآن[3].

---

(١) المنتقى للذهبي ص٣٦٠، ٣٦١ ط. القاهرة بتحقيق السيد محي الدين الخطيب.

(٢) المنتقى للذهبي الهامش ص٣٦٠، ٣٦١.

(٣) ولقد فصلنا القول في هذا في كتابنا (الشيعة والقرآن) و(الشيعة والسنة) من أراد معرفة ذلك فليرجع إليهما.

ثم وبعد شهادة الحسين رضي الله عنه كثرت الخزعبلات والخرافات في الشيعة حتى إن المخلصين من الأشراف ومن الشيعة الأولى حاولوا إقامة السد في طريق هذه السخافات ومنع الناس عن اعتناقها ولكنهم فشلوا في ذلك، ثم اضطروا إلى التباعد عنها وعن التشيع بعدما قنطوا ويئسوا من رجوع القوم إلى الحق وانتهائهم عن الغي والضلالات، فهذا هوابن الأشتر إبراهيم يذكره ولهوزن ضمن تسلط المختار على الشيعة وامتناع إبراهيم عن الانضمام إليه حيث يقول:

فكان على المختار أن يكسب رجلًا آخر في الكوفة نفسها لا يستطيع من دونه أن يلقى رؤساء الشيعة نجاحًا ضد الأشراف والوالي، هذا الرجل هوإبراهيم بن الأشتر زعيم قبلة النخع من مذحج، وكان بارعًا ماكرًا مستقل الرأي، وكان كأبيه مخلصًا لعلي، وكان على اتصال بابن الحنفية، ولكنه لم يكن يؤمن بالتشيع على الصورة التي استحال إليها في ذلك العهد، لم يشأ الانضمام إلى سليمان بن صرد كما لم يرغب في أن يعرف شيئًا عن المختار، ولم تفلح المحاولات في اكتسابه، وأخيرًا وصله كتاب يطلب فيه ابن الحنفية نفسه منه أن يعترف بالمختار بن أبي عبيد، ولكنه تضايق من كون ابن الحنفية يلقب نفسه في هذا الكتاب بلقب «المهدي» وهوأمر لم يعهد منه، فحاك في صدره الشك في صحته، ولكن الذين قدموا بالكتاب، والمختار نفسه أكدوا صحة الكتاب، إلا اثنين لفتا نظره بتحفظهم، وهما: عامر بن شراحيل الشعبي الراوي الفقيه المحدث الكبير، وأبوه شراحيل، فانتحى بعامر ناحية وسأله هل يشك في أمانة هؤلاء الشهود على صحة الكتاب. فقال عامر الشعبي: معاذ الله فإنهم «سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقًّا!»[1].

فسأله ابن الأشتر أن يكتب له أسماءهم وكتب محضرًا صوريًّا بما وقع. فلما اطمأن قلبه بهذا امتثل لما ورد في الكتاب ووضع نفسه في خدمة المختار بن أبي عبيد[2].

ولما تقلب المختار وبدأ يظهر ما كان يكنه من الأفكار السبئية من عداوة السلف

(١) الطبري ٢/ ٦١٢.

(٢) الخوارج والشيعة ص١٤٧، ١٤٨.

الصالح والطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أخذوا يعتبون على المختار أنه تأمر عليهم بغير رضى منهم ولا بإذن من ابن الحنفية وأنه أظهر هووسبئيته (ببدع ابتدعها في الإسلام) البراءة من أسلافهم الصالحين»(١).

«واحتل هؤلاء الأشراف المراكز الرئيسية في الكوفة وحصروا المختار في القصر والمسجد وقطعوا الاتصال بينه وبين الخارج، وحتى يفسد عليهم تدبيرهم اقترح عليهم أن يبعثوا من قبلهم وفدًا إلى ابن الحنفية ويرسل هومن قبله وفدًا إليه لسؤاله في تأييد ابن الحنفية له، ولكن لم ينجح في هذا التدبير»(٢).

ويقول: «كان المختار في الذروة، وكان أيضًا أمام الهاوية، فالشيعة العرب من الجيل القديم كانوا لا يثقون به حتى اعتزلوه جانبًا»(٣).

وهذا القدر يكفي لبيان الصراع الذي حدث بين الشيعة في التطور والتغير من المنهج الأول القديم، وبدأ الشيعة أكثرهم يعتقدون بمثل هذه الخرافات والسخافات عن الحمامات البيض بأنها ملائكة، وعن الكرسي المقدس والنبوءات وأخبار الغيب.

ثم حصلت التفرقة في الشيعة مرة ثانية بعد قتل المختار:

ففرقة قالت بإمامة علي بن الحسين، وكان يكنى بأبي محمد ويكنى بأبي بكر وهي كنيته الغالبة عليه فلم تزل مقيمة على إمامته حتى توفي بالمدينة في المحرم في أول سنة أربع وتسعين وهوابن خمس وخمسين سنة، وكان مولده في سنة ثمان وثلاثين وأمه أم ولد يقال لها سلافة وكانت تسمى قبل أن تسبى جهانشاه وهي ابنة يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن هرمز وكان يزدجرد آخر ملوك فارس.

وفرقة قالت انقطعت الإمامة بعد الحسين إنما كانوا ثلاثة أئمة مسمين بأسمائهم استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى إليهم وجعلهم حججًا على الناس

(١) الخوارج والشيعة ص١٥٥.
(٢) الخوارج والشيعة ص١٥٦.
(٣) الخوارج والشيعة ص١٥٩.

وقومًا بعده واحدًا بعد واحد فلم يثبتوا إمامة لأحد بعدهم.

وفرقة قالت إن الإمامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن أبي طالب وهم كلهم فيها شرع سواء من قام منهم ودعا لنفسه فهوالإمام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبي طالب واجبة إمامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم فمن تخلف عنه في قيامه ودعائه إلى نفسه من جميع الخلق فهوهالك كافر ومن ادعى منهم الإمامة وهوقاعد في بيته مرخى عليه ستره فهوكافر مشرك وكل من اتبعه على ذلك وكل من قال بإمامته»[1].

وفرق أخرى كثيرة، منها من قالت بإمامة أبناء الحسن ومن قالت بغيره.

ومنهم من ذهب إلى إثبات النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لغيره، ومنهم من أوجب الإلهية لغير الله عز وجل كما ذكرهم ابن حزم في فصله:

فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فرق، فمنهم الغرابية وقولهم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي، فغلط جبريل بمحمد.. وفرقة قالت بنبوة علي، وفرقة قالت بأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم.

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة.

وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط. وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول [ادعاء] النبوة لنفسه وسجع أسجاعًا وأنذر بالغيوب عن الله تعالى واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بإمامة محمد ابن الحنفية.

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد... وقالت فرقة منهم بنبوة منصور العجلي وهوالملقب بالكسف، وكان يقال إنه المراد بقول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ

(١) فرق الشيعة للنوبختي الشيعي ص٧٤.

ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا...﴾ [الطور: ٤٤] والقسم الثاني الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة أنت هوفقال لهم ومن هوقالوا أنت الله فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله وفي ذلك يقول رضي الله عنه:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا   أججت نارًا ودعوت قنبرا

يريد قنبرًا مولاه وهوالذي تولى طرحهم في النار نعوذ بالله من أن نفتتن بمخلوق أويفتتن بنا مخلوق فيما جل أودقّ فإن محنة أبي الحسن رضي الله عنه من بين أصحابه رضي الله عنهم كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان إسحاق بن محمد النخعي الأحمر الكوفي وكان من متكلميهم وله في ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكي والفياض لما ذكرنا، ويقولون أن محمدًا رسول علي، وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية أن محمدًا عليه السلام هوالله، تعالى الله عن كفرهم... وفرقة قالت بإلاهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيًّا نبيًّا إلى محمد عليه السلام ثم بإلاهية علي ثم بإلاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا وأعلنت الخطابية بذلك نهارًا بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في ازرواردية محرمين ينادون بأعلى أصواتهم لبيك جعفر! لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كأني أنظر إليهم يومئذ فخرج إليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم، ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بإلاهية محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بإلاهية أبي سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وأبنائه بعده، ومنهم من قال بإلاهية أبي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور، وقالت طائفة منهم بإلاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده إلى يومنا هذا، وقالت طائفة بإلاهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد

بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الألوف وقالوا هوإله وجعفر بن محمد إله إلا أن أبا الخطاب أكبر منه وكانوا يقولون جميع أولاد الحسن أبناء الله وأحباؤه وكانوا يقولون أنهم لا يموتون ولكنهم يرفعون إلى السماء وأشبه على الناس بهذا الشيخ الذي ترون، ثم قالت طائفة منهم بإلاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه كان من أصحاب أبي الخطاب لعنهم الله أجمعين، وقالت طائفة بإلاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعي الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله أيام المقتدر، وقالت طائفة بإلاهية محمد بن علي ابن الشلمغاني الكاتب المقتول ببغداد أيام الراضي وكان أمر أصحابه أن يفسق الأرفع قدرًا منهم به ليولج فيه النور كل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء، وقالت طائفة منهم بإلاهية شباش المغيم في وقتنا هذا حيًّا بالبصرة، وقالت طائفة منهم بإلاهية أبي مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بإلاهية المقنع الأعور القصار القائم بثأر أبي مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله أيام المنصور وأعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وأفناهم إلى لعنة الله، وقالت الرنودية بإلاهية أبي جعفر المنصور، وقالت طائفة منهم بإلاهية عبد الله بن الخرب الكندي الكوفي وعبدوه وكان يقول بتناسخ الأرواح وفرض عليهم تسعة عشر صلاة في اليوم والليلة في كل صلاة خمسة عشر ركعة إلى أن ناظره رجل من متكلمي الصفرية وأوضح له براهين الدين فأسلم وصح إسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه وأعلم أصحابه بذلك وأظهر التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بإلاهيته ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم إلى القول بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وبقي عبد الله بن الخرب على الإسلام وعلى مذهب الصفرية إلى أن مات وطائفته إلى اليوم تعرف بالحزبية ومن السبابية القائلين بإلهية علي، وطائفة تدعي النصرية وقد غلبوا في وقتنا هذا على جند الأردن والشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم وسبهم بأقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بأنها وابنيها رضي الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا في صورة الإنسان وقولهم في عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي رضي الله عنه

عن علي ولعنة الله على ابن ملجم فيقول هؤلاء أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي أفضل أهل الأرض وأكرمهم في الآخرة لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدرة فأعجبوا لهذا الجنون واسألوا الله العافية من بلاء الدنيا والآخرة فهي بيده لا بيد أحد سواه جعل الله حظنا منها الأوفى، واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي إلى الإسلام فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية فإن من الصوفية من يقول إن من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع، وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى، وبلغنا أن بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلًا يكنى أبا سعيد أبا الخير هكذا معًا من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلي في اليوم ألف ركعة ومرة لا يصلي لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال(١).

وقد ذكر هذه الفرق جلها كل من الأشعري والبغدادي والملطي والإسفرائيني وغيرهم من الأعلام.

وجلّ هذه الفرق حدثت بعد قتل الحسين رضي الله عنه وفي أيام علي بن الحسين الملقب بزين العابدين.

الشيعة بعد علي بن الحسين

توفي علي بن الحسين وهوعلى ولاء كامل ووفاء تام لحكام بني أمية وخلفائه حتى إنه تجنب مساعدة ومناصرة كل من قام ضدهم في المدينة أوفي مكة (٢).

الزيـــدية

وخلف علي بن الحسين أولادًا كثيرين، منهم محمد المكنى بأبي جعغر الباقر وزيد وعمر وغيرهم، فاختلف الشيعة في أمر محمد بن علي وزيد بن علي، فقوم اتبعوا محمدًا، وقوم منهم زيدًا كما ذكر المؤرخ الشيعي:

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص١٨٣ وما بعد.
(٢) انظر لذلك كتب التاريخ للشيعة والسنة.

إن الزيدية قالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين، ثم ابنه زيد بن علي، وهوصاحب هذا المذهب، وخرج بالكوفة داعيًا إلى الإمامة، فقتل وصُلب بالكناسة.

وقال الزبدية بإمامة ابنه يحيى من بعده، فمضى إلى خراسان وُقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبدالله بن حسن بن الحسن السبط.

فخرج بالحجاز فقتل، وعهد إلى أخيه إبراهيم، فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد، فوجه إليهم المنصور عساكره، فقتل إبراهيم وعيسى.... وذهب آخرون من الزيدية، إلى أن الإمام بعد يحيى هوأخوه عيسى، ونقلوا الإمامة في عقبه، وقال آخرون منهم أن الإمام بعد محمد بن عبدالله هوأخوه إدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك، وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس.

وكان عقبه ملوك المغرب، وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان، وأخوه محمد.

ثم قام بهذه الدعوة في الديلم، الناصر الأطروش منهم، وأسلموا على يده[١].

وأما النوبختي فكتب:

«الزيدية، الأقوياء منهم والضعفاء.

فأما الضعفاء منهم فسموا العجلية، وهم أصحاب هارون سعيد العجلي، وفرقة منهم يسمون البترية، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حي وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وأبي المقدام ثابت الحداد، وهم الذين دعوا الناس إلى ولاية علي عليه السلام، ثم خلطوها بولاية أبي بكر وعمر، فهم عند العامة أفضل هذه الأصناف، وذلك أنهم يفضلون عليًا، ويثبتون إمامة أبي بكر، وينتقصون عثمان وطلحة والزبير، ويرون الخروج مع كل ولد علي عليه السلام، يذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويثبتون لمن خرج من ولد علي الإمامة عند خروجه، ولا يقصدون في الإمامة قصد رجل بعينه حتى يخرج، كل ولد

(١) الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين ص٧٠،٧١،٧٢، ومثل ذلك في شيعة دار سلام فارسي لمحمد حسين الطباطبائي ط قم.ص ٣٤.

علي عندهم على السواء، من أي بطن كان.

وأما الأقوياء منهم فمنهم أصحاب (أبي الجارود) وأصحاب (أبي خالد الواسطي) وأصحاب (فضيل الرسان) و«منصور بن أبي الأسود».

وأما (الزيدية) الذين يدعون (الحسينية) فإنهم يقولون: من دعا إلى الله عز وجل من آل محمد، فهومفترض الطاعة. وكان (علي بن أبي طالب) إمامًا في وقت ما دعا الناس وأظهر أمره، ثم كان بعد «الحسين» إمامًا عند خروجه وقبل ذلك إذا كان مجانبًا لمعاوية ويزيد بن معاوية حتى قُتل، ثم زيد بن علي بن الحسين المقتول في الكوفة، أمه أم ولد. ثم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأمه ريطة بنت أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، ثم ابنه الآخر عيسى بن زيد بن علي، وأمه أم ولد، ثم محمد بن عبدالله بن الحسن وأمه هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن العزي بن قصي، ثم من دعا إلى طاعة الله من آل محمد صلى الله عليه وآله فهوإمام»[1].

ولقد ذكر الشهرستاني عند ذكر فرق الشيعة واختلافهم في الآراء:

«الزيدية، أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إمامًا واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أومن أولاد الحسين، وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبدالله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا في أيام المنصور، وُقتلا على ذلك.

وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة.

وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب، أراد أن يحصل على الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم، فتتلمذ في الأصول واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة، مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٧٧ إلى ٨٠.

الجمل وأصحاب الشام، ما كان على يقين من الصواب، وأن أحد الفريقين منهما كان على خطأ لا بعينه.

فاقتبس منه الاعتزال، وصارت أصحابه كلها معتزلة.

وكان من مذهبه جواز إمامه المفضول مع قيام الأفضل، فقال: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبًا، وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد، والتقدم بالسن، والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، زعق الناس وقالوا: لقد وليت علينا فظًا غليظًا، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظة له في الدين، وفظاظة على الأعداء، حتى سكنهم أبوبكر رضي الله عنه.

وكذلك يجوز أن يكون المفضول إمامًا والأفضل قائم، فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا. ولما سمعت شيعة أهل الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه، حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة. وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه، بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء، ويقتبس العلم ممن يجوّز الخطاء على جده في قتال الناكثين والقاسطين، ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت، ومن حيث إنه يشترط الخروج شرطًا في كون الأمام إمامًا، حتى قال له يومًا: على قضية مذهبك والدك ليس بإمام، لأنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج.

ولما قتل زيد بن علي، قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد، ومضى إلى خراسان... فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة، قتله هشام بن عبدالملك، ويحيى بن زيد قتل في خراسان،

قتله أميرها، ومحمد الإمام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان، وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة، أمر بقتلهما المنصور، ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش، فطلب مكانه ليقتل، فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم، والجبل لم يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعى الناس دعوة الإسلام على مذهب زيد بن علي، فدانوا بذلك، ونشأوا عليه.

وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين، وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة، ويلي أمرهم، وخالفوا بني أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول، ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية، وهم أصناف ثلاثة:

جارودية وسليمانية وبترية، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد.

الجارودية، أصحاب أبي الجارود، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على عليّ عليه السلام بالوصف دون التسمية، والإمام بعده علي، والناس قصروا، لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم، فكفروا بذلك. وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة، إمامه زيد ين علي، فإنه لم يعتقد بهذا الاعتقاد.

واختلف الجارودية في التوقف والسوق، فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين زين العابدين، ثم إلى زيد بن علي، ثم منه إلى الإمام محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين... والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا، فمنهم من قال: إنه لم يُقتل وهوبعد حي، وسيخرج فيملأ الأرض عدلًا، ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علي بن الحسين بن علي بن صاحب الطالقان. وقد أسر في أيام المعتصم، وحُمل إليه، فحبسه في داره حتى مات.

ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة، فخرج ودعا الناس، واجتمع عليه خلق كثير، وُقتل في أيام المستعين، وُحمل رأسه إلى محمد بن عبدالله بن ظاهر، حتى قال فيه بعض العلوية:

قتلت أعز من ركب المطايا ... وجئتك أستلينك في الكلام
وعزّ عليّ أن ألقاك إلا ... وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين زيد بن علي.

وأما أبو الجارود، فكان يُسمى سرحوب، سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه، وسرحوب، شيطان أعمى يسكن البحر»[1].

وذكر القاضي النعمان الزيدية في أرجوزته بقوله:

وقالــت الطائفــة الزيديــة ... مقالــة لم تــكُ بالمرضيــة
بــأن كــل قــائم يقــوم مــن ... نـسل الحسين بـن عـلي والحسن
بــسيفه يــدعو إلى التقــدم ... فهو الإمــام دون مــن لم يقــم
منهم ومـن كـل امـرئ في وقتـه ... مـستترًا قـد انـزوى في بيتـه
واتبعــوا زيــدًا عـلى مـا رتبـوا ... مـن الـدعاوي، وإليـه نـسبوا
حتـى إذا قُتـل قامــوا بعـده ... مـع الحسين، حـين قـام وحـده
واتبعـوا يحيـى بـن زيـد إذ بـدا ... ثـم تـولـوا بعـده محمـدا
أعني ابن عبدالله مـن نـسل حسن ... وكلهـم ظـل قتـيلًا مـرتهن
فهــؤلاء عنــدهم أئمــة ... ومــن يقــوم بعــدهم للأمــة
وكــل مــن ســواهم الرعيــة ... كــسائر الأمــة بالــسوية[2]

وقبل أن ننتهي من الكلام فيهم، نريد أن نذكر شيعة الكوفة، وجبنهم وتخاذلهم القديم. الكوفة التي وضعوا فيها روايات مختلقة كثيرة عن علي رضي الله عنه أنه قال:

«كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلازل، وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل، أو رماه بقاتل»[3].

وقال:

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص٢٠٧ ومابعد، ومثل ذلك في مقالات الاسلاميين ج١ ص٢٨ ومابعد، ومقدمة ابن خلدون ص١٧٩، الفرق بين الفرق ص ٢٩، والتبصير ص ٣٢، الفصل ج ٤ ص١٧٩، ومقاتل الطالبيين للأصفهاني الشيعي ص١٢٧ ومابعد.

(٢) الأرجوزة المختارة للقاضي النعمان ص٢١٤ ط مونتريال – كندا.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص١٩٧.

أنه يُحشر من ظهورها يوم القيامة سبعون ألفًا، وجوههم على صورة القمر. وقوله عليه السلام: هذه مدينتنا ومحلتنا، ومقر شيعتنا.

وقول جعفر بن محمد عليه السلام: اللهم ارم من رماها، وعاد من عاداها.

وقوله عليه السلام: تربة تحبنا ونحبها[١].

نذكر في هذه الكوفة، عبارتين عن إمامي الشيعة الكبار، فإن المسعودي روى أن زيد بن علي بن الحسين الذي استشهد في سنة إحدى وعشرين ومائة، أواثنتين وعشرين ومائة:

«شاور أخاه أبا جعفر بن علي بن الحسين بن علي، فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة، إذ كانوا أهل غدر ومكر، وقال له: بها قُتل جدك علي، وبها طُعن عمك الحسن، وبها قُتل أبوك الحسين، وأعمالها شتمنا أهل البيت»[٢].

وأما الثاني، فهوالمفيد يكتب وهويذكر زيد بن علي:

إنه لم يكره قوم قط حد السيف إلا ذلوا. فلما وصل إلى الكوفة، اجتمع إليه أهلها، فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب، ثم نقضوا وأسلموه فقتل، وصلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم ولا يعينوه بيد ولسان[٣].

هذا كان أمر الزيدية[٤] وهؤلاء كانوا هم.

وهناك فرق أخرى افترقوا وتفرعوا إلى فرق وفروع أخرى غير الزيدية، مثل الذين قالوا بإمامة عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حسن المثنى بن علي بن أبي طالب المقتول بها، وزعموا أنه القائم وأنه الإمام المهدي وأنه قُتل، وقالوا إنه حي لم يمت مقيم بجبل يقال له العلمية، وهوالجبل الذي في طريق مكة ونجد، الحاجز عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، وهوالجبل الكبير، وهوعنده مقيم فيه حتى يخرج، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: القائم المهدي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي.

---

(١) أيضًا ص١٩٨.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص٢٠٦.

(٣) الإرشاد المفيد ص٢٦٩.

(٤) ولقد اختصرنا القول في الزيدية لقصدنا إصدار كتاب مستقل إن شاء الله.

وكان أخوه (إبراهيم بن عبدالله بن الحسن) خرج بالبصرة، ودعا إلى إمامة أخيه (محمد بن عبدالله) واشتدت شوكته، فبعث إليه المنصور بالخيل، فقتل بعد حروب كانت بينهم. وكان (المغيرة بن سعد) قال بهذا القول لما توفي أبوجعفر محمد بن علي، وأظهر المقالة بذلك، فبرئت منه الشيعة أصحاب (أبي عبدالله جعفر بن محمد) عليهما السلام، ورفضوه، فزعم أنهم رافضة وأنه هوالذي سماهم بهذا الاسم، ونصب أصحاب المغيرة إمامًا، وزعم أن الحسين بن علي أوصى إليه ثم أوصى إليه علي بن الحسين، ثم زعم أن أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام وعلى آبائه السلام أوصى إليه، فهوالإمام إلى أن يخرج المهدي.

وأنكروا إمامة أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام، وقالوا لا إمامة في بني علي بن أبي طالب بعد أبي جعفر محمد بن علي، وأن الإمامة في (المغيرة بن سعيد) إلى خروج المهدي، وهوعندهم (محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن) وهوحي لم يمت ولم يُقتل، فسموا هؤلاء (المغيرية)، باسم المغيرة بن سعيد، مولى خالد بن عبدالله القسري. ثم ترقى الأمر بالمغيرة، إلى أن زعم أنه رسول نبي، وأن جبرئيل يأتيه بالوحي من عند الله. فأخذه خالد بن عبدالله القسري فسأله عن ذلك، فأقر به، ودعا خالدًا إليه، فاستتابه خالد، فأبى أن يرجع عن قوله، فقتله وصلبه، وكان يدّعي أنه يحيي الموتى، وقال بالتناسخ، وكذلك قول أصحابه إلى اليوم[1].

وطائفة اعتقدت الإمامة لمحمد الباقر بن علي زين العابدين، وقالوا إنه هوالإمام بعد أبيه بنص منه[2].

وبعد وفاة محمد الباقر سنة أربعة عشرة بعد المائة، اجتمعت الشيعة حول ابنه جعفر، البقية الذين بقوا على إمامته لأن البعض منهم رجعوا ومالوا عن إمامته كما ذكر النوبختي:

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٨٢، ٨٣، ٨٤.

(٢) الكافي للكليني ج١ ص٣٠٤.

«وأما الذين ثبتوا على إمامة علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين، ثم لعلي بن الحسين عليه السلام، ثم نزلوا إلى القول بإمامة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين باقر العلم عليه السلام، فأقاموا على إمامته إلى أن توفي، غير نفر يسير منهم، فإنهم سمعوا رجلًا منهم يُقال له (عمر بن رياح) زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة، فأجابه فيها بجواب، ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول، فقال لأبي جعفر: هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي، فقال له: إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية. فشك في أمره وإمامته.

فلقي رجلًا من أصحاب أبي جعفر يُقال له (محمد بن قيس) فقال له: إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب، ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول، فقلت له لم فعلت ذلك فقال فعلته للتقية، وقد علم الله أني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به، فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي. فقال له محمد بن قيس: فلعله حضرك من اتقاه. فقال له: ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري، لا، ولكن جوابيه جميعًا خرجا على وجه التبكيت، ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب مثله.

فرجع عن إمامته وقال: لا يكون إمامًا من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه، ولا في حال من الأحوال، ولا يكون إمامًا من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله، ولا من يرخي ستره ويغلق بابه، ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فمال بسببه إلى قول البترية، ومال معه نفر يسير[1]».

الشيعة أيام جعفر بن الباقر

وفي أيامه كمل التطور في التشيع والتغير الجذري والتبدل التام الذي شمل عامة الشيعة، والذي كان بدؤه بعد مقتل الحسين رضي الله عنه وعلى أيدي السبئية، فإنهم

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٨٠، ٨١.

استطاعوا بعد ستين سنة من قتله وبعد تسعين سنة من نشأتهم، فصل طائفة من الناس عن المسلمين في معظم المعتقدات وجل العقائد. الطائفة الكاملة التي تنسب إلى التشيع لعلي وأولاده رضي الله عنهم بجميع فرقها وطوائفها مع اختلاف القادة والزعماء واتجاهاتهم ومطامعهم، أغراضهم وأهدافهم، من حيث استغلوا النقمة المتوارثة والغضب الشديد المتنقل من الآباء إلى الأبناء من المحن والآلام والأوجاع نتيجة معارضة الحكام ومخالفة ولاة الأمور، والمقاتلة ضدهم والخروج عليهم والتشريد والتقتيل، زيادة على ذلك الدسائس والمؤامرات التي تدبر ويحكم نسيجها من وراء الأستار والتسميم الذهني والفكري، والاختلاط مع الشعوب الأجنبية بأفكارها وآرائها، المقهورة والمهزومة والمتغلب عليها وعلى بلادها وأمورها، والموتورة على الولاة وعساكرها الغازية المنصورة وجيوشها المظفرة المتغلبة، ثم واجتماع الفرس والموالي من البابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة والثقافات الراقية ـ حسب زعمهم ـ واحتياجهم إلى منظمة ثائرة على الحكم والحكام، والناقمة على كل ما صدر منهم أويصدر من الآراء والأفكار وحتى العقائد والمعتقدات.

هذه الأشياء كلها جعلت التشيع يتقلب في قالب جديد، والشيعة تكون كتلة مختلفة عن الحكام والآخذين في زمام الأمور، اختلافا كاملا في جميع ما يذهبون إليه ويعتقدون به، وتشهد على ذلك رواية مروية عن جعفر أنه قال: إن كل حكم يخالف العامة يؤخذ به ويترك ما يوافقهم. فسأله سائل: جعلت فداك، أرأيت إن كان فقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفًا لهم، بأي الخبرين يؤخذ؟

قال: ماخالف العامة ففيه الرشاد.

فقلت: جعلت فداك، فإن وافقهما الخبران جميعًا؟

قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل، حكامهم وقضاتهم، فيترك ويؤخذ بالآخر[١].

فيجب أن يكون هناك خلافًا، ويجب أن تكون مخالفة ولوعلى حساب القرآن

(١) الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث ج١ ص٦٨.

والسنة، ولوعلى حساب الدين والمذهب. ولما كانت الأفكار السبئية والعقائد المختلقة منهم تناوئ الإسلام وتعاليمه، وكانت تلك العقائد والأفكار المختلقة المخترعة صادرة من الذين ادعوا التشيع لعلي، فكان الأجدر والأليق أن تتبنى ويتمسك بها، لأنها تخالف معتقدات العامة وصدرت من الذين انتحلوا حب علي ومودته.

وبدأ الشيعة يتجاهرون، وبدأت الشيعة تصوغ وتصنع في ضوء العقائد السبئية المسائل والفتاوى في العبادات والمعاملات، وتشرع في العقائد والمعاملات، وتنسبها إلى أئمة أهل بيت علي رضي الله عنه، لتأسيس مذهب جديد وتكوين دين مستقل، له تشريعه وفقهه، وأصوله وأسسه، وقواعده وقوانينه، منفصلة عن الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقدمه للبشر كافة، واعتنقه أول ما اعتنق به أصحابه الأخيار ورفاقه الكرام البررة، ونقلوه عنه وتعاليمه التي أعطاها إياهم من القرآن وإرشادات الرسول الناطق بالوحي.

وصار التشيع قائمًا على أقاويل الرجال وأفعالهم سواء صدرت هذه الأقوال منهم أم لا ولكنها تكفي بأنها نسبت إليهم.

وإن عارضها أوناقضها أي هذه الأقوال والأفعال قول وفعل ثابت عنهم قالوا: لم يكن هذا إلا تقية. وإن خالفها الكتاب المنزل من السماء قالوا: إن الكتاب حصل فيه التغيير والتبديل. وإن عارضتها السنة الثابتة قالوا:إنها لم تنقل إلا عن المرتدين ـ عياذًا بالله ـ لأن أصحاب الرسول كلهم ارتدوا بعده إلا ثلاثة [١] فالقرآن مغير ومبدّل، والحديث رواته كفرة مرتدون، فلا عبرة بهما. لأن القرآن والحديث يناصران العامة ونحن على خلاف ما يقوله العامة.

ولأجل ذلك نبه أولاد علي رضي الله عنه، الطيبون منهم، على كذب وافتراء هؤلاء المنتحلين المدعين حبهم.

كما روي عن جعفر بن الباقر – الإمام السادس المعصوم عند الشيعة – أنه قال:

(١) انظر لتفصيل ذلك كتابنا (الشيعة والسنة) و(الشيعة أهل البيت) و(الشيعة والقرآن).

لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا [١].

عنه أيضًا أنه قال:

«إنا أهل بيت صادقون، لا نخلوا من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس، كان رسول الله أصدق الله لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه من الكذب عبدالله بن سبأ لعنه الله، وكان أبوعبدالله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبوعبدالله الحارث الشامي والبنان فقال: كانا يكذبان على علي ابن الحسين عليه السلام، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعا والسري وأبا الخطاب ومعمرًا وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائب النهدي - أي أصحابه - فقال: لعنهم الله، إنا لا نخلوا من كذاب يكذب علينا، كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد» [٢].

وعن حفيده علي الرضا - الإمام الثامن المعصوم حسب زعمهم - أنه قال: كان بنان يكذب على علي بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على إبن جعفر عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان محمد بن بشر يكذب على بن الحسن علي بن موسيالرضى عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان أبوالخطاب يكذب على أبي عبدالله عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، والذي يكذب علي، محمد بن الفرات [٣].

وعن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال: «لعن الله بنان البيان، وإن بنان لعنه الله كان يكذب على أبي، أشهد أن أبي كان عبدًا صالحًا» [٤].

وبدءوا يتبرءون منهم، ويمنعون متبعيهم من الوقوع في شراكهم وحبائلهم، كما نقل الكشي عن جعفر أنه ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب

---

(١) رجال الكشي ص٢٥٩ تحت ترجمة أبي الخطاب.

(٢) أيضًا ص٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) أيضًا ص٢٥٦.

(٤) رجال الكشي ص٢٥٥.

فقيل: أنه صار إليهم يتردد وقال فيهم:

وهوالذي في السماء إله، وفي الأرض إله، قال هوالإمام، فقال أبوعبدالله عليه السلام: لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبدًا، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئًا قط، وإن عزيرًا جال في صدره ما قالت اليهود، فمحى الله اسمه من النبوة، والله لوأن عيسى أقر بها قالت فيه النصارى، لأورثه الله صممًا إلى يوم القيامة، والله لوأقررت بها يقول فيّ أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على ضر شيئ ولا نفع شيئ.

محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن محمد قال: حدثني محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن زكريا عن ابن مسكان عن قاسم الصيرفي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «قوم يزعمون أني لهم إمام، والله ما أنا لهم بإمام، مالهم لعنهم الله كلما سترت سترًا هتكوه، هتك الله سترهم، أقول كذا، يقولون إنما يعني كذا، أنا إمام من أطاعني»(١).

ولكن باءت الجهود المخلصة بالفشل، وزادت الشيعة في غلوائهم وغيهم لكثرة ما وجد في ذلك الزمان من الكذابين ومن المنتحلين مودة أهل البيت، والمدعين موالاتهم ومشايعتهم من أبي الخطاب وأبي البصير المرادي وزرارة بن أعين وجابر الجعفي ومغيرة بن سعيد والهشامين وأبي الجارود وغيرهم، فكثرت الآراء وتشعبت، وزادت الفرق وتفرقت، ذهب بعضها إلى المذاهب البعيدة، وزاد حتى على السبئية مؤسسي بنيانها وواضعي نواتها، وقربت البعض منها، وأحصرت على تلقي ما لقنته السبئية وألقته إليهم، وقلل الأخذ بعض منها وأكثر البعض، ولقد أقر بذلك مؤرخ شيعي حيث قال:

«ولم يتمكن الصادق ـ في تلك الظروف القاسية التي ظهرت فيها الزيدية ـ على أن يناظرهم غالبًا في شيء من أمر الإمامة، لأنه كان يتكتم فيها، ويتقي ملوك عصره، ويحذر من وشاتهم وجواسيسهم الكثيرة، ومع تكتمه الشديد قد أحضره المنصور وقال

(١) رجال الكشي ص٢٥٤، ٢٥٥.

له: قتلني الله إن لم أقتلك، أتلحد في سلطاني؟ فقال له الصادق عليه السلام: والله ما فعلت ولا أردت، وإن كان بلغك، فمن كاذب»[١].

فمن الذين اختلفوا أول الأمر على جعفر وأخذوا عليه في حياته، من ذكرهم النوبختي:

«وأما الفرقة الأخرى من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، فنزلت إلى القول بإمامة أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام، فلم تزل ثابتة على إمامته أيام حياته غير نفر منهم يسير، فإنهم لما أشار جعفر بن محمد إلى إمامة ابنه إسماعيل، ثم مات إسماعيل في حياة أبيه، رجعوا عن إمامة جعفر، وقالوا كذبنا ولم يكن إمامًا، لأن الإمام لا يكذب ولا يقول مالا يكون، وحكموا على جعفر أنه قال: إن الله عز وجل بداله في إمامة إسماعيل، فأنكروا «البداء» والمشيئة من الله، وقالوا هذا باطل لا يجوز، ومالوا إلى مقالة (البترية) ومقالة سليمان بن جرير، وهوالذي قال لأصحابه بهذا السبب أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما القول بالبداء وإجازة التقية. فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون، والإخبار بما يكون في غد، وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا، فإن جاء ذلك الشيىء على ما قالوه، قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون، فنحن نعلم من قِبَل الله عز وجل ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت. وإن لم يكن ذلك الشيىء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوا لشيعتهم، بدا لله في ذلك بكونه.

وأما التقية، فإنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين، فأجابوا فيها، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد، وتفاوت الأوقات، لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد، بل في سنين متباعدة، وأشهر متباينة،

(١) الشيعة في االتاريخ ص١٠٧، ١٠٨.

وأوقات متفرقة، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم، ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم، وسألوهم عنه، وأنكروا عليهم فقالوا: من أين هذا الإختلاف؟ وكيف جاز ذلك؟ قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أجبنا، وكيف شئنا، لأن ذلك إلينا، ونحن نعلم بما يصلحكم ومافيه بقاؤكم، وكف عدوكم عنا وعنكم.

فمتى يظهر من هؤلاء على كذب؟ ومتى يعرف لهم حق من باطل؟.

فمال إلى سليمان بن جرير هذا لهذا القول، جماعة من أصحاب أبي جعفر، وتركوا القول بإمامة جعفر عليه السلام[١].

وهنا آخران من أهل البيت ادعيا الإمامة في حياة جعفر، وهما عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي.

وهوالذي كان يقول: ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين[٢].

والذي قال عنه الأصفهاني الشيعي:

«كان عبدالله بن الحسن بن الحسن شيخ بني هاشم والمقدم فيهم، وذا الكثير منهم فضلًا وعلمًا وكرمًا»[٣].

والثاني ابنه محمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، هوالذي كتب فيه الأصفهاني الشيعي:

«وكان محمد بن عبدالله الحسن، من أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في زمانه في علمه بكتاب الله، وحفظه له، وفقهه في الدين، وشجاعته، وجوده، وبأسه، وكل أمر يجمل بمثله، حتى لم يشك أحد أنه المهدي، وشاع ذلك له في العامة، وبايعه رجال من

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٨٤إلى ٨٧.

(٢) مقاتل الطالبيين للأصفهاني ص١٨١.

(٣) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ج١ ص٢٠٥، مقاتل ص١٨٠.

بني هاشم جميعًا، من آل أبي طالب، وآل العباس، وسائر بني هاشم»[١].

وقد ذكر الكليني في (كافيه) ادعاءهما الإمامة زمن جعفر ودعوتهما إياه إليهما، حيث ذكر أن عبدالله بن الحسن دخل على جعفر بن الباقر وقال: «قد علمت جُعلت فداك أن السن لي عليك، وأن في قومك من هوأسن منك، ولكن الله عز وجل قد قدم لك فضلًا ليس هولأحد من قومك، وقد جئتك معتمدًا لما أعلم من برّك، واعلم - فديتك - إنك إذا أجبتني لم يتخلف عني أحد من أصحابك، ولم يختلف علي اثنان من قريش ولا غيرهم. فقال له أبوعبدالله عليه السلام: إنك تجد غيري أطوع لك مني ولا حاجة لك فيّ، فوالله إنك لتعلم أني أريد البادية أوأهم بها فأثقل عنها، وأريد الحج فما أدركه إلا بعد كد وتعب ومشقة على نفسي، فاطلب غيري وسله ذلك ولا تعلمهم أنك جئتني، فقال له: إن الناس مادون أعناقهم إليك، وإن أجبتني لم يتخلف عني أحد، ولك أن لا تكلف قتالًا ولا مكروهًا، قال: وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا، فقال أبي: جعلت فداك ما تقول؟. فقال: نلتقي إن شاء الله، فقال: أليس على ما أحب؟ فقال: على ما تحب إن شاء الله من إصلاحك... فقال له أبوعبدالله عليه السلام: يا ابن عم، إني أعيذك بالله من التعرض لهذا الأمر الذي أمسيت فيه، وإني لخائف عليك أن يكسبك شرًا، فجرى الكلام بينهما، حتى أفضى إلى ما لم يكن يريد، وكان من قوله: بأي شيء كان الحسين أحق بها من الحسن؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام: رحم الله الحسن، ورحم الحسين، وكيف ذكرت هذا؟ قال: لأن الحسين عليه السلام، كان ينبغي له إذا عدل أن يجعلها في الأسن من ولد الحسن... فقام أبي يجر ثوبه مغضبًا، فلحقه أبوعبدالله عليه السلام، فقال له: أخبرك أني سمعت عمك وهوخالك يذكر أنك وبني أبيك ستقتلون، فإن أطعتني ورأيت أن تدفع بالتي هي أحسن فافعل، فوالله الذي لا إله إلا هوعالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال على خلقه، لوددت أني فديتك بولدي وبأحبهم إلي بأحب أهل بيتي إلي، وما يعدلك عندي شيء، فلا ترى أني غششتك. فخرج أبي من عنده مغضبًا أسفا... ثم أتى محمد بن عبدالله بن حسن، فأخبر

(١) مقاتل ص٢٣٣.

أن أباه وعمومته قتلوا ـ قتلهم أبوجعفر ـ إلا حسن بن جعفر وطباطبا وعلي بن إبراهيم وسليمان بن داوود بن حسن وعبدالله بن داود، قال: فظهر محمد بن عبدالله عند ذلك، ودعى الناس لبيعته، قال: فكنت ثالث ثلاثة بايعوه واستوثق الناس لبيعته، ولم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي، قال: وشاور عيسى بن زيد وكان من ثقاته وكان على شرطه، فشاوره في البعثة إلى وجوه قومه، فقال له عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعاء يسيرًا لم يجيبوك، أوتغلظ عليهم، فخلني وإياهم، فقال له محمد: امض إلى من أردت منهم، فقال: ابعث إلى رئيسهم وكبيرهم ـ يعني أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام ـ فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعًا أنك ستمرهم على الطريق التي أمررت عليها أبا عبدالله عليه السلام، قال: فوالله ما لبثنا أن أتى بأبي عبدالله عليه السلام حتى أوقف بين يديه، فقال له عيسى بن زيد: أسلم تسلم، فقال له عبدالله عليه السلام: أحدثت نبوة بعد محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له محمد: لا، ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك ولا تكلفن حربًا، فقال له أبوعبدالله عليه السلام: ما فيّ حرب ولا قتال، ولقد تقدمت إلى أبيك وحذرته الذي حاق به، ولكن لا ينفع حذر من قدر، يابن أخي عليك بالشباب، ودع عندك الشيوخ. فقال له محمد: ما أقرب ما بيني وبينك في السن، فقال له أبوعبدالله عليه السلام: إني لم أعازّك ولم أجيئ لأتقدم عليك في الذي أنت فيه. فقال له محمد: لا والله لابد من أن تبايع. فقال له أبوعبدالله عليه السلام: ما فيّ ياابن أخي طلب ولا حرب، وإني لأريد الخروج الى البادية فيصدني ذلك ويثقل علي حتى تكلمني في ذلك الأهل غير مرة، ولا يمنعني منه إلا الضعف، والله والرحم أن تدبر عنّا ونشقى بك. فقال له: يا أبا عبدالله قد والله مات أبوالدوانيق ـ يعني أبا جعفر ـ فقال له أبوعبدالله عليه السلام: وما تصنع بي وقد مات؟ قال: أريد الجمال بك، قال: ما إلى ما تريد السبيل، لا والله ما مات أبوالدوانيق إلا أن يكون مات موت النوم. قال: والله لتبايعني طائعاً أومكرها ولا تحمد في بيعتك. فأبى عليه إباء شديدًا، وأمر به إلى الحبس. فقال له عيسى بن زيد: أما إن طرحناه في السجن وقد خرب السجن وليس عليه اليوم غلق، خفنا أن يهرب منه. فضحك أبوعبدالله عليه السلام، ثم قال: لا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أوتراك تسجنني؟ قال: نعم والذي أكرم محمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، لأسجننك ولأشددّن عليك. فقال عيسى بن زيد: احبسوه في المخبأ ـ وذلك دار ريطة اليوم ـ فقال له أبوعبدالله عليه السلام: أما والله إني سأقول ثم أصدق. فقال له عيسى بن زيد: لوتكلمت لكسرت فمك. فقال له أبوعبدالله عليه السلام: أما والله يا أكشف يا أزرق، لكأني بك تطلب لنفسك جحرًا تدخل فيه، وما أنت في المذكورين عند اللقاء، وإني لأظنك إذا صفق خلفك، طرت مثل الهيق النافر. فنفر عليه محمد بانتهار: احبسه وشدد عليه وأغلظ عليه. فقال له أبوعبدالله عليه السلام: أما والله لكأني بك خارجًا من سدة أشجع إلى بطن الوادي وقد حمل عليك فارس معلم في يده طرّادة نصفها أبيض ونصفها أسود، على فرس كميت أقرح، فطعنك فلم يصنع فيك شيئًا وضربت خيشوم فرسه فطرحته، وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي عمار الدئليين عليه غديرتان مضفورتان، وقد خرجتا من تحت بيضة، كثير شعر الشاربين، فهووالله صاحبه، فلا رحم الله رمته. فقال له محمد: يا أبا عبدالله، حسبت فأخطأت. وقام إليه السراقي بن سلخ الحوت، فدفع في ظهره حتى أدخل السجن واصطفى ما كان له من مال وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد»[1].

هذا ما حصل في حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم بأحزاب مختلفة، وتشعبهم بفرق متعددة.

الشيعة بعد وفاة جعفر

وأما بعد وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة، حصل الاختلاف العظيم، وافترق الشيعة إلى فرق عديدة، ولقد عدها الكاتب الشيعي المشهور النوبختي، وهوالأوائل من كتب في الفرق من القوم، ست فرق فقال:

«فلما توفي أبوعبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام، افترقت الشيعة بعده ست فرق... ودفن في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده في البقيع... وأمه أم فروة بنت القاسم

---

(١) الأصول من الكافي، كتاب الحجة ج١ ص٣٥٨ ومابعد.

بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء[١]. بنت عبدالرحمن بن أبي بكر»[٢].

والفرق الستة التي عدّها، الأولى منها:

«الناوُسية: وهي التي قالت إن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر الناس، وأنه هوالمهدي. وزعموا أنهم رووا عنه أنه قال: إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه، فإني صاحبكم. وإنه قال لهم: إن جاءكم من يخبركم عني أنه مرضني وغسلني وكفنني، فلا تصدقوه، فإني صاحبكم صاحب السيف.

وهذه الفرقة تسمى الناووسية. وُسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يُقال له فلان بن فلان الناوُس»[٣].

«وزعم قوم أن الذي يتبدى للناس لم يكن جعفرًا، وإنما تصور لناس في تلك الصورة. وانظم إلى هذه الفرقة قوم من السبئية، فزعموا جميعًا أن جعفرًا كان عالمًا بجميع معالم الدين من العقليات والشرعيات، فإذا قيل للواحد منهم: ماتقول في القرآن أوفي الرؤية أوفي غير ذلك من أصول الدين أوفي فروعه؟ يقول: أقول فيها ما كان يقوله جعفر الصادق، يقلدونه»[٤].

هذا ما حصل في حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم بأحزاب مختلفة وتشعبهم في فرق متعددة.

والفرقة الثانية: السمطية أوالشميطية: وهم القائلون إن الإمام بعد جعفر بن محمد إبنه محمد بن جعفر، وذلك لأن أباه جعفر وصي له في صباه، وكان يقول: إنه يشبه أبي

---

(١) وعلى ذلك كان يقول: لقد ولدني أبوبكر مرتين (كشف الغمة للأربلي الشيعي ج٢ص١٦١).

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٧٨.

(٣) أيضًا ص٨٧ – ٨٨.

(٤) الفرق بين الفرق ص٦١، مقالات الإسلاميين ج١ص٩٧، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٥٣، الملل والنحل للشهرستاني ج٢ص٣،٢ الحور العين ص١٦٢، التبصير للإسفرائيني ص٤٠، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٤ص ١٨٠، الخطط للمقريزي ج ٤ص ١٧٤.

محمد الباقر وجدي رسول الله، فجعل هؤلاء الإمامة في محمد بن جعفر وولده من بعده.

وهذه الفرقة تسمى السمطية وتنسب إلى يحيى بن أبي السميط أوأبي الشميط(١).

والجدير بالذكر أن محمد بن جعفر هذا خرج أيام المأمون، ودعا الناس إلى نفسه: وبايع له أهل المدينة بإمرة المؤمنين(٢).

فحصلت بينه وبين جيوش المأمون بقيادة هارون بن المسيب معارك عديدة.

ثم وجه إليه هارون خيلاً فحاصرته في موضعه، لأنه كان موضعًا حصينًا لا يوصل إليه، فلما بقوا في الموضع ثلاثا ونفد زادهم وماؤهم، جعل أصحابه يتفرقون ويتسللون يمينًا وشمالاً، فلما رأى ذلك لبس بردًا ونعلاً، وصار إلى مضرب هارون فدخل إليه وسأله الأمان لأصحابه، ففعل هارون ذلك(٣).

وذكر المفيد بأنه كان يرى رأى الزيدية في الخروج بالسيف، ولذلك اتبعه كثير من الزيدية الجارودية(٤).

والفرقة الثالثة: الفطحية: فلقد ذكرها الكشى تحت عنوان الفطحية بقوله:

«هم القائلون بإمامة عبدالله بن جعفر بن محمد، وسموا بذلك لأنه قيل أنه كان أفطح الرأس، وقال بعضهم: كان أفطح الرجلين، وقال بعضهم: إنهم نسبوا إلى رئيس من أهل الكوفة يقال له: عبدالله بن فطيح، والذين قالوا بإمامته عامة مشائخ العصابة وفقهائها، مالوا إلى هذه المقالة فدخلت عليهم الشبهة لما روى عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى إمام... ثم إن عبدالله مات بعد أبيه بسبعين يومًا، فرجع الباقون إلا شاذا منهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن عليه السلام ورجعوا إلى الخبر الذي روى: إن الإمامة لا يكون في الآخوين بعد

(١) انظر فرق الشيعة ص٩٨، مقالات الإسلاميين ج١ ص٩٩، الفرق بين الفرق ص ٦١، ٦٢، اعتقادات للرازي ص٥٤، التبصير ص٤١، الحور العين ص١٦٣، الملل لابن حزم ج٢ ص٣.

(٢) مقاتل للأصفهاني ص٣٥٧، الإرشاد ص ٢٨٦، تاريخ بغداد ج٢ ص١١٤.

(٣) مقاتل ص٥٤٠، الإرشاد ص ٢٨٦.

(٤) الإرشاد للمفيد ص٢٨٦.

الحسن والحسين عليه السلام»[١].

وذكر مثل هذا النوبختي الشيعي وزاد:

«ومال إلى هذه الفرقة جل مشائخ الشيعة وفقهائها، ولم يشكوا في أن الإمامة في محمد بن جعفر وفي ولده من بعده، فمات عبدالله ولم يخلف ذكرا»[٢].

وأما المفيد فقال:

«وكان عبدالله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل، ولم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متهما بالخلاف على أبيه في الاعتقاد، ويقال أنه كان يخالط الحشوية، ويميل إلى مذهب المرجئة. وادعى بعد أبيه الإمامة، واحتج بأنه أكبر إخوته الباقين، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام. ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام، لما تبينوا ضعف دعواه وقوة أمر أبي الحسن عليه السلام، ودلالة حقه وبراهين إمامته. وأقام نفر يسير منهم على أمرهم، ودانوا بإمامة عبدالله بن جعفر، الطائفة الملقبة بالفطحية»[٣].

وقد ذكرهم الأربلي أيضًا في كشف الغمة[٤].

وُيسمون العمارية أيضًا كما ذكره الأشعري في (مقالات الإسلاميين) نسبة إلى رئيس لهم يُعرف بعمار[٥].

والجدير بالذكر أن الشيعة يروون روايات عن أئمتهم المعصومين حسب زعمهم بأن الإمامة في أكبر الأبناء كما روى الكليني:

«عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: إن الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة»[٦].

وبذلك استدل على إمامته «واحتج بأنه أكبر الإخوة الباقين، فاتبعه جماعة من

---

(١) رجال الكشي ص٢١٩

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٩٩.

(٣) الإرشاد ص٢٨٥، ٢٨٦.

(٤) ج٢ ص٣٩٣.

(٥) ج١ ص٩٩.

(٦) كتاب الحجة من الكافي في الأصول ج١ ص٣٥٧.

أصحاب أبي عبدالله عليه السلام»[١].

ثم ومع هذا كيف يعدلون عنه ولم يكن به عاهة؟

اللهم إلا أنهم يذكرون أنه كان يخالف أباه في العقائد[٢].

ونريد أن نلفت الأنظار، إلى أن ابن جعفر الآخر وهومحمد أيضًا، كان منكِرًا لإمامة أبيه جعفر ومخالفًا لأفكاره وآرائه، كما ذكره الطوسي والمفيد[٣].

والفرقة الرابعة: الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر، وأنكروا إمامة عبدالله، وخطؤوه في فعله وجلوسه مجلس أبيه، وادعائه الإمامة[٤].

فسنذكر تفاصيل واختلافات هؤلاء فيما بعد، تحت أيام موسى الملقب بالكاظم.

الإسماعيلية

وأما الفرقة الخامسة والسادسة التي حدثت ونشأت من بين الشيعة، فهي الإسماعيلية. فأولًا نذكرهم من الشيعة أنفسهم، فيقول النوبختي:

«وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه إسماعيل بن جعفر، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس، وأنه هوالقائم، لأن أباه أشار إليه بالإمامة من بعده، وقلدهم ذلك له، وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول إلا الحق. فلما ظهر موته، علمنا أنه قد صدق، وأنه القائم، وأنه لم يمت. وهذه الفرقة هي الإسماعيلية الخالصة»[٥].

ثم لهم فرق كثيرة، نذكر بعضها بالاختصار. فذكر المفيد تحت عنوان: أولاد أبي عبدالله وعددهم وأسماؤهم وطرف أخبارهم:

(١) الإرشاد للمفيد ص٢٨٥.

(٢) كشف الغمة للأربلي ج٢ص٣٩٣.

(٣) انظر أعلام الورى ص٢٩١، الإرشاد للمفيد ص٢٨٦.

(٤) فرق الشيعة للنوبختي ص١٠٠.

(٥) أيضًا ص٨٨،٨٩.

«وكان إسماعيل أكبر الأخوة، وكان أبوعبدالله عليه السلام شديد المحبة له والإشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده، إذ كان أكبر إخوته سنًا، ولميل أبيه إليه، وإكرامه له. فمات في حياة أبيه عليه السلام بالعريض، وحُمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع.

وروي أن أبا عبدالله عليه السلام جزع عليه جزعًا شديدًا، وحزن عليه حزنًا عظيمًا، وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مرارًا كثيرة، وكان يكشف وجهه وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، وإزالة الشبهة عنهم في حياته.

ولما مات إسماعيل (رحمه الله)، انصرف عن القول بإمامته من بعد أبيه من كان يظن ذلك فيعتقده من أصحاب أبيه، وأقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصة أبيه، ولا من الرواة عنه، وكانوا من الأباعد والأطراف.

فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام، وافترق الباقون فريقين، فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، لظنهم أن الإمامة كانت في أبيه، وأن الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل، وهم اليوم شذاذ لا يُعرف منهم أحد يومى إليه. وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية. والمعروف منهم الآن من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان»[1].

وذكر مثل ذلك في كتب الشيعة الأخرى مثل (شرح ابن أبي الحديد) و(أعيان الشيعة) و(الشيعة في التاريخ).

ولقد ذكر الإسماعيلية من السنة، كل من الأشعري والبغدادي والأسفرائيني والرازي والشهرستاني وغيرهم من المتقدمين، كما ذكرهم كثير من المتأخرين السنة، ولكن نذكر ما ذكره ابن خلدون، فيقول:

(١) الإرشاد للمفيد ص٢٨٤،٢٨٥.

«فأما الإسماعيلية فقالوا بإمامة إسماعيل الإمام بالنص من أبيه جعفر، وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أبيه، إنما هوبقاء الإمامة في عقبه، كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهما، قالوا: ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم، وهوأول الأئمة المستورين، لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر، وتكون دعاته ظاهرين إقامة للحجة على الخلق، وإذا كانت له شوكة، ظهر وأظهر دعوته، قالوا: وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محمد الحبيب، وهوآخر المستورين، وبعده إبنه عبدالله المهدي الذي أظهر دعوته أبوعبدالله الشيعي في كتامة، وتتابع الناس على دعوته، ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة، وملك القيروان والمغرب، وملك بنوه من بعد مصر، كما هومعروف في أخبارهم. ويسمى هؤلاء نسبة إلى القول بإمامة إسماعيل، ويسمون أيضًا بالباطنية، نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن، أي المستور. ويسمون أيضًا الملحدة، لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد. ولهم مقالات قديمة، ومقالات جديدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة، وملك حصونًا بالشام والعراق، ولم تزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر، وملوك التتر في العراق[1].

وذكرهم الشهرستاني بقوله:

«الإسماعيلية قالوا: إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصًا عليه باتفاق من أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من قال: لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، وعقد محضرًا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم من قال: الموت صحيح، والنص لا يرجع القهقري، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل، وهؤلاء يقال لهم: المباركية. ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل، وقال برجعته بعد غيبته. ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم»[2].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٢٠١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج٢ ص٥.

ثم ساق أدلتهم لإثباتهم إمامة إسماعيل بن جعفر بقوله:

«إسماعيل بن جعفر وهوابنه الأكبر المنصوص في بدء الأمر، وقالوا: لم يتزوج الصادق على أمه بواحدة من النساء، ولا اشترى جارية، كسنة رسول الله في حق خديجة، وكسنة علي في حق فاطمة. وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من قال: إنه مات، وإنما فائد النص عليه، انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة، كما نص موسى إلى هارون عليهما السلام، ثم مات هارون في حال حياة أخيه، وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلى أولاده، فإن النص لا يرجع القهقري، والقول بالبدأ محال، ولا ينص الإمام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة.

ومنهم من قال: إنه لم يمت، لكن أظهر موته تقية عليه، حتى لا يقصد بالقتل. ولهذا القول دلالات: منها أن محمد كان صغيرًا، وهوأخوه لأمه، مضى إلى السرير الذي كان إسماعيل نائمًا عليه، ورفع الملاءة، فأبصره وهوقد فتح عينه، وعاد إلى أبيه مفزعًا وقال: عاش أخي، عاش أخي. قال والده: إن أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة. قالوا: وما السبب في الإشهاد على موته؟.

وعن هذا لما رفع إلى المنصور أن إسماعيل بن جعفر رؤي بالبصرة على مقعد فدعى فبرئ بإذن الله، بعث المنصور إلى الصادق أن إسماعيل في الأحياء، وأنه رؤي بالبصرة، أنفذ السجل إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة.

قالوا: وبعد إسماعيل، محمد بن إسماعيل السابع التام، وإنما تم دور السبعة به. ثم ابتدى منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد، ويظهرون الدعاة جهرًا، قالوا: ولن تخلوا الأرض قط من إمام حيّ، إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور. فإذا كان الإمام ظاهرًا، يجوز أن يكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستورًا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين، وقالوا: إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع. والنقباء تدور أحكامهم على أثنى عشر، قالوا: وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة، ثم

بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدي والقائم بأمر الله وأولادهم نصًا بعد نص على إمام بعد إمام. ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام، مات ميتة جاهلية... وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيلًا تأويلا.

ولهم ألقاب غير هذا من القرامطة والمزدكية والملحدة.

وهم يقولون: نحن إسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم.. ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة، حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الإلزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع، وكان بدء صعوده إلى قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد إمامه، وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه. فعاد ودعا الناس أول دعوة إلى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان، وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة، وهوأن لهم إمامًا وليس لغيرهم إمام»[1].

القرامطة

وتفرعت على الإسماعيلية فرق عديدة، والمشهور منها:

القرامطة المنسوبون إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه، في سنة أربع وستين ومائتين ٢٦٤هـ. وكان ظهوره بسواد الكوفة، فاشتهر مذهبه بالعراق، وقام ببلاد الشام صاحب الخال، والمدثر المطوق. وقام أبوسعيد الجنابي بالبحرين، وعظمت دولته ودولة بنيه، حتى أوقعوا بعساكر الخلفاء العباسيين، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز، وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض.

فدخل جماعة من الناس في دعوتهم، ومالوا إلى قولهم الذي سموه علم الباطن، وهوتأويل شرائع الإسلام، وصرفها عن ظواهرها إلى أمور زعموها من عند أنفسهم، فضلوا وأضلوا عالمًا كثيرا.

---

(١) الملل والنحل ج٢ ص٣٢،٣٣.

وقيل غير ذلك في تاريخ ظهور حمدان هذا في تسمية بقرمط، يقول الوطواط ظهر في أيام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨هـ من سواد الكوفة، رجل أحمر العينين يسمى كرميته، فاستثقلوا هذه اللفظة، فخففوها وقالوا قرمط. ثم ذكر أنواع تعاليمه وبدعه الفاسدة، وذكر أن المعز الفاطمي وقائده جوهر، قد حاربا القرامطة حروبًا دامية سنة ٣٦٢هـ.

ويقول ابن خلكان: «والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة، يقال له قِرمط بكسر القاف، ولهم مذهب مذموم، وكانوا قد ظهروا في سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد، وقيل كان ظهورهم في سنة ٢٧٨هـ».

ويرى أبو الفداء «أن ظهورهم كان في هذه السنة أي سنة ٢٧٨هـ في سواد الكوفة، وأن الرجل الذي دعاهم إلى مذهبه كان شيخًا وقد تمرض بقرية من سواد الكوفة، فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهوبالنبطية اسم لحمرة العين، فلما تعافى الشيخ المذكور سمي باسم ذلك الرجل الذي آواه ومرضه. ثم خُفف فقالوا قِرمط. ودعا قومًا من أهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل إلى دينه، فأجابوه».

ولا يهمنا أكان الرجل الذي دعا القرامطة هونفس الرجل المسمى بقرمط أوغيره، ولكنه سمي باسم قرمط، وإنما يهمنا أن نعرف تاريخ ظهورهم في أي سنة كان، لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت أم لا، وقد رأيت اختلاف الروايات في تحديد زمان ظهورهم. والأرجح أنه كان في سنة ٢٧٨هـ، أي بعد انقضاء زمن الأئمة الميامين، وفي أثناء الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر[١].

وقد ذكرهم الأشعري بقوله:

«القرامطة يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بن أبي طالب، وأن عليًا نص على إمامة ابنه الحسن، وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيه الحسين بن علي، وأن الحسين بن علي نص على إمامة إبنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي، ونص محمد بن علي على إمامة ابنه جعفر، ونص جعفر على

(١) الشيعة في التاريخ ص٢٣١- ٢٣٤.

إمامه ابنه محمد بن إسماعيل، وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هوالمهدي الذي تقدمت البشارة به، واحتجت في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم»[١].

كما ذكرهم الآخرون:

ومنهم المباركية وغيرها، والموجود المشهور منها فرق ثلاثة:

الآغاخانية أوالنزارية أتباع آغاخان، والبهرة أوالمستعلية والسليمانية.

ولكل واحدة منها عقائد وآراء متفقة في بعضها ومختلفة في البعض الأخرى منها، ولنا فيهم في جميع فرقهم وعقائدهم، آرائهم وأفكارهم والأسس التي قامت عليها معتقادتهم، وفي تاريخهم وفي بداية أمرهم، كلام مستقل طويل ناقشنا فيه آراء المستشرقين والكتاب المصريين والإسماعيليين، السوريين منهم والهنديين، وفندنا بعض الآراء التي ابتنوها عن هؤلاء القوم وأثبتنا أخطاءهم الفاحشة، التاريخية منها والعقائدية. كما أوردنا في بحثنا ذاك معلومات جديدة حقيقية عن معتقدات القوم الأصلية من كتبهم العتيقة القديمة، المخطوطة منها والمطبوعة. وأثبتنا فيه جهالات كثيرة للأسماء الكبيرة وللأشخاص المشهورة المعروفة، وحتى من يتربع على زعامة الإسماعيلية ويدعي أنه من أكابرها، وهذا في كتاب مستقل[٢].

ولأجل ذلك تجنبنا إطالة القول في كتابنا هذا عنهم وعن عقائدهم، واكتفينا بنقل الأقوال وسرد العبارات عمن كتب في الفرق من الشيعة والسنة، كيلا نخرج عن أصل

(١) مقالات الإسلاميين ج١ ص٩٨.

(٢) وسيصدر هذا الكتاب عما قريب إن شاء الله بعد صدور هذا الكتاب، وكنا ننوي إصداره قبل هذا حيث كنا قد جمعنا كل شيء عن الاسماعيلية ولكننا تأخرنا بعدما سمعنا بوجود بعض المخطوطات الأخرى التي لم نحصل عليها حتى الآن، فأردنا أن لا ينقصنا شئ من ذلك، ويكون البحث كاملاً شاملاً وجامعًا مانعًا قدر الاستطاعة وما ذلك على الله بعزيز.

وإننا لنرى بأن هذا الكتاب سيثير ضجة كبرى في الأوساط العلمية العالية حيث اكتشفنا فيه بعض الحقائق المستورة التي لم يهتد إليها من اشتهر وعرف في العالم بتخصصه من المستشرقين والمصريين، وحتى من الإسماعيلية أنفسهم، كما كشفنا فيه النقاب عن بعض البديهيات التي خفيت على هؤلاء الفئة من الناس فهناك وفيه الملتقى إن شاء الله في التفصيل.

الموضوع ولا يطول بنا الحديث.

الدروز

ومن الفرق التي تفرعت وخرجت من الإسماعيلية ومنها أخذت أفكارها وعقائدها طائفة الدروز. وكانت نشأتها أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي تولى ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦هـ وكان عمره آنذاك أحد عشر عامًا، واستقل به سنة ٣٩٠هـ بعد قتل أحد الأوصياء عليه[(١)].

فاستغل صغر عمره وطموحه وشذوذه في المأكل والمشرب والسكن والقيام والهالة المقدسة التي كانت تحيطه بعض دعاة الإسماعيلية الملاحدة مرسلوا الفرس والمجوس، فأحاطوا به، وزيّنوا له فكرة ألوهيته وربوبيته. وكان من أبرزهم حمزة بن علي أحمد الزوزني، ومحمد بن إسماعيل الدرزي، والحسن بن حيدرة الفرغاني، وغيرهم المشهور بالأخرم أوالأجدع[(٢)].

فذهبوا شأوًا بعيدًا في الانحراف والانحلال.

ويقول المؤرخون: إن بداية الدعوة إلى ألوهية الحاكم كانت سنة ٤٠٨هـ[(٣)].

ومن أهم عقائدهم، ألوهية الحاكم كما ورد في مصحف الدروز ميثاق للدرزيين أن يقولوا:

«آمنت بالله، ربي الحاكم، العلي الأعلى، رب المشرقين، ورب المغربين، وإله الأصلين والفرعين، منشئ الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهوبالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهورب الرجعى، وله الأولى والآخرة، وهوالظاهر والباطن.

وآمنت بأولي العزم من الرسل، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها وبحاملي العرش الثمانية، وبجميع الحدود، وأؤمن عاملًا قائمًا بكل أمر ومنع ينزل من لدن

(١) انظر سمط النجوم العوالي ج٢ص٤١٤.

(٢) انظر طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص٧٥.

(٣) أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان، طائفة الدروز لمحمد كامل حسين.

مولانا الحاكم، وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي، ظاهرًا وباطنًا، علمًا وعملًا، وأن أجاهد في سبيل مولانا سرًا وجهرًا بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يميني، قولًا وعملًا، وأشهدت على هذا الإقرار جميع ما خلق بمشارقي ومات بمغاربي.

وقد التزمت وأوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي، وإني أقر بهذا غير مكره أومنافق، وإنني أشهد مولاي الحق الحاكم، من هوفي السماء إله وفي الأرض إله، وأشهد مولاي هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين، حمزة بن علي بن أحمد، من به أشرقت الشمس الأزلية، ونطقت فيه وله سحب الفضل: أنني قد برئت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والإعتقادات قديمها وحديثها، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحدًا في جميع أدواري»[1].

ومن عقائدهم: التناسخ والحلول:

كلما مات إنسان انتقلت روحه لمولود جديد[2].

كما أن من أهم عقائدهم الغيبة والرجعة، ويقولون بأن الحاكم بأمر الله غاب عن الأبصار، وسيرجع في آخر الزمان وسيحل عند الركن اليماني من الكعبة.

وغيره من العقائد المشتركة بينهم وبين الشيعة.

ولقد ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية، هؤلاء والنصيرية، في جواب سائل سأله:

«الدرزية هم أتباع هشتكين الدرزي، وكان من موالي الحاكم، أرسله إلى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة، فدعاهم إلى إلاهية الحاكم. ويسمونه الباري، العلام، ويحلفون به. وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبدالله. وهم أعظم كفرًا من الغالية. يقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته. وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب. وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطووأمثاله، أومجوسًا.

وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقًا. والله أعلم».

---

(١) مصحف الدروز: عرف العهد والميثاق ص١٠٧، ١٠٨.

(٢) الدروز والثورة السورية لكريم ثاقب ص٣٤.

فقال شيخ الإسلام ردًا عليه:

«كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك في كفرهم فهوكافر مثلهم. لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين. بل هم الكفرة الضالون، فلا يُباح أكل طعامهم، وُتسبى نساؤهم، وُتؤخذ أموالهم. فإنهم زنادقة مرتدين لا ُتقبل توبتهم، بل ُيقتلون أينما ُثقفوا، وُيلعنون كما وصفوا، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم، لئلا يضلوا غيرهم. وُيحرم النوم معهم في بيوتهم، ورفقتهم، والمشي معهم، وتشييع جنائزهم إذا علم موتها. ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم المقام عليه»[١].

فهذه هي الفرق التي افترقت وحدثت ونشأت بعد موت جعفر بن الباقر، وتفرقت آراؤهم، واختلفت أقوالهم مع اتفاقهم على توارث الأفكار السبئية.

فرق الشيعة أيام موسى الكاظم

ثم الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر أيضًا تفرقوا إلى فرق عديدة في حياته وبعد مماته. كما ذكر النوبختي الشيعي:

«ثم إن جماعة من المؤتمين بموسى بن جعفر لم يختلفوا في أمره، فثبتوا على إمامته إلى حبسه في المرة الثانية، ثم اختلفوا في أمره، فشكوا في إمامته عند حبسه في المرة الثانية التي مات فيها في حبس الرشيد، فصاروا خمس فرق» [٢].

وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة.

فالفرقة الأولى قالت:

أنه مات في حبس السندى بن شاهك، وأن يحيى بن خالد البرمكي سمّـه في رطب وعنب بعثهما إليه فقتله. وأن الإمام بعد موسى، علي بن موسى الرضا، فسميت هذه الفرقة القطعـية، لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى إمامة عليّ ابنه بعده، ولم

(١) فتاوي شيخ الإسلام ج ٣٥ ص١٦١،١٦٢.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص١٠٠.

تشك في أمرها ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأول.

وقالت الفرقة الثانية:

أن موسى بن جعفر لم يمت، وأنه حي ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملأها كلها عدلًا كما ملئت جورًا، وأنه القائم المهدي. وزعموا أنه خرج من الحبس، ولم يره أحد نهارًا ولم يعلم به. وأن السلطان وأصحابه ادعوا موته وموّهوا على الناس وكذبوا، وأنه غاب عن الناس واختفى. ورووا في ذلك روايات عن أبيه جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: «هو القائم المخبأ، فإن يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا، فإنه القائم»(١).

وسُميت هذه الفرقة بالموسوية لانتظارها موسى بن جعفر(٢).

كما تسمى المفضلية: لأنهم نسبوا إلى رئيس لهم يُقال له المفضل بن عمر، وكان ذا قدر فيهم(٣).

ويُقال لهم الممطورة: لأنهم لما أظهروا هذه المقالة، قال لهم قوم: والله ما أنتم إلا كلاب ممطورة، يعني أنهم من الكلاب المبتلة بالمطر، من غاية ركاكة هذه المقالة(٤).

ولأن الناس يطردونهم ويتحرزون منهم(٥).

وقد ذكرهم ابن حزم في الفصل(٦).

والفرقة الثانية قالت:

«أنه القائم وقد مات، ولا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر، وزعموا أنه قد رجع بعد موته، إلا أنه مختف في موضع من المواضع حي يأمر وينهى، وأن أصحابه يلقونه ويرونه. واعتلوا في ذلك بروايات عن أبيه أنه قال: سُمي القائم لأنه

---

(١) أيضًا ص١٠١.

(٢) الفرق بين الفرق ص٦٣.

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري ج١ص١٠١.

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥٤.

(٥) التبصير ص٤١.

(٦) ج٤ ص١٧٩.

يقوم بعد ما يموت»[(١)].

والفرقة الثالثة قالت:

«أنه مات وأنه القائم، وأن فيه شبهًا من عيسى بن مريم صلى الله عليه، وأنه لم يرجع ولكنه يرجع في وقت قيامه، فيملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورا، وأن أباه قال: إن فيه شبهًا من عيسى بن مريم، وأنه يُقتل في يدي ولد العباس، فقد قتل»[(٢)].

والرابعة قالت:

«لا ندري أهوحي أم ميّت،لأنا قد روينا فيه أخبارًا كثيرة تدل على أنه القائم المهدي، فلا يجوز تكذيبها، وقد ورد علينا من خبر وفاة أبيه وجده والماضين من آبائه عليهم السلام في معنى صحة الخبر. فهذا أيضًا مما لا يجوز ردّه وإنكاره لوضوحه وشهرته وتواتره من حيث لا يكذب مثله، ولا يجوز التواطؤ عليه، والموت حق والله عز وجلّ يفعل ما يشاء، فوقفنا عند ذلك على إطلاق موته وعلى الإقرار بحياته، ونحن مقيمون على إمامته لا نتجاوزها، حتى يصح لنا أمره وأمر هذا الذي نصب نفسه مكانه وادعى الإمامة - يعنون علي بن موسى الرضا - فإن صحت لنا إمامته كإمامة أبيه من قبله بالدلالات والعلامات الموجبة للإمامة بالإقرار منه على نفسه بإمامته وموت أبيه، لا بأخبار أصحابه سلمنا له ذلك وصدقناه»[(٣)].

ومثل ذلك ذكر الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[(٤)]. والأشعري في مقالات الإسلاميين[(٥)] والملطي في التنبيه[(٦)] والإسفرائيني في التبصير[(٧)] والبغدادي

---

(١) فرق الشيعة ص١٠١.
(٢) أيضًا ص١٠٢.
(٣) أيضًا ص١٠٣، ١٠٤.
(٤) ص٥٤.
(٥) ج١ ص٨٨.
(٦) ص٣٨.
(٧) ص٤٢.

في الفرق بين الفرق[١] والمفيد في الإرشاد[٢] والشهرستاني في الملل والنحل[٣].

وكانت هناك فرقة أخرى سادسة وهي: البشرية، ذكرها النوبختي بقوله:

(البشرية) أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد من أهل الكوفة، قالت:

«إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس، وإنه حي غائب، وإنه القائم المهدي، في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير، وجعله وصيه، وأعطاه خاتمه، وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته، وفوّض إليه أموره، وأقامه مقام نفسه. فمحمد بن بشير الإمام بعده، وأن محمد بن بشير لما توفي أوصى إلى ابنه سميع بن محمد بن بشير فهوالإمام، ومن أوصى إليه (سميع) فهوالإمام المفترض الطاعة على الأمة إلى وقت خروج موسى وظهوره، فما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به إلى الله عز وجلّ، فالفرض عليهم أداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم. وزعموا أن علي بن موسى، ومن ادعى الإمامة من ولد موسى بعده فغير طيب الولاده، ونفوهم عن أنسابهم، وكفروهم في دعواهم الإمامة، وكفروا القائلين بإمامتهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وزعموا أن الفرض من الله عليهم، إقامة الصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان. وأنكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض. وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان.واعتلوا في ذلك بقول الله عز وجل «أويزوجهم ذكرانًا وإناثا (٤٢-٥٠) وقالوا بالتناسخ، وأن الأئمة عندهم واحد، إنما هم منتقلون من بدن إلى بدن. والمساواة بينهم واجبة في كل ما ملكوه من مال، وكل شيئ أوصى به رجل منهم في سبيل الله فهولسميع بن محمد وأوصيائه من بعده»[٤].

ولقد ذكر محمد بن بشير هذا، الكشي في رجاله، بقوله:

«أن محمد بشير لما مضى أبوالحسن عليه السلام ووقف عليه الواقفة، جاء محمد بن بشير ـ وكان صاحب شعبذة ومخارق معروفًا بذلك ـ فادعى أنه يقول بالوقف على

(١) ص٦٣.

(٢) ص ٣٠٢.

(٣) ج ٢ ص٤،٣. الهامش.

(٤) فرق الشيعة ص١٠٤،١٠٥.

موسى بن جعفرعليه السلام هوكان ظاهرًا بين الخلق يرونه جميعًا، يتراءى لأهل النور بالنور، ولأهل الكدرة في مثل خلقهم بالإنسانية والبشرية اللحمانية. ثم حجب الخلق جميعًا عن إدراكه، وهوقائم فيهم موجود كما كان، غير أنهم محجوبون عن إدراكه كالذي كانوا يدركونه.

وكان محمد بن بشير هذا من أهل الكوفة، من موالي بني أسد وله أصحاب، قالوا: أن موسى بن جعفر لم يمت ولم يُحبس، وأنه غاب واستتر، وهوالقائم المهدي، وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمة محمد بن بشير، وجعله وصيه، وأعطاه خاتمه، وعلمه جميع ما تحتاج إليه رعيته في أمر دينهم ودنياهم، وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه، فمحمد بن بشيرالإمام بعده... وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.... وزعموا أن كل من انتسب إلي محمد فهم ثبوت وطروق، وأن محمدًا هورب حل في كل من انتسب إليه، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه محتجب في هذه الحجب.

وزعمت هذه الفرقة والمخسمة والعلياوية وأصحاب أبي الخطاب، أن كل من انتسب إلى أنه من آل محمد فهومبطل في نسبته، مفتر على الله كاذب. وأنهم الذين قال الله تعالى فيهم أنهم يهود ونصارى في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨] «محمد في مذهب الخطابية، و«علي» في مذهب العلياوية فهم ممن خلق.

هؤلاء كاذبون فيما ادعوا، إذ كان محمد عندهم وعلي هورب لا يلد ولا يولد ولا يُستولد، تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علوًا كبيرا.

وكان سبب مقتل محمد بن بشير لعنه الله لأنه كان معه شعبذة ومخاريق، فكان يظهر الواقفة أنه ممن وقف على علي بن موسى عليه السلام، وكان يقول في موسى بالربوبية، ويدعي لنفسه أنه نبي. وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصًا كأنه صورة أبي الحسن عليه السلام من ثياب حرير، وقد طلاها بالأدوية، وعالجها بحيل عملها فيها، حتى صارت شبه صورة إنسان. وكان يطويها، فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها، فكان يقول لأصحابه: إن أبا الحسن عليه السلام عندي، فإن أحببتم أن تروه

وتعلموا أني نبي، فهلموا أعرضه عليكم. وكان يدخلهم البيت والصورة المطوية معه، فيقول لهم: هل ترون في البيت مقيمًا أوترون غيري وغيركم؟ فيقول: فاخرجوا،فيخرجون من البيت، فيصير هووراء الستر بينه وبينهم، ثم يقدم تلك الصورة، ثم يرفع تلك الستر بينهم وبينه، فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبي الحسن، لا ينكرون منه شيئًا، و يقف هومعه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذة أنه يكلمه ويناجيه ويدنومنه كأنه يساره، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون، ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئًا.

وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها، فهلكوا بها.

فكانت هذه حاله مدة، حتى رُفع خبره إلى بعض الخلفاء ـ أحسبه هارون أوغيره ممن كان بعده من الخلفاء ـ أنه زنديق، فأخذه وأراد ضرب عنقه، فقال له: يا أمير المؤمنين، استبقني، فإني أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها، فأطلقه، فكان أول ما اتخذ له الدوالي، فإنه عمد إلى الدوالي فسواها وعلقها وجعل الزيبق بين تلك الألواح، فكانت الدوالي تمتلئ من الماء وتملي الألواح، وينقلب الزيبق من تلك الألواح فيتسع الدوالي لذلك، فكانت تعمل من غير مستعمل لها، وتصب الماء في البستان، فأعجبه ذلك مع أشياء عملها، يضاهي الله بها في خلقه الجنة، فقواه وجعل له مرتبة. ثم إنه يومًا من الأيام، إنكسرت بعض تلك الألواح، فخرج منها الزيبق، فتعطلت فاستراب أمره، وظهر عليه التعطيل والإباحات[(١)].

هذا وقد ادعى الإمامة في عهده آخران من بني عمومته، أحدهما حسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي، وأمه زينب بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي، فلقد ادعى الإمامة أيام أبي موسى الهادي العباسي حفيد أبي جعفر المنصور[(٢)].

وبايعه على إمامته يحيى وسليمان وإدريس بنوعبدالله بن الحسن بن الحسن،

---

(١) رجال الكشي ص٤٠٥،٤٠٦،٤٠٧.

(٢) انظر مروج الذهب والطبري وابن كثير وغيرها من الكتب.

وعبدالله الحسن الأفطس، وإبراهيم بن إسماعيل الطباطبا، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن الثاني المثنى، وعبدالله بن جعفر بن محمد، وعبدالله بن جعفر بن الباقر، وعبدالله وعمر ابنا إسحاق بن الحسن بن علي زين العابدين، وغيرهم[١] حتى قال الأصفهاني:

«ولم يتخلف عنه أحد من الطالبيين إلا الحسن بن جعفر بن حسن المثنى فإنه استعفاه ولم يكرهه.

وموسى بن جعفر بن محمد ـ الإمام السابع المزعوم عند الشيعة ـ قال عنيزة القصباني:

«رأيت موسى بن جعفر بعد عتمة، وقد جاء إلى الحسين صاحب فخ، فانكب عليه شبه الركوع، وقال: أحب أن تجعلني في سعة وحل من تخلفي معك، فأطرق الحسين طويلًا لا يجيبه، ثم رفع رأسه إليه، فقال: أنت في سعة»[٢].

وقد ذكر هذا الكليني في (كافيه) حيث قال:

«حدثنا عبدالله بن المفضل مولى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر إلى البيعة، فأتاه فقال له: ياابن عم لا تكلفني ما كلف إبن عمك أبا عبدالله، فيخرج مني ما لا أريد، كما خرج من أبي عبدالله مالم يكن يريد، فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمرًا فإن أردته دخلت فيه، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان»[٣].

والثاني الذي ادعى الإمامة أيامه، يحيى بن عبدالله بن الحسن المثنى. وقد ذكره الكليني أيضًا حيث قال:

«كتب إلى موسى بن جعفر يدعوه: خبرني من ورد عليّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحننك مع خذلانك.. وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من

---

(١) انظر مقاتل الطالبيين للأصفهاني الشيعي ص٤٤٦،٤٥٦.
(٢) أيضًا ص٤٤٧.
(٣) الأصول من الكافي ج١ ص٣٦٦.

قبلك، وقديمًا ادعيتم ماليس لكم، وبسطتم أعمالكم إلى ما لم يؤتكم الله، فاستهويتم وأضللتم، وأنا محذرك ماحذرك الله من نفسه. فكتب إليه أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام: من موسى بن جعفر... ذكرت أني ثبطت الناس عنك لرغبتي عما في يديك... وأحذرك معصية الخليفة[١] وأحثك على بره وطاعته، وأن تطلب لنفسك أمانًا قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروّح إلى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله، فيؤمّنك ويرحمك، ويحفظ فيك أرحام رسول الله، والسلام على من اتبع الهدى»[٢].

فهذه هي الفرق الشيعية أيام موسى وبعده، وهذه هي عقائدهم وأفكارهم المثبتة من كتب الشيعة والسنة أيضًا، والذي قيل:

«حمله الرشيد من المدينة وقد قدم إليها منصرفًا من العمرة. ثم شخص هارون للحج وحمله معه، ثم انصرف على طريق البصرة، فحبسه عند السندي بن شاهك، فتوفي في حبسه ببغداد لخمس ليال بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وهوابن خمس أوأربع وخمسين سنة، ودفن في مقابر قريش»[٣].

الشيعة أيام علي بن موسى الملقب بالرضا

وحصل الاختلاف في الشيعة الذين اجتمعوا حول علي بن موسى الرضا ختن المأمون على ابنته بعد وفاته.

ففرقة قالت بأن الإمام بعده أخوه أحمد بن موسى بن جعفر:

«أوصى إليه وإلى الرضا عليه السلام وأجازوها في أخوين، فهي المؤلفة، فقطعوا على إمامة علي بن موسى.

---

(١) انظر إلى الصدق كيف يتطلع وحتى من الكذابين، إمام معصوم للشيعة يمنع الناس عن معصية الخليفة العباسي والخروج عليه، فهل هناك شك بأنه لم يكن أولاد علي يدعون في أنفسهم ما ينسب إليهم هؤلاء القوم.

(٢) الأصول من الكافي ج١ ص٣٦٧.

(٣) فرق الشيعة ص١٠٥ - ١٠٦.

وفرقة منهم تسمى المحدثة، كانوا من أهل الإرجاء وأصحاب الحديث، فدخلوا في القوم بإمامة موسى بن جعفر، وبعده بإمامة علي بن موسى، وصاروا شيعة رغبة في الدنيا وتصنعًا، فلما توفي علي بن موسى عليه السلام رجعوا إلى ما كانوا عليه.

وفرقة كانت من الزيدية الأقوياء منهم والبصراء، فدخلوا في إمامة علي بن موسى عليه السلام عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته تصنعًا للدنيا واستكانوا الناس بذلك دهرًا، فلما توفي علي بن موسى عليه السلام رجعوا إلى قومهم من الزيدية»[1]

وفرقة أخرى قالت:

إن الإمامة بعد علي بن موسى عليه السلام لابنه محمد بن علي عليه السلام، ولم يكن لغيره[2].

وكانت هناك فرق أخرى غير هذه الفرق اتبعت فريقًا من الطالبيين الذين ادعوا الإمامة في أيام الرضا ودعوا الناس إليهم، فمنهم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهوالمعروف بابن طباطبا.

ومحمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي.

ومحمد بن جعفر عم علي الرضا.

وإبراهيم بن موسى بن جعفر أخوعلي الرضا.

وحسين بن الحسن بن علي بن علي زيد العابدين وغيرهم.

وقد ذكرهم جميعًا ودعوتهم الناس إليهم وخروجهم على المأمون وتسلطهم على بعض المدن والمناطق ومعاركهم مع عساكر العباسيين من الشيعة، الأصفهاني في مقاتل الطالبيين[3]، والمسعودي في كتابه مروج الذهب. ولقد نقل عنه خروج هؤلاء العلويين وادعاءهم الإمامة بإيجاز واختصار، فيقول:

وفي سنة تسعة وتسعين ومائة خرج أبوالسرايا السرى بن منصور الشيباني بالعراق،

---

(١) أيضًا ص١٠٧.

(٢) أيضًا ص ١٠٦.

(٣) ص٥١٣ وما بعد.

واشتد أمره، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، وهوابن طباطبا ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله، ووثب بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليهم السلام، وزيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فغلبوا على البصرة.

وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذين كان يدعوا إليه أبوالسرايا، وأقام أبوالسرايا مكانه محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي.

وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم إبن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله، وذلك في سنة مائتين، ودعا لنفسه، وإليه دعت السبطية من فرق الشيعة، وقالت بإمامته. وقد افترقوا فرقًا: فمنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الإمامية.

وقد ذكرنا في كتاب «المقالات في أصول الديانات» وفي كتاب «أخبار الزمان» من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبيين، وقيل: إن محمد بن جعفر هذا دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه إلى محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا، فلما مات إبن طباطبا، وهومحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه، وتسمى بأمير المؤمنين، وليس في آل محمد ممن ظهر لإقامة الحق ممن سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمير المؤمنين غير محمد بن جعفر هذا، وكان يُسمى بالديباجة، لحسنه وبهائه... وظهر في أيام المأمون أيضًا بالمدينة، الحسين بن الحسن ابن علي بن علي بن الحسين بن علي، وهوالمعروف بابن الأفطس. وقيل: أنه دعا في بدء أمره إلى ابن طباطبا، فلما مات ابن طباطبا، دعا إلى نفسه والقول بإمامته، وسار إلى مكة، فأتى الناس وهم بمنى، وعلى الحجاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي، فهرب داود، ومضى الناس إلى عرفة، ودفعوا إلى مزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس. وقد كان ابن الأفطس وافى

الموقف بالليل. ثم صار إلى المزدلفة والناس بغير إمام فصلى بالناس، ثم مضى إلى منى، فنحر ودخل مكة، وجرد البيت مما عليه من الكسوة إلا القباطي البيض فقط[١].

والجدير بالذكر أن علي بن موسى هوالذي جعل المأمون العباسي فيه ولاية العهد بعده.

«وأمر المأمون الحسن بن سهل والفضل بن سهل وزيريه أن يعرضا ذلك عليه، فامتنع منه، فلم يزالا به حتى أجاب، ورجعا إلى المأمون فعرفاه إجابته. فسر بذلك وجلس للخاصة في يوم خميس، وخرج الفضل بن سهل فأعلم برأي المأمون في علي بن موسى عليه السلام، وأنه قد ولاه عهده، وسماه الرضا. وأمرهم بلبس الخضرة، والعود لبيعته في الخميس الآخر، على أن يأخذوا رزق سنة. فلما كان اليوم، ركب الناس على طبقاتهم من القواد والحجاب والقضاة وغيرهم في الخضرة. وجلس المأمون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين، حتى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس الرضا عليه السلام عليهما في الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثم أمر إبنه العباس بن المأمون أن يبايع له أول الناس... فبايعه الناس ووضعت البذر، وقام الخطباء والشعراء، فجعلوا يذكرون فضل الرضا عليه السلام، وما كان عليه من أمره.. ثم قال المأمون للرضا عليه السلام: اخطب الناس وتكلم فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن لنا عليكم حقًا برسول الله، ولكم علينا حقا به، فإذا أنتم أديتم إلينا ذلك، وجب علينا الحق لكم. ولم يُذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس.

وأمر المأمون، فضربت له الدراهم، وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام، وزوج إسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمه إسحاق بن جعفر بن محمد، وأمره فحج بالناس، وخطب للرضا عليه السلام في كل بلد بولاية العهد»[٢].

ولكنه مات قبل أن ينال الخلافة في حياة المأمون.

«ولما توفي الرضا عليه السلام، كتم المأمون موته يومًا وليلة، ثم أنفذ إلى محمد بن

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٤٣٩، ٤٤٠.

(٢) الإرشاد للمفيد ص ٣١٠، ٣١١، أعلام الورى للطبرسي ص٣٣٤.

جعفر الصادق عليه السلام وجماعة من آل أبي طالب الذين كانوا عنده، فلما حضروه، نعاه إليهم وبكى، وأظهر حزنًا شديدًا وتوجعًا، وأراهم إياه صحيح الجسد، قال: يعـزعليّ يا أخي أن أراك في هذه الحال، قد كنت أؤمل أن أقدم قبلك، فأبى الله إلا ما أراد. ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه، وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى إلى الموضع الذي هومدفون الآن فدفنه. والموضع دار حميد بن قحطبة، في قرية يُـقال لها سناباد، على قربة من نوقان بأرض طوس، وفيها قبر هارون الرشيد وقبر أبي الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته.

ومضى الرضا علي بن موسى عليهما السلام، ولم يترك ولدًا نعلمه إلا الإمام من بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام، وكانت سنه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهرًا»[1].

وكان ذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين، وله يومئذ خمسة وخمسون سنة، وأمه أم ولد يُـقال لها أم البنين.

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٣٠٤، أعلام الورى للطبرسي ص٣١٣، عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٤٧، كشف الغمة ج٣ ص٧٢، جلاء العيون ج٢ص٧٣٩، منتهى الآمال ص١٠٤٩.

الشيعة أيام محمد بن علي
الملقب بالجواد أوالتقي

ولقد حصل الإختلاف الشديد بين الشيعة في إمامة محمد بن علي لأنه لم يكن بلغ الحلم عند وفاة أبيه، ولذلك اختلف الشيعة في إمامته وتفرقوا عنه كما مر، وقالوا:

«لا يجوز الإمام إلا بالغًا، ولوجاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ، لجاز أن يكلف الله غير بالغ، فكما لا يعقل أن يحتمل التكليف غير بالغ، فكذلك لا يفهم القضاء بين الناس ودقيقه وجليله وغامض الأحكام وشرائع الدين وجميع ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ، ولوجاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجة، لجاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجتين وثلاثًا وأربعًا راجعًا إلى الطفولية. حتى يجوز أن يفهم ذلك من طفل في المهد والخرق، وذلك غير معقول ولا مفهوم ولا متعارف.

ثم إن الذين قالوا بإمامه أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام اختفلوا في كمية علمه لحداثة سنه ضروبًا من الإختلاف. فقال بعضهم لبعض: الإمام لا يكون إلا عالمًا، وأبوجعفر غير بالغ وأبوه قد توفي، فكيف علم؟ ومن أين علم؟ فأجابوه:

فقال بعضهم: لا يجوز أن يكون علمه من قبل أبيه، لأن أباه حمل إلى خراسان وأبوجعفر ابن أربع سنين وأشهر، ومن كان في هذه السن فليس في حد من يستفرغ تعليم معرفة دقيق الدين وجليله، ولكن الله عز وجل علمه ذلك عند البلوغ بضروب مما يدل على جهات علم الإمام، مثل الإلهام والنكت في القلب والنقر في الأذن والرؤيا الصادقة في النوم والملك المحدث له ووجوه رفع المنار والعمود والمصباح وعرض الأعمال، لأن ذلك كله قد صحت الأخبار الصحيحة القوية الأسانيد فيه التي لا يجوز دفعها ولا رد مثلها.

وقال بعضهم: قبل البلوغ هوإمام، على معنى أن الأمر له دون غيره إلى وقت البلوغ، فإذا بلغ علم، لا من جهة الإلهام والنكت ولا الملك ولا لشيئ من الوجوه التي ذكرتها الفرقة، لأن الوحي منقطع بعد النبي صلى الله عليه وآله بإجماع الأمة، ولأن

الإلهام إنما هو أن يلحقك عند الخاطر والفكر معرفة بشيء قد كانت تقدمت معرفتك به من الأمور النافعة فذكرته، وذلك لا يعلم به الأحكام وشرائع الدين على كثرة إختلافها وعللها قبل أن يوقف بالسمع منها على شيء، لأن أصح الناس فكرًا وأوضحه خاطرًا وعقلًا وأحضره توفيقًا، لوفكر وهولا يسمع بأن الظهر أربع والمغرب ثلاث، والغداة ركعتان، مااستخرج ذلك بفكره، ولا عرفه بنظره، ولا استدل عليه بكمال عقله، ولا أدرك ذلك بحضور توفيقه، ولا لحقه علم ذلك من جهة التوفيق أبدًا. ولا يعقل أن يعلم إلا بالتوقيف والتعليم، فقد بطل أن يعلم شيئًا من ذلك بالإلهام والتوفيق.

لكن نقول: أنه علم ذلك عند البلوغ من كتب أبيه، وما ورثه من العلم فيها، وما رسم له من الأصول والفروع.

وبعض هذه الفرقة تجيز القياس في الأحكام للإمام، خاصة على الأصول التي في يديه، لأنه معصوم من الخطأ والزلل، فلا يخطئ في القياس، وإنما صاروا إلى هذه المقالة لضيق الأمر عليهم في علم الإمام وكيفية تعليمه، إذ هوليس ببالغ عندهم.

وقال بعضهم: الإمام يكون غير بالغ ولوقلت سنه، لأنه حجة الله، فقد يجوز أن يعلم وإن كان صبيًا، ويجوز عليه الأسباب التي ذكرت من الألهام والنكت والرؤيا والملك المحدث ورفع المنار والعمود وعرض الأعمال، كل ذلك جائز عليه وفيه، كما جاز ذلك عن سلفه من حجج الله الماضين. واعتلوا في ذلك بيحيى بن زكريا، وأن الله آتاه الحكم صبيا، وبأسباب عيسى بن مريم، وبحكم الصبي بين يوسف بن يعقوب وامرأة الملك، وبعلم سليمان بن داود حكمًا من غير تعليم، وغير ذلك، فإنه قد كان في حجج الله ممن كان غير بالغ عند الناس[(١)].

وولد محمد بن علي هذا سنة خمس وتسعين ومائة بالمدينة، وقبض ببغداد سنة عشرين ومائتين، وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وأمه أم ولد، يُقال لها سميكة،

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٠، ١١١، ١١٢.

وكانت نوبية[١].

وكان متزوجًا من ابنة المأمون أم الفضل.

«فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن علي بن موسى والأخرى تحت أبيه علي بن موسى»[٢]

وفي أيامه ادعى الإمامة واحد من الحسينيين، وهومحمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٣].

«وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس، ثم حمله عبدالله بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه في أزج اتخذه في بستان بسر من رأى.

وقد تُنوزع في محمد بن القاسم، فمن قائل يقول: أنه قتل بالسم، ومنهم من يقول: أن أناسًا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان، فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة، واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية، ونقبوا الأزج، وأخرجوه فذهبوا به، فلم يُعرف له خبر إلى هذه الغاية.

وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت — وهوسنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدًا لم يمت، وأنه حي يُرزق، وأنه يخرج فيملؤها عدلًا كما مُلئت جورا، وأنه مهدي هذه الأمة. وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان»[٤].

---

(١) الإرشاد للمفيد ص ٣١٦، أعلام الورى ص ٣٤٤، ٣٤٥، مروج الذهب ج٣ ص ٤٦٤.

(٢) مروج الذهب ج ٣ص ٤٤١.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٧٧، أيضًا الطبري وابن الأثير وغيرهما.

(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٥.

الشيعة في أيام علي بن محمد
المكنى بأبي الحسن والملقب بالهادي أوالنقي

ولما مات محمد بن علي، خلف ابنيه عليًا وموسى، وكان الأكبر منهما لا يتجاوز الثامنة من عمره حسب قول الشيعة. وكانا من الصغر بمكان حتى «أوصى أبوهما على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق إلى عبدالله بن المساور إلى أن يبلغا[1] الحلم»[2].

فاختلف الشيعة في أمرهما، فقوم قالوا بإمامة علي بن محمد، وقوم ذهبوا إلى إمامة أخيه موسى بن محمد[3].

النصيرية

وفي حياة علي بن محمد الهادي المكنى بأبي الحسن، ظهرت من الشيعة فرق أخرى، قالت:

بنبوة رجل يُقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدعي أنه نبي بعثه أبوالحسن العسكري عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ والغلوفي أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضًا في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئًا من ذلك. وكان يقوي أسباب هذا النميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات. فلما توفي قيل له في علته وقد اعتقل لسانه: لمن هذا الأمر من بعدك؟

فقال: لأحمد.

فلم يدروا من هو، فافترقوا ثلاث فرق.

---

(١) ولا ندري كيف يعتمد على صبي في أمور الدين من لم يعتمد عليه أبوه - وهوإمام معصوم عند الشيعة - في أمر دنياه.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٢٥.

(٣) انظر فرق الشيعة ص ١١٣.

فرقة قالت: أنه (أحمد) ابنه، وفرقة قالت: هوأحمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وفرقة قالت: أحمد بن أبي الحسين محمد بن محمد بن بشير بن زيد.

فتفرقوا، فلا يرجعون إلى شيئ.

وادعى هؤلاء النبوة عن أبي محمد فسمت النميرية أوالنصيرية(١).

ولقد ذكر الشهرستاني النصيرية في ملله، وذكر مذهبهم أنهم يقولون:

«إن الله قد ظهر بصورة أشخاص، ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون هم خير البريّة، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم، وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره، لأنه كان مخصوصًا بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي صلى الله عليه وسلم، أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقتال المنافقين إلى علي، وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم، وقال: ولولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم وإلا لقلت فيك مقالًا. وربما أثبتوا له شركة في الرسالة، إذ قال: فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله ألا وهوخاصف النعل، فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من أدل الدليل على أن فيه جزء آلهيًا وقوة ربانية. أوأن يكون هوالذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيده، وأمر بلسانه. وعن هذا قالوا كان هوموجود قبل خلق السموات والأرض. قال كنا أظلة على يمين العرش، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الأظلال هي حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقًا لا ينفصل عنها، سواء كانت في هذا العالم أوفي ذلك العالم. وعن هذا قال أنا أحمد، الضوء من الضوء، يعني لا فرق بين النورين، إلا أن أحدهما أسبق والثاني لا حق به. قال له وهذا يدل على نوع شركة.

فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الآلهي.

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٥، ١١٦.

والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة(١).

وذكر الرازي أن هذه الطائفة موجودة في حلب ونواحي الشام إلى يومنا هذا(٢).

ونحن نقول: إنها موجودة حتى اليوم في سوريا وتركيا، ويُعرفون بالعلويين.

وأما النصيرية فيقولون: إن محمد بن النصير النميري لم يدّعِ النبوة، بل إنه كان بابًا للإمام الحادي عشر الحسن العسكري(٣).

ويقولون: أنه كان ينافسه رجل اسمه أبويعقوب اسحاق بن محمد النخعي، فادعى هوالثاني هوالباب للحسن العسكري.

فالحاصل أن هؤلاء الذين يقولون ويصرحون بألوهية علي، وكان رسول الله هورسوله هو. كما يقولون:

إن عليـا أرسل جابر بن يزيد الجعفي في قضاء غرض له، فلما أن وصل إلى الوضع المقصود، رأى علي بن أبي طالب جالسًا على كرسي من نور، والسيد محمد (يعني سيدنا محمدًا) عن يمينه، والسيد سلمان (يعني الصحابي الجليل سلمان الفارسي) عن شماله، ثم التفت جابر إلى ورائه فرآه هكذا. ثم التفت عن يمينه فرآه هكذا. ثم نظر إلى السماء فرآه في السماء والملائكة حوله يسبحون بحمده ويسجدون له»(٤).

وقد دوّنوا لهم قرآنًا مستقلًا، ومنها هذه الآيات:

«ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.. أشهد عليّ أيها الحجاب العظيم، أشهد عليّ أيها الباب الكريم، أشهد عليّ يا سيدي المقداد اليمين، أشهد يا عليّ أبوالدر الشمال... بأن ليس إلهًا إلا عليّ بن أبي طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام، ولا رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصبي الذي شرع

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٥- ٢٦.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٦١.

(٣) تاريخ العلويين للطويل ص٢٠٢.

(٤) الباكورة السليمانية ص٨٧.

الأديان في سائر البلدان. أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكلية، وهي الظاهرة بالنورانية، وليس إله سواها، وهي علي بن أبي طالب. وأنه لم يُحاط ولم يُحصر ولم يُدرك ولم يُبصر.

أشهد بأني نصيري الدين، جندبي الرأي، جنبلاني الطريقة، خصيبي المذهب، جليّ المقال، ميموني الفقه، وافر الرجعة البيضاء والكرة الزهراء وفي كشف الغطاء وجلاء العماء وإظهار ما كتم وإجلاء ما خفي، وظهور علي بن أبي طالب من عين الشمس قابض على كل نفس، الأسد من تحته، وذوالفقار بيده، والملائكة خلفه، والسيد سلمان بين يديه، والماء ينبع من بين قدميه، والسيد محمد ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه. هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه. اشهدوا علي يا أسيادي، أن هذا ديني واعتقادي، وعليه اعتمادي، وبه أحيا وعليه أموت، وعلي بن أبي طالب حي لا يموت، بيده القدرة والجبروت. إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا علينا من ذكرهم السلام»[١].

وغير ذلك من الخرافات.

«وتوفي علي بن محمد هذا بسرّ من رأى في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين. وولد سنة اثنتي عشرة ومائتين. وكان المتوكل قد أشخصه مع يحيى بن أكثم إلى سرّ من رأى، فأقام بها وأمه»[٢].

هذا ولقد ادعى في أيامه كثير من العلويين الإمامة، وبايعهم خلق من الشيعة ومن أهل بيت علي رضي الله عنه. منهم يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي زين العابدين[٣].

فاستولى على الكوفة وما حولها، ولما قتل أيام المستعين العباسي، رثاه كثير من الشعراء حتى قال الأصفهاني:

---

(١) الباكورة السليمانة ص٢٦.

(٢) الإرشاد ص ٣٢٧، أعلام الورى للطبرسي ص ٣٥٥، كشف الغمة ج ٣ ص ١٦٦، جلاء العيون ج٢ ص ٧٥٤.

(٣) مقاتل الطالبيين للأصفهاني ص ٦٣٩، مروج الذهب ج ٤ ص ٦٣.

«وما بلغني أن أحدًا ممن قتل في الدولة العباسية من آل أبي طالب رثي بأكثر مما رثي به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه»(١).

ووافق على ذلك ابن الأثير في تاريخه الكامل(٢).

وكذلك ادعى الإمامة حسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن المثنى.

ظهر في بلاد طهرستان، وغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد(٣).

وكذلك حسين بن محمد بن حمزة بن عبيد الله بن الحسين بن علي سنة إحدى وخمسين ومائتين(٤).

الشيعة في أيام الحسن بن علي العسكري

ولما توفي أبوالحسن بن علي الهادي، افترقت الشيعة إلى فرق عديدة.

«ففرقة قالت بإمامة ابنه محمد، وقد كان توفي في حياة أبيه بسرّ من رأى، وزعموا أنه حي لم يمت، واعتلوا في ذلك بأن أباه أشار إليه وأعلمهم أنه الإمام من بعده، والإمام لا يجوز عليه الكذب، ولا يجوز البداء فيه، فهووإن كانت ظهرت وفاته لم يمت في الحقيقة، ولكن أباه خاف عليه فغيبه، وهوالقائم المهدي. وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب إسماعيل بن جعفر»(٥).

والجدير بالذكر أن محمدًا هذا وهوالمكنى بأبي جعفر كان وصي أبيه والخليفة بعده حسب تصريحات الشيعة، ولكنه مات قبل أن تصل إليه الإمامة وخلافة أبيه، فشك القوم في أمره وإمامة أبيه، فقال أبوه علي الهادي المكنى بأبي الحسن:

«بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام مالم يكن يعرف له، كما بدا في

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٤٦٥، وبمثل ذلك في مروج الذهب ج ٤ ص ٦٤.

(٢) ج ٥ ص٣١٥.

(٣) مروج الذهب ج ٤ ص ٦٨.

(٤) أيضًا ص ٦٩، ومقاتل الطالبيين للأصفهاني ص ٦٦٥.

(٥) فرق الشيعة ص١١٦، ١١٧.

موسى بعد مضي إسماعيل ماكشف عن حاله، وهوكما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون، وأبومحمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة»(١)

وفرقة قالت بإمامة جعفر بن علي - وهوالملقب بجعفر الكذاب عند الشيعة - وقالوا:

«أوصى إليه أبوه بعد مضي محمد، وأوجب إمامته وأظهر أمره، وأنكروا إمامة محمد أخيه، وقالوا: إنما فعل ذلك أبوه اتفاقًا عليه ودفاعًا عنه، وكان الإمام في الحقيقة جعفر بن علي»(٢).

وفرقة قالت بإمامة الحسن العسكري ابن علي، وكان يكنى بأبي محمد(٣).

وقال المفيد:

«وكان الإمام بعد أبي جعفر عليه السلام ابنه أبوالحسن علي بن محمد عليه السلام لاجتماع خصال الإمامة فيه وتكامل فضله، وإنه لا وارث لمقام أبيه سواه، وثبوت النص عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة»(٤).

وتوفي يوم الجمعة سنة ستين ومائتين، وكان مولده بالمدينة في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي وثلاثين ومائتين، ودفن في داره بسرّ من رأى، في البيت الذي دفن فيه أبوه، وأمه أم ولد يقال لها حديثة(٥).

وعمره يومئذ ثماني وعشرون سنة.

وقال النوبختي:

يقال: لأمه أصفان، وقيل: سليل، وقيل غير ذلك.

وصلى عليه أبوعيسى بن المتوكل. وكانت في سني أمامته بقية ملك المعتز أشهرا، ثم ملك المهتدي أحد عشر شهرًا وثمانية وعشرين يومًا، ثم ملك أحمد المعتمد على الله

(١) الأصول من الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد ج١ ص ٣٢٧.
(٢) النوبختي ص١١٧، ١١٨.
(٣) أيضًا ص١١٧.
(٤) الإرشاد ص ٣٢٧.
(٥) أيضًا ص ٣٣٥.

بن جعفر المتوكل عشرين سنة وأحد عشر شهرًا[١].

وفي أيامه ادعى كثير من العلويين الإمامة، منهم علي بن زيد بن الحسين العلوي[٢].

وكذلك الكثيرون الذين ذكرهم الأصفهاني في مقاتل الطالبيين والمسعودي في مروج الذهب، وأما من السنة فذكرهم جميع المؤرخين.

الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري

مات الحسن العسكري بدون خلف ولا عقب كما نص على ذلك النوبختي: «توفى ولم يُر له أثر، ولم يُعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمه»[٣].

فأوجد موته خلافًا شديدًا في شيعته، لأن التشيّع بعد تطوره يوجب على مدعي الإمامة أن يكون بعده عقب، وكذلك أن يكون عليه نص من الذي قبله، وهوالذي يقوم بتجهيزه وتكفينه، فكيف وهنا لا يُرى له أثر، فالتجؤوا لتأويل ذلك إلى سخافات عديدة. كل قوم حسب أهوائهم ومزاعمهم يهوون.

فقال النوبختي:

«فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة.

ففرقة قالت:

أن الحسن بن علي حي لم يمت، وإنما هوغائب وهوالقائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر، لأن الأرض لا تخلومن إمام..

وقالت الفرقة الثانية:

أن الحسن بن علي مات وعاش بعد موته، وهوالقائم المهدي، لأننا روينا أن معنى القائم، هوأن يقوم بعد الموت، ويقوم ولا ولد له، لأن الإمامة كانت تثبت لولده، ولا أوصى إلى أحد، فلا شك أنه القائم..

وقالت الفرقة الثالثة:

---

(١) أعلام الورى ص ٣٦٧.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٦٧٥، مروج الذهب ج٣ ص٩٤.

(٣) الشيعة للنوبختي ص ١١٨، ١١٩.

أن الحسن بن علي توفي، والإمام بعده أخوه جعفر وإليه أوصى الحسن.. فلما قيل له أن الحسن وجعفر ما زالا متهاجرين متصارمين متعادين طول زمانهما، وقد وقفتم على صنائع جعفر وسوء معاشرته له في حياته، ولهم من بعد وفاته في اقتسام مواريثه. قالوا: إنما ذلك بينهما في الظاهر، وأما في الباطن فكانا متراضيين متصافيين لا خلاف بينهما...

وممن قوى إمامة جعفر وأمال الناس إليه، علي بن الطاهر الخراز، وكان متكلمًا محجاجًا، وأعانته على ذلك أخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني.

وقالت الفرقة الرابعة:

أن الإمام بعد الحسن جعفر، وأن الإمامة صارت إليه من قبل أبيه، لا من قبل الحسن، وأن الحسن كان مدعيًا باطلًا،لأن الإمام لا يموت حتى يوصي ويكون له خلف. والحسن قد توفي ولا وصية له ولا ولد، والإمام لا يكون من لا خلف له ظاهر معروف مشار إليه، كما لا يجوز أن تكون الأمامة في الأخوين بعد الحسن والحسين كما نص عليه جعفر.

وأما الفرقة الخامسة: فإنها رجعت إلى القول بإمامة محمد بن علي أخي الحسن المتوفى في حياة أبيه، وأما الحسن وجعفر فإنهما ادعيا ما لم يكن لهما، لأن جعفر فيه خصال مذمومة وهوبها مشهور. ظاهر الفسق وغير صائن نفسه، معلن بالمعاصي. ومثل هذا لا يصلح للشهادة على درهم، فكيف يصلح لمقام النبي صلى الله عليه وآله؟

وأما الحسن فلقد توفي ولا عقب له.

وقالت الفرقة السادسة:

أن للحسن بن علي ابنًا سماه محمدًا، وولد قبل وفاته بسنين، وزعموا أنه مستور، لا يُرى خائف من جعفر.

وقالت الفرقة السابعة:

بل ولد بعد وفاته بثمانية أشهر، وأن الذين ادعوا له ولدًا في حياته كاذبون مبطلون في دعواهم، لأن ذلك لوكان لم يخف غيره، ولكنه مضى ولم يُعرف له ولد. ولا يجوز أن يخفي ذلك وقد كان الحبل فيما مضى قائمًا ظاهرًا ثابتًا عند السلطان وعند سائر الناس،

وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك حتى بطل ذلك عند السلطان وخفى أمره، فقد ولد له إبن بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر، وقد كان أمر أن يُسمى محمدًا، وأوصى بذلك، وهومستور لا يُرى.

وقالت الفرقة الثامنة:

أنه لا ولد لحسن أصلًا، لانا قد أمتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه، فلم نجده، ولوجاز لنا أن نقول في مثل الحسن وقد توفي ولا ولد له أن له ولد، لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت من غير خلف، ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يُقال خلف ابنًا نبيًا رسولا. وكذلك في عبدالله بن جعفر بن محمد أنه خلف ابنا، وأن أبا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير أبي جعفر أحدهم الإمام، لأن مجيئ الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجيئ الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكرًا من صلبه، ولا خلف عبدالله بن جعفر ابنًا، ولا كان للرضا أربعة بنين. فالولد قد بطل لا محالة، ولكن هناك حبل قائم قد صح في سرية له وستلد ذكرًا إمامًا متى ما ولدت، فإنه لا يجوز أن يمضي الإمام ولا خلف له، فتبطل الإمامة وتخلوالأرض من الحجة.

واحتج أصحاب الولد على هؤلاء فقالوا: أنكرتم علينا أمرًا قلتم بمثله، ثم لم تقنعوا بذلك حتى أضفتم إليه ما تنكره العقول، قلتم أن هناك حبلًا قائمًا، فإن كنتم اجتهدتم في طلب الولد فلم تجدوه فأنكرتموه لذلك، فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم، واجتهدنا فيه أشد من اجتهادكم، فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده، فنحن في الولد أصدق منكم. لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف، أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف في الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه، والأمر الذي ادعيتموه منكر وشنيع، ينكره عقل كل عاقل، ويدفعه التعارف والعادة، مع مافيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون أكثر من تسعة أشهر، وقد مضى للحبل الذي ادعيتموه سنون، وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بيّـنة.

وقالت الفرقة التاسعة:

أن حسن بن علي قد صحت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليه السلام. فكما صحت وفاتهم بالخبر الذي لا يكذب مثله، كذلك صح أنه لا إمام بعد الحسن....والأرض اليوم بلا حجة إلا أن يشاء الله، فيبعث القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله، فيحيي الأرض بعد موتها، كما بعث محمد صلى الله عليه وآله حين فترة من الرسل.

وقالت الفرقة العاشرة:

أن أبا جعفر محمد بن علي كان الميت في حياة أبيه، وهوالذي كان الإمام بوصية من أبيه، ثم أوصى هوإلى غلام له صغير كان في خدمته يُقال له نفيس، ثم بعد موته نقل هذا الغلام الوصية إلى جعفر.

وقالت الفرقة الحادية عشرة:

قد اشتبه علينا الأمر، ولا ندري من هوالإمام، وأن الأرض لا تخلومن حجة فنتوقف ولا نقدم على شيئ حتى يصح لنا الأمر ويتبين.

وقالت الفرقة الثانية عشرة:

ليس القول كما قال هؤلاء، بل لا يجوز أن تخلوالأرض من حجة، ولوخلت لساخت الأرض ومن عليها.، وأما هوخائف مستور بستر الله لا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه، وليس علينا البحث عن أمره، بل البحث عن ذلك وطلبه حرام.

وقالت الفرقة الثالثة عشرة:

أن الحسن بن علي توفي، وأنه كان الإمام بعد أبيه، وأن جعفر بن علي الإمام بعده، كما كان موسى بن جعفر إمامًا بعد عبدالله بن جعفر، للخبر الذي روى أن الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى. وأن الخبر الذي روى عن الصادق عليه السلام، أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره، وإنما ذلك إذا كان للماضي خلف من صلبه، فإنه لا تخرج منه إلى أخيه، بل تثبت في خلفه. وإذا توفي ولا خلف له، رجعت إلى أخيه ضرورة، لأن هذا معنى الحديث عندهم. وكذلك قالوا في الحديث الذي روى أن الإمام لا يغسله إلا إمام، وأن هذا

عندهم صحيح لا يجوز غيره. وأقروا أن جعفر بن محمد عليهما السلام غسله موسى، وادعوا أن عبدالله أمره بذلك، لأنه كان الإمام بعده، وإن جاز أن لا يُغسله لأنه إمام صامت في حضرة عبدالله.

فهؤلاء الفطحية الخلص الذين يجيزون الإمامة في أخوين، إذا لم يكن الأكبر منهما خلف ولدا. والإمام عندهم جعفر بن علي، على هذا التأويل ضرورة.

وأما الفرقة الرابعة عشرة فقالت:

إن الإمام بعده ابنه محمد، وهوالمنتظر، غير أنه مات، وسيجيء ويقوم بالسيف، وسيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا[١].

فهذه هي الفرق المشهورة للشيعة، ذكرناها من كتب القوم أنفسهم، مع سرد الروايات والعبارات من كتب السنة أيضًا تأييدًا وتوثيقًا، لا أصلًا واستدلالًا.

غير أن هنالك فرقًا شيعية أخرى، ذكرها أصحاب الفرق من السنة من البيانية والجناحية والرزامية والمقنعية والحلمانية والخلاجية والأزافرة وغيرهم، لم نذكرها لانقراضها، ولعدم ورود ذكرها في كتب الشيعة، وكي لا يقول قائل:

يعلم الله أن هذه الأسماء كلها لم نسمع بها ولم نرها في كتب الشيعة، وما هي إلا مختلقة لا يُقصد من ذكرها غير التشنيع والتهجين. وهي أسماء بلا مسميات، ولم يذكرها أحد من المؤرخين، ولا نقلها من كتب في الملل والشيعة كالشيخ أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أهل القرن الرابع في كتاب الفرق والمقالات المتكفل بذكر فرق الشيعة وغيره[٢].

وبقيت هناك فرق أخرى، ألا وهي:

الاثنا عشر أوالجعفرية الإمامة، فإنها ذكرت ضمن الأربع عشرة فرقة التي افترقت بعد موت الحسن العسكري، ولكن لما لها من أهمية، وإن هذا السرد الطويل لم يكن إلا لأجلها، لأنه عند إطلاق لفظ الشيعة لا يتبادر إلى الذهن الآن إلا هذه الفرقة.

(١) ملخصًا فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٩ وما بعد.

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن أمين القسم الأول الجزء الأول ص٢٤.

فنخصص لها بابًا مستقلًا في تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالسبئية، وتوارثها جميع الأفكار الموجودة في الفرق البائدة من الغلاة والمتطرفين. كما سنذكر الفرق التي تفرقت منها، وهي موجودة حتى الآن.

ونلفت ههنا أنظار القرآء والباحثين إلى أمر هام يجب الانتباه إليه، وهوان كل فرقة من فرق الشيعة التي ذكرناها في هذا الباب سيجد القارئ من مطالعة موجز المعتقدات والعقائد التي حملها أولئك، أن كل واحدة منها أخذ حظًا وافرًا من السبئية أبناء اليهود، واغترفت غرفًا كثيرة من الأديان الباطلة الأخرى من النصرانية والمجوسية والأفكار المدسوسة من الهندوس والبابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم، كما أن الشيعة بعد تطور التشيّع الأول في جميع أدوارهم وعصورهم، التزموا بقول الرجعة والغيبة والولاية والبراءة والوصاية والتوارث، كما أرسخها مؤسس القوم عبدالله بن سبأ وشلته الماكرة.

* * *

الباب السابع

الشيعة الاثنا عشرية والعقائد السبئية

إننا ذكرنا السبئية وقائدها عبدالله بن سبأ فيما مضى بالتفصيل. ونضطر إلى أن نعيد ذكر السبئية والأفكار التي حملوها والعقائد التي روّجوها بين الناس، وعارضها عليّ وأولاده الطيّبون منهم رضوان الله عليهم، وردوّها عليها، وقاوموها بكل عنف وشدة. ولكنها تسرّبت فيما بعد بين الذين يزعمون أنهم شيعتهم والموالون لهم باسم حب أهل البيت، وأهل البيت منهم براء.

نضطر إلى إعادتها، لوضع النقاط على الحروف، ولإثبات أن الشيعة وخصوصًا الاثني عشرية منهم الذين يعدّون أنفسهم معتدلين، وقد يخدع بهم الكثيرون من المغفلين من الناس، ليسوا إلا ورثة أولئك القوم الذين ضلوّا وأضلوّا، ولا يوجد في أيديهم إلا تركتهم التي تركوها للفرقة والإختلاف بين المسلمين، ولإبعاد بعض الناس عن العقائد الصحيحة التي نزلت من السماء، وجاء بها جبرئيل، وبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الله القرآن، وسنة رسول الله الثابتة، خالية من ذكرها وتذكرتها.

ونحاول في هذا الباب أيضًا أن لا نكون إلا منصفين، ولا نلزم القوم مالا يلتزمون به، ولا ننسب إليهم ما لا يثبتونه في كتبهم أنفسهم، كما تعوّدنا ذلك بفضل الله، وكما لاحظ القارئ في هذا الكتاب وفي غيره.

وتجنبًا لسرد العبارات التي سقناها من قبل، نلخص ما كان يقوم به من المخططات ويروّجه عبدالله بن سبأ، وما كانت تنشره السبئية من عقائد وآراء، ثم نقارن تلك العقائد والآراء بأفكار الشيعة الاثني عشرية الموجودين حاليًا وعقائدهم، وهل هي موجودة فيهم أم لا؟.. فنقول:

أولًا: قيام السبئية بتكوين جمعيات سريّـة يهودية باسم الإسلام، تحت راية عبدالله ابن سبأ.

ثانيًا: إظهار الحب والولاء والمشايعة والموالاة لعلي وأولاده، والانضمام إلى شيعتهم.

ثالثًا: الحقد والبغض لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان، خلفاء نبي الله في أمته، الثلاثة الراشدين المهديين، والطعن فيهم وتفسيقهم وتكفيرهم.

رابعًا: تأليب الناس وتحريضهم على عثمان، واتهامه بتهم باطلة، لإيقاع الفرقة بين الأمة الواحدة والشقاق في المسلمين، والتشنيع على العمال، وتشويه سمعة الحكام، وخصوصًا الذين قادوا المعارك الحاسمة وفازوا فيها.

خامسًا: ترويج العقائد اليهودية والنصرانية والمجوسية بين المسلمين، التي لا تمت إلى الإسلام بصلة لا قريبة ولا بعيدة. والكتاب المنزل من السماء على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خال منها، وكذلك تعليمات الرسول الناطق بالوحي نزيهة وبريئة من التلوث بها، مثل قولهم بالوصاية والولاية والعصمة والرجعة وعدم الموت وملك الأرض والحلول والاتحاد وتأليه الخلق واتصافهم بصفات الله، وجريان النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ونزول الوحي.

فهذه هي الأفكار السبئية التي اقتبسناها من عبارات الشيعة وأئمتهم حول عبدالله بن سبأ، والعقائد التي دعوا إليها وروجوها بين المسلمين، والعبارات والنصوص التي سردناها في الباب الثاني، حيث ذكرنا عبدالله بن سبأ والسبئية بالتفصيل.

وهذه هي خلاصة أقوالهم التي قالوها والأعمال التي قاموا بها.

والآن لنضع النقاط على الحروف ونقول:

أما الأول: أي تكوين اليهود جمعيات تحت قيادة عبدالله بن سبأ للدس والفتنة، فلا نحتاج لإثباتها إلى أي شيء، بعدما أثبتناها من أئمة الشيعة في الفرق والرجال والتاريخ والنقد، غير السنة، وتصريحاتهم، وبعد ما أطنبنا القول فيه فيما مـرّ.

والثاني: أي إظهار الحب والولاء والموالاة لعلي وأولاده، فهذا هوالذي جعله الشيعة شعارًا لهم وما أكثر ما قالوه في هذا وتقوّلوا به على عليّ وأولاده – كذبًا وزورًا –

حتى جعلوا الدين كله موالاة لعلي وأولاده، دون الإيمان بالقرآن والسنة، بل ودون الإيمان بالله ورسوله والامتثال بأوامرهما، والتجنب عن النواهي، وبدون العمل الصالح والسعي إلى المكارم والفضائل والحسنات.

فلقد قالوا فيما قالوا، وما أكثره وما أشنعه، عن أبي جعفر أنه قال:

«هل الدين إلا الحب»[1].

فالحب هوالدين، لا الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا الصوم، ولا غير ذلك من العبادات التي أمر الله بإتيانها وأدائها، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا التجنب للبغي والفحشاء، ولا التقيد بالقيود في المعاملات، ولا المراعاة التي أمُر بها الإنسان للتعايش مع ذويه وعشيرته وجيرانه ومجتمعه، ولا الحقوق ولا الفرائض، ولا الواجبات ولا المحرمات، فإن الدين هوالحب وحده.

وهوالإيمان أيضًا كما نقلوه عن أبي جعفر محمد الباقر، الإمام الرابع المزعوم:

«حبنا إيمان، وبغضنا كفر»[2].

لا الإيمان بالله ولا بالرسل ولا بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين، ولا بالكتاب المنزل عليه، ولا بالتعاليم التي منحها لأصحابه وتلاميذه، لأنه ما أرسل الرسل، وما نزلت الكتب، ولم يأت الأنبياء إلا للدعوة إلى عليّ وأولاده، وحبهم والموالاة لهم.

ولقد ذكر المفسر الشيعي الكبير البحراني، في مقدمة تفسيره الكبير عن واحد من أصحاب عليّ، حبة العوفي، أنه قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله عز وجل عرض ولايتي على أهل السموات وعلى أهل الأرض، أقرّ بها من أقرّ بها، وأنكرها من أنكرها، أنكرها يونس، فحبسه في بطن الحوت حتى أقرّ بها»[3].

وذكر عن (البصائر) عن محمد بن مسلم، أنه قال:

---

(١) كتاب الروضة من الكافي الكليني، باب وصية النبي لأمير المؤمنين ج٨ ص ٨٠ ط. طهران.

(٢) الأصول من الكافي ج١ ص١٨٨.

(٣) بصائر الدرجات ج٢ ص ١٠ ط. إيران نقلًا عن تفسير البرهان، مقدمة ص ٢٥.

«سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية عليّ، وأخذ عهد النبيين على ولاية عليّ»(١).

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك، كما قال:

«وفي كنز الفوائد نقلًا من خط الشيخ الطوسي من كتاب مسائل البلدان، عن جابر الجعفي عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قال: دخل سلمان على عليٍّ، فسأله عن نفسه؟ فقال: يا سليمان، أنا الذي دعيت الأمم كلها إلى طاعتي، فكفرت فعذبت في النار، وأنا خازنها عليهم، حقًا أقول يا سلمان إنه لا يعرفني أحد حق معرفتي إلا كان معي، أخذ الله على الناس الميثاق لي فصدق من صدق، وكذب من كذب. قال سلمان: لقد وجدتك يا أمير المؤمنين في التوراة كذلك، وفي الإنجيل كذلك، بأبي أنت وأمي يا قتيل كوفة ! أنت حجة الله الذي تاب به على آدم، وبك أنجى يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب، وسبب تغير نعمة الله عليه. فقال أمير المؤمنين: أتدري ما قصة أيوب؟. قال: الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين. قال: لما كان عند الانبعاث للمنطق، شك أيوب في ملكي، فقال: هذا خطب جليل، وأمر جسيم. فقال الله: يا أيوب، أتشك في صورة أقمته أنا؟ إني ابتليت آدم بالبلاء، فوهبته له، وصفحت عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين، فأنت تقول خطب جليل وأمر جسيم، فوا عزتي وجلالي لأذيقنك من عذابي أوتتوب إليّ بالطاعة لأمير المؤمنين. ثم أدركته السعادة بي. يعني أنه تاب وأذعن بالطاعة لعلي عليه السلام»(٢).

وغير هذا أيضًا:

«ففي سرائر ابن إدريس من جامع البزنطي، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

ما من نبي، ولا من آدمي ولا من إنسي ولا جني ولا ملك في السماوات والأرض إلا ونحن الحجج عليهم، وما خلق الله خلقًا إلا وقد عرض ولا يتنا عليه، واحتج بنا

(١) أيضًا ص ٢٦.

(٢) تفسير البرهان للبحراني، مقدمة ص٢٧.

عليه، فمؤمن بنا وكافر جاحد، حتى السموات والأرض»[١].

وتتمة هذا الخبر في مناقب ابن شهر آشوب، عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عرض الله أمانتي على السموات السبع بالثواب والعقاب، فقلن ربنا لا تحملنا بالثواب والعقاب، لكننا نحملها بلا ثواب ولا عقاب. وإن الله عرض ولايتي وأمانتي على الطيور، فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقاء، فلعنهما الله من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تطير بالنهار لبغض الطير له، وأما العنقاء فغابت في البحار لا تُرى. وإن الله عرض أمانتي على الأرض، فكل بقعة آمنت بولايتي جعلها طيّبة زكية، وجعل نباتها وثمرها حلوًا عذبًا، وجعل ماءها زلالًا. وكل بقعة جحدت إمامتي وأنكرت ولايتي، جعلها سبخًا وجعل نباتها مرًّا وعلقمًا، وجعل ثمرها العوسج والحنظل، وجعل ماءها ملحًا أجاجًا[٢].

وأما بخاريهم الكليني، فروى في صحيحه عن أبي عبدالله جعفر – الإمام السادس عندهم – أنه قال:

«ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيًا قط إلا بها»[٣].

وعن أبيه أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ أنه قال:

«والله إن في السماء لسبعين صفًا من الملائكة، لواجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدينون بولايتنا»[٤].

وعنه أيضًا أنه قال:

«إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا، وهم ذرّ»[٥].

وأخيرًا، روى الكليني عن إمامه المعصوم، عن أبي الحسن أنه قال:

«ولاية علي عليه السلام مكتوبة في صحف جميع الأنبياء»[١].

(١) أيضًا ص ٢٦.
(٢) أيضًا.
(٣) كتاب الحجة من الكافي ج١ ص٤٣٧.
(٤) أيضًا ص ٤٣٧.
(٥) أيضًا ص٤٣٨.

وكما روى أيضًا عن سالم الحناط، قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين، قال: هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام»(٢).

وكذلك سُئل أبوجعفر عن قول الله عز وجل: «ولوأنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، قال: الولاية»(٣).

وابنه جعفر قال:

«ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى»(٤).

وروى الكليني عن الصومالي:

«عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه وآله: فاستمسك بالذي أوحينا إليك إنك على صراط مستقيم، قال: إنك على ولاية عليّ، وعليّ هوالصراط المستقيم»(٥).

وإن لم يأت العبد بولاية عليّ، لم يسأله عن شيء، وأمر به إلى النار.

وعلى ذلك قال البحراني، مفسر الشيعة:

«إن الله لم يبعث نبيًا قط إلا بعد ما أقرّ بالولاية لأهل البيت، وإن بعثة الأنبياء كانت لذلك أيضًا(٦).

وإن هذه الموالاة هي سبب دخول الجنة والنجاة من النار، لا الأعمال ولا الحسنات. فمن والى عليًا وأولاده فهم من أهل الجنة، وغيره يدخل النار ولوصام

(١) كتاب الحجة من الكافي ج١ ص٤٣٧.
(٢) أيضًا، باب فيه نكت من التنزيل في الولاية ج١ ص٣١٢.
(٣) أيضًا ص ٤١٣.
(٤) أيضًا ص٤١٨.
(٥) أيضًا ص ٤١٧.
(٦) انظر البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني، مقدمة ص ٣٣٩ ط. إيران.

وصلى. كما نقلوا عن جعفر أنه قال:

«سواء على من خالف لنا أهل البيت لا يبالى صلى أوصام، أوزني أوسرق. إنه في النار، إنه في النار»[١].

وكذبوا على رسول الله أنه قال لعليّ رضي الله عنه:

«من أحبك كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهوديًا أونصرانيًا»[٢].

وكذلك روى صدوقهم – وهوكذوبهم:

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي إن الله تعالى قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك ومحبّي محبّي شيعتك، فأبشر»[٣].

وذكر العياشي في تفسيره عن أبي عبدالله جعفر أنه قال:

«المؤمنون بعليّ هم الخالدون في الجنة وإن كانوا في أعمالهم مسيئة»[٤].

حب عليّ حسنة لا تضر معها سيئة[٥] وبغضه معصية لا تنفع معها حسنة[٦].

وأخيرًا، ما كذبوه على رسول الله أنه قال:

«سمعت الله عز وجل يقول:

---

(١) أيضًا، الفصل الثاني في بيان فرض ولاية أهل البيت ص ٢١.

(٢) عيون أخبار الرضا ج٢ ص ٨٥. ط. طهران.

(٣) أيضًا ج ٢ ص٤٧.

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ١٣٩.

(٥) ويجب الانتباه أنه لم يروهذه الروايات إلا الوضّاعون الدجالون من الشيعة الذين ينقلون عن دجاجلة كذابين مثلهم. وقد وردت هذه الروايات بطرق الشيعة الكذابين أيضًا في بعض كتب السنة الذين لم يلتزموا بإيراد الروايات الصحيحة، ولم يلزموا أنفسهم تنقيد الرواة وتنقيح أحوالهم، فلا يعتمد على تلك المرويات، لأنها منقولة ومروية من الشيعة لترويج باطلهم ونشر أباطيلهم. ولله الحمد والمنة أن عند السنة معيارًا قويًا ومحكًا صالحًا لتنقية هذه الروايات وتنقيحها، لتمييز الحق من الباطل. كما عندهم أصول وضوابط وقواعد لنقد الرجال جرحًا وتعديلاً. فلا تقبل الروايات والرواة عندهم إلا الصادقة عن الصدوق، ولا يلتفت إلى الضعفاء والوضع والوضاع، وإلى الأكاذيب والكذبة.

(٦) منهج الصادقين ج ٨ ص ١١٠.

علي بن أبي طالب حجتي على خلقي، ونوري في بلادي، وأميني على علمي، لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني»(١).

فالقضية واضحة بأن طاعة الله ليست بطاعة، ومعصية الله ليست بمعصية ما دام الحب والولاء لعلي وأولاده موجود. وهذا ما كان يقصده اليهودية البغضاء لإبعاد أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن الشريعة السماوية التي لا تفرق بين شخص وشخص، ولا تجعل مدار العز والشرف إلا على العمل والتقوى، كما قال جل من قائل:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣](٢).

وقال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١](٣).

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١١](٤).

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨](٥).

وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨](٦).

---

(١) البرهان، مقدمة ص ١٣.
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٣) سورة الشعراء آية ٩٠.
(٤) سورة المؤمنون الآية ١ إلى الآية ١١.
(٥) سورة الزلزلة الآية ٧، ٨.
(٦) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝﴾ [الليل: ٥-١١][1].

وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝﴾ [المدثر: ٣٨-٤٨][2].

نعم الشريعة التي لم تفرق بين شخص وشخص لحسبه ونسبه، فلم تفرق بين أبي لهب بأنه يدخل الجنة لأنه عم النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تقتصر على البيان بأنه من أهل النار، بل قرن ذكره باللعن في الكتاب الذي يبقى أبد الدهر. حيث قال:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ۝﴾ [المسد: ١-٥][3].

ولم تفرق تلك الشريعة السمحاء بين بلال وغيره لأنه حبشي وغير عربي وقرشي ومكي، جاء إلى مكة وهو مملوك لغيره، بل بُشـر بالجنة بلسان الناطق بالوحي، لأن أعماله أهلته لذلك.

وهم الذين كانوا يرون الإيمان بالله وبالرسول وبالكتاب الذي نزل عليه، والأعمال الصالحة حسب أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم سببًا لدخول الجنة. كانوا يقومون ليلًا، ويصومون نهارًا، ويرفعون رايات الجهاد، وينزل عليهم النصر من فوق السماء، ويؤيدهم ملائكة الرب وجنود الرحمان، وهم الذين كانوا يرون الجنة تحت ظلال السيوف لإحقاق الحق وإبطال الباطل، ولإظهار دين الله كله، وهم الذين كانوا يقهرون سلاطين الأمم وملوكها وجبابرة الأرض وطغاتها، وهم الذين اندحرت

---

(١) سورة الليل الآية ٩.

(٢) سورة المدثر الآية ٣٨ إلى الآية ٤٨.

(٣) سورة تبت (المسد).

أمامهم فلول اليهودية وجيوش النصرانية وعساكر المجوسية، وهم الذين أريد بهم وبأخلافهم أن يبعدوا عن هذه الشريعة الحية المحيية للأموات، والباعثة فيهم الأرواح.

أرادوا إماتة هذه الأمة المقدامة، لردهم عن دينهم، وإبعادهم عن تعاليم الإسلام الحقيقية، عن الإيمان والعمل والجد والجهاد.

فقالوا:

لا يحتاج لدخول الجنة، وإرضاء الرب إلى كل هذه المشقة والعناء، بل يكفي لها حب أشخاص والولاية لهم.

ففازوا في مقاصدهم الخبيثة بعض الفوز، وانطلت مكايدهم على بعض السذج الغفلة من الناس، والمغرورين والمخدوعين بأسماء أشخاص لم يكونوا إلا عبادًا لله المتقين، العاملين المؤمنين.

فبدل أن يكون أمام أعينهم أن أول ما يُسأل العبد عنه الصلاة، كي لا يصلوا ويجتهدوا في التقرب إلى الله بالركوع والسجود والقيام إليه، قالوا:

قال أبوالحسن عليه السلام – الإمام الثامن عندهم – «**أول ما يُسأل عنه العبد، حبنا أهل البيت**»(١).

وعلى ذلك جعلت الولاية أهم من الصلاة والزكاة، ومن كل شيء ذكرناه آنفًا، وكما ورد في الكافي للكليني، عن أبي جعفر أنه قال:

«بُني الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»(٢).

بل وهي المقصود، كما كذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«أتاني جبريل عليه السلام وقال: يا محمد ربك يقرئك السلام، ويقول: فرضت الصلاة ووضعتها عن المريض، وفرضت الصوم ووضعته عن المريض والمسافر، وفرضت الحج ووضعته عن المقل المدقع، وفرضت الزكاة ووضعتها عن من لا يملك

---

(١) عيون أخبار الرضا ج٢ ص ٦٥، أيضًا البرهان، مقدمة ص ٢٢.

(٢) الكافي في الأصول، باب دعائم الإسلام ج٢ ص ١٨.

النصاب، وجعلت حب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليس فيه رخصة»[١].

ولذلك جعلوها مدار الكفر والإيمان، كما هوظاهر من هذه الروايات، وكما بيّـناه آنفًا.

وأما من قال من الشيعة المعاصرين[٢]، بأن الاعتقاد بالولاية ليس بالضروري، وأنه بعدم الاعتقاد بها لا يخرج عن كونه مسلمًا، ليس إلا خداعًا وتزويرًا. ولا يتفوّه بمثل هذه الكلمات إلا في كتب الدعاية، ولإيقاع السذج من المسلمين في شراكهم وحبائلهم، وإلا فهم لا يعتقدون بمثل هذه الاعتقادات كما ذكر وصرح به أئمة الشيعة.

ولقد ذكر السيد البحراني عن عديد من أئمة الشيعة، بأن هذه العقيدة اليهودية التي أوجدها وأنشأها عبدالله بن سبأ اليهودي لتعطيل الشريعة، وإبعاد المسلمين عنها، هي مدار الإيمان، وهي مدار النجاة، والمنكر بها لا يُعد مؤمنًا.

ونذكر ههنا، عن إمامهم وشيخهم المفيد، أنه ذكر في كتاب المسائل:

«اتفـقت الإمامية على أن من ينكر إمامة إمام، وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض طاعته، فهوكافر ضال مستحق الخلود في النار... وقال: لا يجوز لأحد من أهل الإيمان، أن يغسّـل مخالفًا للحق في الولاء، ولا يصلي عليه»[٣].

ونقل مثل ذلك عن بابويه القمي شيخ الطائفة الطوسي، والملا باقر المجلسي، والسيد شريف المرتضى، وغيرهم من الكثيرين مثله.

وأما البغض والحسد لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فيهم والعيب عليهم وشتمهم، فصار من لوازم مذهب الشيعة، وقلما يوجد كتاب من كتبهم إلا وهومليء بالطعن والتعريض بهم. بل ولقد خصص أبواب مستقلة لتكفير وتفسيق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يذكرهم أحد من القوم إلا ويسبق ذكرهم بالشتيمة

---

(١) البرهان، مقدمة ص ٢٢.

(٢) ألا وهوالشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وفروعها) ص ١٠٣، ١٠٤ الطبعة التاسعة بيروت ١٩٦٠م، وكذلك السيد محسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) ج١ ص٦٩.

(٣) البرهان، مقدمة ص ٢٠.

ويلحق بالسباب.

ولقد مثلنا لهذا في كتابنا (الشيعة والسنة) في الباب الأول منه. كما فصلنا القول في هذا الخصوص في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) في الباب الثاني منه، ولا نريد أن نعيد ما ذكرناه هناك تجنبًا للإطالة. فليرجع القارئ في معرفة ذلك إلى هذين الكتابين.

ونقتصر على ما كتبه إمام شيعة اليوم السيد الخميني في كتابه (كشف الأسرار).

وهومع كونه رجلًا سياسيًا – والسياسة تتطلب بعض الملاينة والمهادنة والمراعاة للآخرين – يذكر بكل صراحة ووضوح:

أن أبا بكر وعمر وعثمان، لم يكونوا خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل وأكثر من ذلك أنهم غيروا أحكام الله، وحللوا حرام الله، وظلموا أولاد الرسول، وجهلوا قوانين الرب وأحكام الدين[1].

وبعد ذلك يذكر عقيدته، عقيدة الشيعة في الإمامة، فيقول تحت عنوان: لماذا لم يذكر اسم الإمام في القرآن صريحًا:

«ولقد ظهر مما ذكر، أن الإمامة أصل من الأصول المسلمة الإسلامية بحكم العقل والقرآن. وأن الله قد ذكر هذا الأصل المسلم في عديد من مواضع القرآن. فيمكن أن يسأل سائل: مادام هذا، فلماذا لم يذكر اسم الإمام في القرآن، لكي لا تقع خلافات وحروب حوله كما وقعت؟

فالجواب على ذلك بوجوه، وقبل حل هذا الإشكال، نريد أن نقول جهرًا: إن كل الخلافات التي حلت بين المسلمين في جميع أمورهم وشئونهم، لم تقع بينهم إلا من أثر السقيفة. ولولم يكن ذلك اليوم، لم يكن بين المسلمين خلاف في القوانين السماوية. فنقول: لوذكر اسم الإمام في القرآن فرضًا، لم يكن يرفع النزاع بين المسلمين،لأن الذين لم يدخلوا الإسلام إلا طمعًا في الرئاسة، وتجمعوا وتحزبوا لنيلها، لم يكونوا مقتنعين بنصوص القرآن وآياته. ولم يكونوا منتهين عن أطماعهم وأغراضهم، بل كان من الممكن أن يزدادوا في مكرهم، ويصلوا إلى هدم أساس الإسلام، لأن الطامعين في

(١) ملخص ما قاله السيد الخميني في كتابه (كشف الأسرار) ص ١١٠ وما بعد ط فارسي.

الرئاسة والطالبين لها لورأوا مقصودهم لا يحصل باسم الإسلام، لشكلوا آنذاك حزبًا معارضًا للإسلام ومخالفه. وآنذاك لم يكن لعلي بن أبي طالب أن يسكت، فكان من نتيجة ذلك أن يحصل النزاع والخلاف الذي يقلع جذرة الإسلام، ويقطع دابره. وعلى ذلك كان ذكر اسم علي بن أبي طالب في القرآن خلاف مصلحة أصل الإمامة.

وأيضًا لوكان اسم الإمام مذكورًا في القرآن، لم يكن مستبعدًا من الذين لم تكن علاقتهم بالإسلام والقرآن غير الدنيا والرئاسة، الذين جعلوا القرآن وسيلة لإجراء نياتهم الفاسدة، لم يكن مستبعدًا منهم أن يحذفوا تلك الآيات من القرآن، ويحرفوا كتاب الله، ويبعدوه عن أنظار الناس إلى الأبد.

وأيضًا لولم يحدث من هذا شيء على الفرض والتقدير، لم يكن من غير المتوقع من ذلك الحزب الطامع الحريص على الرئاسة، أن يختلقوا حديثًا كاذبًا على رسول الله أنه قال قبيل وفاته إن الله خلع عليّ بن أبي طالب من منصب الإمامة، وجعل الأمر شورى بينكم.

ولا ينبغي لأحد أن يقول: لوورد ذكر ذلك الإمام في القرآن، لما استطاع الشيخان أن يخالفاه، ولوخالفاه فرضًا، لم يقبله المسلمون، وقاموا ضدهما. فنحن نقول: إنه لا ينبغي القول بهذا، لأننا نعرف أنهما خالفا صريح القرآن جهرًا وعلنًا والناس لم يردوا عليهما، بل قبلوا مخالفتهما للقرآن(١).

ثم مثل بأمثلة كثيرة حسب زعمه لإثبات مخالفة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما القرآن بعنوان (مخالفة أبي بكر النصوص القرآنية) و(مخالفة عمر قرآن الرب)(٢).

---

(١) كشف الأسرار للسيد الخميني(*) ص ١١٢، ١١٣، ١١٤ ط. فارسي.

(٢) انظر ص ١١٤ و١١٧ – كشف الأسرار.

(*) والمفروض أن يُسمى هذا الكتاب كشف أسرار الخميني، لا كشف الأسرار للسيد الخميني، لأنه فعلًا يكشف الأسرار عن هذا الرجل زعيم الشيعة ومصلح الأمة كما يزعمه بعض المغفلين والسذج من أهل السنة في مختلف بقاع الأرض من العالم الإسلامي وغير الإسلامي. وأتمنى أن يقوم بترجمة هذا الكتاب أحد من العارفين، وتكون له معرفة باللغة الفارسية، فينقله إلى اللغات العالمية الأخرى، حتى تكون أسرار السيد الخميني مكشوفة عندهم.=

وأخيرًا قال بعد ذكر هذه المخالفات المزعومة:

«ويعلم بهذا كله، مخالفة أبي بكر وعمر القرآن في حضور المسلمين ولم يكن هذا الأمر ذا بال عندهم، بل كانوا هم معهما، وفي حزبهما مناصرين مساعدين لهما في نيل المقصود. ويعرف بهذا كله، أنه لوورد ذكر الإمام في القرآن، لم يكونوا تاركين للرئاسة لقول الله عز وجل، ولا معطين له أي اهتمام. وكما أن أبا بكر الذي كان خداعه ظاهرًا وزائدًا، استطاع أن يحرم ابنة رسول الله من إرثها الثابت بالقرآن والعقل، باختلاق حديث مكذوب، لم يكن مستبعدًا من عمر أن يقول بأن الله أوجبريل أوالرسول أخطئوا في ذكر اسم الإمام في القرآن وآياته، ولذلك لا يُنظر إليه، ولا يُعمل به، وآنذاك قام حزب السنة وتابعوه على قوله، وتركوا القرآن مهجورا. كما أنهم تابعوه في جميع التغييرات التي أتى بها في دين الإسلام،ورجحّوا قوله على القرآن وآياته، وقدموه على أحاديث رسول الإسلام وأقواله»[1]

وهناك كثير وكثير من هذا القبيل.

هذه هي عقيدة القوم في أبي بكر وعمر وعثمان، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم ورضوا عنه. قد ذكرناها من رجل سياسي بارز، يُعد نائب الإمام الغائب عند الشيعة، ومصلح الأمة عند بعض السنة، طبق ما توارثه من السبئية وعبدالله بن سبأ، وعليها يُـقاس عقيدة الآخرين من القوم الذين لم يُمارسوا السياسة، ولم يستلموا الزعامة الدينية، ولم يتسلطوا على البلاد التي يسكنها كثير من السنيين الذين يحتاجون إلى المداهنة والمراعاة.

وأما الطعن في عثمان ذي النورين رضي الله عنه ، واللعن عليه وعلى أعماله، فإنها أمور لا

= والجدير بالذكر، أن هذا الكتاب لا زال يُطبع في إيران ويُوزع من قبل الحكومة الإيرانية في الداخل والخارج، بدون أي تغيير أوتبديل فيه. وواعجبا للموجدين الأعذار، الذين يختلقونها من عند أنفسهم، والكاتب المؤلف حي لا ينطق ببنت شفـة في هذا الموضوع. وكيف ينطق وهذه هي العـقائد التي يبتني عليها مذهبه ومسلكه، وهذه هي الأسس التي يقوم عليها دينه وموقـفه. وإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

(١) كشف الأسرار ص ١١٩، ١٢٠.

تحتاج إلى البيان، وخصوصًا بعد ما ذكرناه في الباب الأول والثاني من المثالب والمطاعن المنقولة من كتب القوم أنفسهم، بذكر الصفحات والمجلدات.

ومن أراد الاستزادة، فليرجع إليهما، وإلى كتابنا (الشيعة والسنة) و(الشيعة وأهل البيت).

والجدير بالذكر، أن كتب الشيعة الاثني عشرية، لا يخلوكتاب من كتبهم سواء كان في التفسير أوالحديث أوالتاريخ أوالسيرة أوالرجال أوالكلام أوالعقائد أوغير ذلك، من نفس المطاعن التي كان يرددها السبئيون ضد عثمان رضي الله عنه وحكومته وعماله، لا فرق بين هؤلاء وأولئك، إلا الإضافات والزيادات التي اختارها شيعة اليوم، ولم تكن معروفة أيام السبئية.

وأما الوصاية والغيبة والرجعة التي نادى بها عبدالله بن سبأ وشلته، وكذلك العقائد الأخرى المنافية للإسلام، والأجنبية على المسلمين، والمرّوجة من قبل اليهودية والمجوسية، من اتصاف الخلق بأخلاق الخالق، وتأليه العباد، والحلول، والاتحاد، والتناسخ، وجريان النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ونزول الوحي على أحد، وإتيان الكتاب وغيرها من الأمور، هي عين تلك العقائد التي انتقلت إلى شيعة اليوم، وإلى الشيعة الإثني عشرية خاصة.

وعلى ذلك قال كبير الشيعة في الرجال، المامقاني في كتابه (تنقيح المقال):

«إن ما كان يُعد يومئذ غلوًا، صار يُعد الآن من ضروريات المذهب»[١].

وصحيح ما قاله الماقماني، فإنه لم يكن يُعرف هذه الأمور في التشيع الأول لدى الشيعة الأولى، فإن القوم أخذوها من السبئية، وجعلوها عقائد لهم ومعتقدات، وملئوا بها كتبهم ورسائلهم، فقالوا: إن عليًا رضي الله عنه كان وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختلقوا لذلك روايات موضوعة كثيرة، منها ما رواه الكليني في كافيه عن جعفر أنه قال:

«كان حيث طلقت آمنة بنت وهب، وأخذها المخاض بالنبي صلى الله عليه وآله،

(١) تنقيح المقال للمامقاني نقلًا عن هامش المنتقي للذهبي ص ١٩٣.

حضرتها فاطمة بنت أسد، امرأة أبي طالب فلم تزل معها حتى وضعت، فقالت أحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟. قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب. فبينما هما كذلك، إذ دخل عليهما أبوطالب فقال لهما: مالكما، من أي شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي رأت، فقال لها أبوطالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنك ستلدين غلامًا يكون وصي هذا المولود»[١].

وأيضًا ما اختلقوه، بأنه لما نزل قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين:

«دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلوا ولم يبين لهم في الطعام إلا أثر أصابعهم، وكانوا نحوًا من أربعين رجلًا، وشربوا شنة من قدح، كفاهم جميعًا وزاد عنهم. فلما فرغوا، قال لهم في آخر كلامه: إني والله ما أعلم شابًا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فأيكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟ فسكتوا جميعًا، فقام عليّ عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله أؤآزرك عليه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برقبته وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[٢].

ثم قالوا بنفس ما قاله عبدالله بن سبأ، وبألفاظه كذبًا على أبي جعفر محمد الباقر أنه قال:

«وايم الله، لقد نزل الروح والملائكة بالأمر في ليلة القدر على آدم، وايم الله، ما مات آدم إلا وله وصي، وكل من جاء بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيه ووضع له وصيًا من بعده. وايم الله، إن كان النبي ليؤمر فيما يأتيه من الأمر في تلك الليلة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله أن أوصي إلى فلان»[٣].

---

(١) الروضة من الكافي للكليني ج ٨ تحت عنوان إخبار أبي طالب بولادة علي، وأنه وصي النبي ص٣٠٢.

(٢) الإرشاد المفيد ص ١١، أعلام الورى للطبرسي ص ١٦٢، الصافي ج ٢ص ٢٢٧، تفسير القمي جزء ٢ص ١٢٤، نور الثقلين ج ٤ ص٦٧، منهج الصادقين ج ٦ ص٤٨٧، أعيان الشيعة الجزء الأول ص ٢٠٩.

(٣) كتاب الحجة ج ١ ص ٢٥٠ ط. إيران.

وعن جعفر أنه قال:

«أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى ولده هارون... فلم تزل الوصية في عالم بعد عالم حتى دفعوها إلى محمد صلى الله عليه وآله.

فلما بعث الله عز وجل محمدًا صلى الله عليه وآله، أسلم له العقب من المستحفظين، وكذبه بنوإسرائيل، ودعا إلى الله عز وجل، وجاهد في سبيله. ثم أنزل الله عز وجل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيك، فقال: رب، إن العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب، ولم يُبعث إليهم نبي، ولا يعرفون فضل نبوات الأنبياء عليهم السلام ولا شرفهم، ولا يُؤمنون بي إن أنا أخبرتهم بفضل أهل بيتي. فقال الله جل ذكره: ولا تحزن عليهم، وقل سلام فسوف تعلمون. فذكر من فضل وصيه ذكرًا، فوقع النفاق في قلوبهم، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ما يقولون، فقال الله جل ذكره: يا محمد، ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، فإنهم لا يكذبونك، ولكنك الظالمين بآيات الله يجحدون، ولكنهم يجحدون بغير حجة لهم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم، ويستعين ببعضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئًا في فضل وصيه، حتى نزلت هذه السورة، فاحتج عليهم حين علم بموته، ونعت إليه نفسه، فقال الله جل ذكره: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝﴾ [الشرح: ٧-٨] يقول: إذا فرغت فانصب علمك، وأعلن وصيك، فأعلمهم فضله علانية، فقال صلى الله عليه وآله:

من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه - ثلاث مرات - ثم قال: لأبعثن رجلًا يحب الله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار يعرّض بمن رجع، ويجبن أصحابه ويجبّنونه. وقال صلى الله عليه وآله: عليّ سيد المؤمنين. وقال: عليّ عمود الدين. وقال: هذا هوالذي يضرب الناس بالسيف على الحق بعدي. وقال: الحق مع عليّ أينما مال»(١).

وعنه أيضًا أنه قال:

(١) كتاب الحجة من الكافي ج ١ ص ٢٩٣، ٢٩٤.

«إن الوصية نزلت من السماء على محمد كتابًا، لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرائيل عليه السلام: يا محمد، هذه وصيتك في أمتك عند أهل بيتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي أهل بيتي يا جبرائيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريته، ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام، وميراثه لعلي عليه السلام وذريتك من صلبه. قال: وكان عليه خواتيم، قال: ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها. ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما أمر به فيها، فلما توفي الحسن ومضى، فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث، فوجد فيها أن قاتل، فاقتل وتـقتل، واخرج بأقوام للشهادة لا شهادة لهم إلا معك. قال: ففعل عليه السلام، فلما مضى دفعها إلى علي بن الحسين عليه السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الرابع، فوجد فيها أن اصمت واطرق لما حجب العلم. فلما توفي ومضى، دفعها إلى محمد بن علي عليه السلام، ففتح الخاتم الخامس، فوجد فيها أن فسّـر كتاب الله، وصدّق أباك وورّث ابنك، واصطنع الأمة، وقم بحق الله عز وجل، وقل الحق في الخوف والأمن، ولا تخش إلا الله، ففعل. ثم دفعها إلى الذي يليه»[(١)].

وأخيرًا ما رواه عن أبي جعفر قال:

«لما قضى محمد نبوته، واستكمل أيامه، أوحى الله تعالى إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب، فإني لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك، كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء»[(٢)].

هذا عين ما قاله عبدالله بن سبأ والسبئية: أن يوشع بن نون وصي موسى، وعلي وصي رسول الله. وإن إمامة علي لفرض من الله عز وجل[(٣)].

---

(١) أيضًا، باب إن الأئمة لم يفعلوا شيئًا ولا يفعلون إلا بعهد من الله ج١ ص٢٨٠.

(٢) أيضًا، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين ج١ ص ٢٩٣.

(٣) انظر لذلك رجال الكشي ص ١٠٩ ط. كربلاء - العراق، فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٣،٤٤ ط.=

الغيبة

وأما القول بالغيبة والرجعة، فلقد تلقفه الشيعة من السبئية منذ تطور الشيعة وانقراض الشيعة الأولى، فلقد قالوا في كل من زعموا إمامته من علي رضي الله عنه إلى الغائب الموهوم الذي لم يولد.

ولقد ذكرنا فيما مر من أقوالهم في واحد واحد من أئمتهم ونقتصر هاهنا على ما يقوله الشيعة الاثنا عشرية في غائبهم الموهوم، فيقولون: إنه ولد للحسن العسكري ولد، على اختلاف مقولاتهم في ذلك كما سبق ذكره في الباب السابق، ثم يقولون: أنه غاب عن الأعين، وله غيبتان: الغيبة الصغرى، والغيبة الكبرى.

كما كذبوا على جعفر أنه قال:

«للقائم غيبتان، إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة. الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه»[١].

وعنه أيضًا أنه قال:

«لصاحب هذا الأمر غيبتان، إحداهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، في أي واد سلك؟ قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: إذا ادعاها مدع، فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله»[٢].

وعن أبيه مثله[٣]

«أما غيبته الصغرى منهما، فهي التي كانت فيها سفراؤه موجودين، وأبوابه معروفين. لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي، فهم منهم أبوهاشم داود ابن القاسم الجعفري، ومحمد بن علي بن بلال، وأبوعمر وعثمان بن سعيد السمان، وابنه

= النجف – العراق، تنقيح المقال للمامقاني ج٢ ص ١٤٣ ط. إيران وغيرها من الكتب.

(١) كتاب الحجة من الكافي ص ٣٤٠، كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني ص ١٧٠ ط. مطبعة الصدوق طهران.

(٢) كتاب الحجة من الكافي ص ٣٤٠.

(٣) كتاب الغيبة للنعماني ص ١٧٣.

أبوجعفر محمد بن عثمان، وعمر الأهوازي، وأحمد بن إسحاق، وأبومحمد الوجناني، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمد بن إبراهيم في جماعة أخرى ربما يأتي ذكرهم عند الحاجة إليهم في الرواية عنهم.

وكانت مدة هذه الغيبة، أربعًا وسبعين سنة. وكان أبوعمرو عثمان بن سعيد العمري بابًا لأبيه وجده من قبل، وثقة لهما. ثم تولى الباقية من قبله، وظهرت المعجزات على يده.

ولما مضى لسبيله، قام ابنه محمد مقامه رحمهما الله بنصه عليه. ومضى على منهاج أبيه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع أوخمس وثلاثمائة.

وقام مقامه أبوالقاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، بنص أبي جعفر محمد بن عثمان عليه وأقامه مقام نفسه، ومات في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة.

وقام مقامه أبوالحسن علي بن محمد العمري بنص أبي القاسم عليه، وتوفي لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

فروي عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب أنه قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها علي بن محمد السمري، فحضرته قبل وفاته بأيام، فخرج وأخرج إلى الناس توقيعًا نسخته: **بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص لأحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورًا، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن يدعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهوكذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.**

قال: فانتسخنا هذا التوقيع، وخرجنا من عنده. فلما كان اليوم السادس، عدنا وهوبنفسه، فقيل له: من وصيك؟ قال: لله أمر هوبالغه، فقضى. فهذا آخر كلام سُمع منه.

ثم حصلت الغيبة الطولى التي نحن في أزمانها، والفرج يكون في آخرها بمشيئة الله تعالى»[1].

---

(١) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٤٥.

وأما أين يستقر غائبهم، وماذا يعمل. فيقولون إنه مستقر في سرداب سامراء، كما يروي القطب الراوندي «أن العباسيين بعثوا عسكرًا، فلما دخلوا الدار، سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج، وأميرهم قائم حتى يصل العسكر كلهم، فخرج من السكة على باب السرداب ومر عليهم، فلما غاب، قال الأمير: انزلوا عليه، فقالوا: أليس هوقد مر عليك؟ فقال: ما رأيت، وقال: ولمَ تركتموه؟ قالوا: إنا حسبنا أنك تراه»(١).

أوبالمدينة(٢).

أوفي مكـة(٣).

أوبرضوى – الجبل الذي يقولون فيه أنه غاب فيه محمد بن الحنفية، كما نقلنا عن السيد الحميري شاعر الشيعة أنه قال:

تغيـب لا يـرى فـيهم زمانًـا ... برضـوى عنـده عـسل ومـاء(٤)

ويقولون: في ذي طوى.

كما يذكر النوري الطبرسي:

أن للشيعة دعاءً مشهورًا رووه عن الأئمة عليهم السلام، يُعرف بدعاء الندبة، أمروا بقرآته في الأعياد الأربعة، وفيه ما يُخاطب به إمام زمانه الحجة عليه السلام:

ليت شعري استقرت بـك النـوى ... بـل أي أرض تقـلك أوثـرى

أبرضوى أم بغيرها، أم بذي طوى(٥)، أوفي اليمن بواد يُقال له شمروخ(٦)،

---

(١) كتاب الخرائج للرواني نقلًا عن كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار للنوري الطبرسي ص ٢١١ط. طهران، الفصول المهمة ص ٢٩٣ ط منشورات الاعلمي طهران.

(٢) الكافي في الأصول، كتاب الحجة ج١ ص٣٢٨، الفصول المهمة ص ٢٩٢.

(٣) كشف الأستار ص ٢١٥.

(٤) فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٧٣.

(٥) كشف الأستار ص ٢١٥.

(٦) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٦٥.

أو الجزيرة الخضراء[٢].

وأما الجزائري، فقد ذكر قصة طويلة غريبة عجيبة، أنه يذكر الجزر التي مسيرة مدتها سنة:

«لا يوجد في أهل تلك الخطط والضياع غير المؤمن الشيعي الموحد، القائل بالبراءة والولاية.. سلاطينهم أولاد إمامهم، يحكمون بالعدل وبه يأمرون، ولوجمع أهل الدنيا لكانوا أكثر منها على اختلاف الأديان والمذاهب»[٣].

وكذلك يقولون: إنه في جابلقاء، أوفي جابلساء، وغيرها من الخرافات.

وأما ماذا يعمل، فيقولون:

«إنه يشهد الموسم (الحج) فيراهم، ولا يرونه»[٤].

ويروون أن خادمة إبراهيم بن عبدة، قالت:

«كنت واقفة مع إبراهيم على الصفا، فجاء عليه السلام حتى وقف على إبراهيم، وقبض على كتاب مناسكه، وحدثه بأشياء»[٥].

ويكذب آخر ـ وهوأبوعبدالله الصالح ـ فيقول:

«إنه رآه عند الحجر الأسود والناس يتجاذبون إليه، وهويقول: ما بهذا أمروا»[٦].

ويقول الآخر:

«شاهدت سيماء (اسم رجل من أتباع السلطان) آنفًا بسرّ من رأى وقد كسر باب الدار، فخرج عليه وبيده طبرزين، فقال له: ما تصنع في داري؟ فقال سيماء: إن جعفرًا زعم أن أباك مضى ولا ولد له، فإن كانت دارك فقد انصرفت عنك، فخرج عن

---

(١) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٦٥.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج١٣ باب جزيرة الخضراء.

(٣) انظر الأنوار النعمانية لمحدّث الشيعة الجزائري، باب نور في ولادة عليه السلام ج٢ ص ٥٨ وما بعد.

(٤) الأصول من الكافي، كتاب الحجة، باب في الغيبة ج ١ ص ٣٣٨.

(٥) أيضًا، باب في تسمية من رآه ص ٣٣١.

(٦) أيضًا.

الدار»[١].

ويحكي الآخر:

«كنت حاجًا مع رفيق لي، فوافينا إلى الموقف، فإذا بشاب قاعد عليه إزار ورداء، وفي رجليه نعل صفراء، قومت الإزار والرداء بمائة وخمسين دينارًا، وليس عليه أثر السفر، فدنا منا سائل فرددناه، فدنا من الشاب، فسأله، فحمل شيئًا من الأرض وناوله، فدعا له السائل واجتهد في الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنا. فدنونا من السائل، فقلنا له: ويحك، ما أعطاك؟ فأرانا حصاة ذهب مضرسة، قدرناها عشرين مثقالًا، فقلت لصاحبي: مولانا ونحن لا ندري. ثم ذهبنا في طلبه، فدرنا الموقف كله، فلم نقدر عليه، فسألنا كل من حوله من أهل مكة والمدينة، فقالوا: شاب علوي، يحج في كل سنة ماشيًا»[٢].

ثم يحكون وينسبونه إلى علي الرضا أنه قال:

«لا يُرى جسمه، ولا يُسمى اسمه»[٣].

كما نقلوا عن الحسن العسكري أنه قال:

«إنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه، قيل: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا، الحجة من آل محمد»[٤].

ويقول الأربلي:

«إنه حي موجود، يحل ويرتحل، ويطوف في الأرض ببيوت وخيم وخدم وحشم وإبل وخيل وغير ذلك»[٥].

ثم حكى قصة، أن شمس الدين الهرقلي قال:

«حكى لي والدي أنه خرج فيه ـ وهو شاب ـ على فخذه الأيسر توثة (بثرة متقيحة)

(١) أيضًا.
(٢) أيضًا ص ٣٣٢.
(٣) أيضًا ص ٣٣٣.
(٤) أيضًا باب النهي عن الاسم ص ٣٣٢،٣٣٣.
(٥) كشف الغمة للأربلي ج٣ ص٢٨٣.

مقدار قبضة الإنسان، وكانت في كل ربيع تشقشق، ويخرج منها دم وقيح، ويقطعه ألمها عن كثير من أشغاله، وكان مقيمًا بهرقل، فحضر الحلة يومًا، ودخل إلى مجلس السعيد رضي الدين على بن طاووس رحمه الله، وشكا إليه ما يجده منها، وقال: أريد أن أداويها، فأحضر له أطباء الحلة وأراهم الموضع، فقالوا: هذه التونة فوق العرق الأكحل، وعلاجها خطر، ومتى قطعت، خيف أن يُقطع العرق فيموت. فقال له السعيد رضي الدين قدس روحه: أنا متوجه إلى بغداد، وربما كان أطباؤها أعرف وأحذق من هؤلاء، فاصحبني. فأصعد معه، وأحضر الأطباء، فقالوا كما قال أولئك، فضاق صدره. فقال له السعيد: إن الشرع قد فسح لك في الصلاة في هذه الثياب، وعليك الاجتهاد في الاحتراس، ولا تغرر بنفسك، فالله تعالى قد نهى عن ذلك، ورسوله. فقال له والدي: إذا كان الأمر على ذلك، وقد وصلت إلى بغداد، فأتوجه إلى زيارة المشهد الشريف بسرّ من رأى، على مشرفة السلام. ثم أنحدر إلى أهلي، فحسن ذلك.

فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضي الدين وتوجه. قال: فلما دخلت المشهد، وزرت الأئمة عليهم السلام ونزلت السرداب، واستغثت بالله تعالى وبالإمام عليه السلام، وقضيت بعض الوقت في السرداب، وبت في المشهد إلى الخميس، ثم مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوبًا نظيفًا، وملئت إبريقا كان معي، وصعدت أريد المشهد.

فرأيت أربعة فرسان خارجين من باب السور، وكان حول المشهد قوم من الشرفاء يرعون أغنامهم، فحسبتهم منهم، فالتقينا، فرأيت شابين أحدهما عبد مخطوط، وكل واحد منهم متقلد بسيف، وشيخًا بيده رمح والآخر متقلد بسيف، وعليه فرجية ملونة فوق السيف، وهومتحنك بعذبته.

فوقف الشيخ صاحب الرمح يمين الطريق، ووضع كعب في الأرض، ووقف الشابان عن يسار الطريق، وبقي صاحب الفرجية على الطريق مقابل والدي، ثم سلموا عليه، فردّ عليهم السلام.

فقال له صاحب الفرجية: أنت غدًا تروح إلى أهلك؟ فقال: نعم، فقال له: تقدم حتى أبصر ما يوجعك. قال: فكرهت ملامستهم وقلت في نفسي: أهل البادية ما يكادون يحترزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول. ثم إني بعد ذلك تقدمت إليه فلزمني بيده ومدني إليه، وجعل يلمس جانبي من كتفي، إلى أن أصابت يده التوثة فعصرها بيده فأوجعني، ثم استوى في سرجه كما كان.

فقال لي الشيخ: أفلحت يا إسماعيل. فعجبت من معرفته باسمي، فقلت: أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله. قال: فقال لي الشيخ: هذا هو الإمام. فتقدمت إليه فاحتضنته وقبلت فخذه.

ثم أنه ساق وأنا أمشي معه محتضنه، فقال: ارجع، فقلت: لا أفارقك أبدًا. فقال: المصلحة رجوعك. فأعدت عليه مثل القول الأول. فقال الشيخ: يا إسماعيل، ما تستحي يقول لك الإمام مرتين ارجع وتخالفه؟ فجبهني بهذا القول، فوقفت. فتقدم خطوات والتفت إلي وقال: إذا وصلت بغداد، فلا بد أن يطلبك أبوجعفر، يعني الخليفة المستنصر رحمه الله، فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئًا فلا تأخذه، وقل لولدنا الرضى ليكتب لك إلى علي بن عوض، فإنني أوصيه يعطيك الذي تريد.

ثم سار وأصحابه معه.

فلم أزل قائمًا أبصرهم، إلى أن غابوا عني، وحصل عندي أسف لمفارقته. فقعدت إلى الأرض ساعة، ومشيت إلى المشهد. فاجتمع القوم حولي، وقالوا: نرى وجهك متغير، أوجعك شيء؟ قلت: لا. قالوا: أخاصمك أحد؟. قلت: لا، ليس عندي مما تقولون خبر، لكن أسألكم، هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم؟. فقالوا: هم من الشرفاء أرباب الغنم.

فقلت: لا، بل هو الإمام عليه السلام. فقالوا: الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجية؟ فقلت: هو صاحب الفرجية. فقالوا: أريته المرض الذي فيك؟ فقلت: هو قبضه بيده وأوجعني، ثم كشف رجلي فلم أر لذلك المرض أثرًا، فداخلني الشك من الدهش، فأخرجت رجلي الأخرى فلم أرَ شيئًا[1].

(١) كشف الغمة للأربلي ج٣ ص ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، منتهى الآمال للعباس القمي ص ١٢٤٤.

كما حكى، أن أبا عطوة، كان به أدرة، وكان زيدي المذهب، وكان ينكر على بنيه الميل إلى مذهب الإمامية، ويقول: لا أصدقكم ولا أقول بمذهبكم حتى يجيء صاحبكم - يعني المهدي - فيبرئني من هذا المرض، وتكرر هذا القول منه، فبينا نحن مجتمعون عند وقت عشاء الآخرة، إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا، فأتيناه سراعًا، فقال: ألحقوا صاحبكم، فالساعة خرج من عندي. فخرجنا، فلم نرَ أحدًا، فعدنا إليه، وسألناه، فقال: أنه دخل إليّ شخص، وقال: يا عطوة، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا صحب بنيك، قد جئت لأبرئك مما بك. ثم مد يده فعصر قروتي ومشى، ومددت يدي فلم أر لها أثرًا. قال لي ولده: وبقي مثل الغزال ليس به قلبه.

واشتهرت هذه القصة، وسألت عنها غير ابنه، فأخبر عنها، فأقرّ بها. والأخبار عنه عليه السلام في هذا الباب كثيرة. وأنه رآه جماعة قد انقطعوا في طرق الحجاز وغيرها، فخلصهم، وأوصلهم إلى حث أرادوا[1].

فهذا هو غائبهم، وهذه هي الأساطير والقصص التي يحكونها عنه غيبته.

الرجعة

وأما الرجعة، فقال بها الشيعة الاثني عشرية طبق ما قاله عبدالله بن سبأ. بفرق أنه قال في علي رضي الله عنه، وهؤلاء قالوا في معدومهم.

والجدير بالذكر، أن هذه العقيدة من العقائد التي فشت وانتشرت في جميع فرق الشيعة في مختلف العصور غير الشيعة الأولى، كما ذكرناها في الأبواب السابقة.

ثم لم يكتف الشيعة الاثنا عشرية بالقول إن معدومهم الغائب هو الذي سيرجع، بل قالوا أكثر من ذلك، وهو أنه يرجع ويرجع الآخرون من الشيعة وأئمتهم وأعدائهم حسب زعمهم. وهناك روايات وأكاذيب لا تُعد ولا تُحصى في هذا المعنى.

وقد صنفت في هذا الخصوص كتب مستقلة عديدة. فنختار من الأساطير المضحكة والقصص المبكية أخبارًا قليلة، لوضع النقاط على الحروف، ولتمييز الحقائق

(١) كشف الغمة للأربلي ج٣ ص ٢٨٧.

عن أن القوم ماذا يقولون، وماذا يعتقدون. وإلى أي حد ينقمون قوم رسول الله وقبيلته، أصحابه وأزواجه، أمته وشريعته التي جاء بها من الله عز وجل، والقرآن الذي نزل عليه، والأمر الذي أعطاه متبعيه والمؤمنين به.

عقيدة الشيعة التي توارثها من اليهودية وعملاء عبدالله بن سبأ وطائفته، وتناقلوها جيلًا بعد جيل. والتي قال عنها كبيرهم وخاتمة محدثيهم الملا باقر المجلسي صاحب (بحار الأنوار) بعد سرد الأخبار الكثيرة عن الرجعة:

«اعلم يا أخي، أني لا أظنك ترتاب بعد ما مهدّت وأوضحت لك بالقول في الرجعة التي أجمعت عليها الشيعة في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار... وكيف يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم»[(١)].

فيروي القوم عن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه قال:

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يخرج رجل من ولدي فيملأها قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلما»[(٢)].

وكذبوا على نبي الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال:

«القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنته سنتي. يقيم الناس على ملتي وشريعتي، يدعوهم إلى كتاب الله ربي. من أطاعه أطاعني، ومن عصاه عصاني، ومن أنكر غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبني، ومن صدقه فقد صدقني. إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمضلين لأمتي عن طريقته. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج١٣ ص٢٢٥ الطبعة الأولى.
(٢) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٢٧.
(٣) أيضًا ص٤٢٥.

من يكون المهدي؟

فلقد كذب الشيعة على الحسن بن علي رضي الله عنهما، أنه لما صالح معاوية، دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال:

«ويحكم، ما تدرون ما علمت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أوغربت، ألا تعلمون أني إمامكم، ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، بنص رسول الله عليّ؟

قالوا: بلى، قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطًا لموسى، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان عند الله تعالى ذكره حكمه وصوابًا؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين بن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير[١].

ومثل ذلك ما رووه عن جعفر أنه قال:

«من أقرّ بجميع الأئمة وجحد المهدي، كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجحد محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبوته. فقيل له: يا ابن رسول الله، فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته»[٢].

منزلته وشأنه

ورووا في مقامه وشأنه عن علي بن الحسين أنه قال:

«في القائم منا سنن من ستة من الأنبياء عليهم السلام، سنة نوح، وسنة من

(١) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٢٧.

(٢) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٢٩.

إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد.

فأما من نوح، فطول في العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف والغيبة، وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد فالخروج بالسيف ....والقائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا: لم يُولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة.. ومن ثبت على موالاتنا في غيبته، أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر»(١).

وأيضًا كما روى النعماني في (غيبته) أنه قال بأن مهديهم يكون مسندًا ظهره إلى بيت الحرام ويقول:

«أنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة محمد»(٢).

ويقول:

«أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم»(٣).

ويكون جبرائيل بين يديه(٤).

ويقولون:

«نظر موسى بن عمران في السفر الأول إلى ما يُعطى قام آل محمد من التمكين والفضل، فقال: رب اجعلني قائم آل محمد، فقيل له: إن ذاك من ذرية أحمد. ثم نظر في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك، فقال مثله، فقيل له مثل ذلك. ثم نظر في السفر الثالث، فرأى مثله، فقال مثله، فقيل مثله»(٥).

ومتى يرجع؟

فيروي الكليني في كافيه عن الأصبغ بن نباتة،أنه قال:

---

(١) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني، أيضًا بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ١٧٩.

(٣) الفصول المهمة ص ٣٢٢.

(٤) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٧٤.

(٥) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٤٠.

«أتيت أمير المؤمنين عليه السلام، فوجدته متفكرًا ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، مالي أراك متفكرًا تنكت الأرض، أرغبة منك فيها؟ فقال: لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يومًا قط، ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هوالمهدي الذي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، كما مُـلئت جورًا وظلما، تكون له غيبة وحيرة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين، وكم تكون له الحيرة والغيبة؟ قال: ستة أيام أوستة أشهر أوست سنين. قلت: وإن هذا لكائن؟ فقال: نعم كما أنه مخلوق وأنى بهذا الأمر يا أصبغ أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة»[١].

وروي أيضًا عن أبي جعفر أنه قال:

«يا ثابت، إن الله تعالى قد كان وقت هذا الأمر في سبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه، اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث، فكشفتم قناع الستر، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتًا عندنا، ويمحوالله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب»[٢].

وروى ابنه جعفر أنه قال:

«وقد كان لهذا الأمر وقت كان في سنة أربعين ومائة، فحدثتم به وأذعتموه فأخره الله عز وجل»[٣].

ورووا عن أبي جعفر أنه قال:

«ليس بين القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة»[٤].

وذكر أيضًا رواية عن ابنه جعفر أنه قال:

«إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار ابن مسعود، فعند ذلك زوال ملك

---

(١) الأصول من الكافي، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) الأصول من الكافي ج ١ ص٣٦٨.

(٣) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٩٢ ط. طهران.

(٤) الإرشاد للمفيد ص ٢٦٠.

القوم، وعند زواله خروج القائم»[١].

والمعروف أن النفس الزكية قتل، ومضى على قتله آلاف الليالي، كما هدم حائط مسجد الكوفة، وقد مضى على هدمه مئات السنين، ولكن لم يكن لموهوم أن يخرج.

ورووا عن إسحاق بن عمار أنه قال:

«قال لي أبوعبدالله عليه السلام: يا أبا إسحاق،إن هذا الأمر قد أخر مرتين»[٢].

وهكذا كان الشيعة يعللون بالأماني بخروج قائمهم ورجوع مهديهم، كما أقرّ بذلك إمامهم السابع موسى بن جعفر. كما رواه الكليني في (كافيه) والنعماني[٣] في (غيبته) كي لا يرجع الشيعة عن تشيّعهم، فهذا هوالنص:

«عن يقطين، أنه قال لابنه علي بن يقطين:

ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن - يعني أمر بني العباس -؟ فقال له علي: إن الذي قيل لكم ولنا من مخرج واحد، غير أن أمركم حضر (وقته) فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم، وإن أمرنا لم يحضر، فعللنا بالأماني. ولوقيل لنا أن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة أوثلاثمائة سنة، لقست القلوب، ولرجع الناس عن الإسلام. ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه، تألفًا لقلوب الناس وتقريبًا للفرج[٤].

ولقد نقل الجزائري عن المجلسي، أنه كان يرى وقت خروجه أيام الدولة الصفوية، مستدلًا من الأحاديث الثلاثة، فهذه هي عبارته:

---

(١) أيضًا.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٩٤،٢٩٥.

(٣) «هو أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، وقد كان من كبار محدّثي الإمامية في أوائل القرن الرابع. وإنه من تلامذة ثقة الإسلام محمد بن إسحاق بن يعقوب الكليني، كان مؤلفًا جيد النظر، حسن الإستنباط، وافر السهم في معرفة الرجال وأحاديثهم. ومن أهم مؤلفاته كتاب الغيبة. قال فيه النجاشي:

النعماني شيخ من أصحابنا، عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث» (مقدمة كتاب الغيبة ص ١١، ١٢).

(٤) الكافي للكليني كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت ج ١ ص٣٦٩، كتاب الغيبة للنعماني ٢٩٥،٢٩٦- واللفظ له.

«اعلم أنه قد وردت أخبار مجملة، وقد نقلها الأصحاب على إجمالها ولم يتعرضوا لبيان معناها، وذلك أنها أخبار متشابهة، يجب علينا الإذعان لها من باب التسليم. ولما انتهت النوبة إلى شيخنا المحقق رئيس المحدثين وخاتمة المجتهدين المولى المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله أيام إفاداته، وأجزل في الآخرة مثوباته وسعادته، توجه إلى إيضاحها وتفسيرها، وطبق بعضها على وقت تعيين ظهور الدولة الصفوية أعلى الله منار بنيانها، وشيّد رفيع أركانها، وطبق البعض الآخر على تعيين وقت ظهور مولانا صاحب الزمان عليه ألف سلام، فلننقل تلك الأخبار على وجهها، ثم نذكر ما أفاده سلمه الله تعالى من البيان والإيضاح.

الحديث الأول: ما رواه الشيخ الأجلّ المحدّث محمد بن إبراهيم النعماني في كتاب الغيبة بسنده إلى أبي خالد الكابلي عن الباقر عليه السلام أنه قال: كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق، يطلبون الحق فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيُعطون ما سألوا فلا يـقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء.

قال أدام الله أيامه، أنه لا يخفى على أهل البصائر أنه لم يخرج من المشرق سوى أرباب السلسلة الصفوية، وهوالشاه إسماعيل أعلى الله مقامه في دار المقامة. وقوله عليه السلام، لا يدفعونها إلا إلى صاحبكم: المراد به القائم عليه السلام. فيكون في هذا الحديث إشارة إلى اتصال دولة الصفوية بدولة المهدي عليه السلام، فهم الذين يسلمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال.

الحديث الثاني: ما رواه النعماني أيضًا في ذلك الكتاب بإسناد معتبر إلى الصادق عليه السلام، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث في الوقائع التي تجري بعده إلى ظهور المهدي عليه السلام، فقال له الحسين عليه السلام: يا أمير المؤمنين، في أي وقت يطّهر الله الأرض من الظالمين؟ فقال عليه السلام: لا يكون هذا حتى تراق دماء كثيرة على الأرض بلا حق. ثم إنه عليه السلام فصل أحوال بني أمية وبني العباس في حديث طويل اختصره الراوي، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا قام القائم بخراسان،

وغلب على أرض كوفان وملطان، وتعدى جزيرة بني كاوان، وقام منها قائم بجيلان، وأجابته الأبر والديلم، وظهرت لولدي رايات الترك متفرقات في الأقطار والحرمات، وكانوا بين هنات وهنات، إذا خربت البصرة، وقام أميرالأمرة، فحكى عليه السلام حكاية طويلة، ثم قال: إذا جهزت الألوف، وصفت الصفوف، وقتل الكبش الخروف، هناك يقوم الآخر، ويثور الثائر، ويهلك الكافر. ثم يقوم القائم المأمول، والإمام المجهول له الشرق والفضل، وهومن ولدك يا حسين لا ابن مثله، يظهر بين الركنين في ذر يسير يظهر على الثقلين ولا يترك في الأرض الأدنين، طوبى لمن أدرك زمانه ولحق أوانه وشهد أيامه.

قال ضاعف الله أيام سعادته: جزيرة بني كاوان جزيرة حول البصرة، وأهل الأبر جماعة في قرب أسترآباد، والديلم هم أهل قزوين وماوالاها، والحرمات الأمكنة الشريفة، قوله هنات وهنات أي حروب عظيمة ووقائع كثيرة في وقت خراب البصرة، والمراد بالقائم المأمول هوالمهدي عليه السلام، والمراد بالركنين، ركنًا الكعبة، وهوالركن والحطيم، الذي هومحل خروجه عليه السلام. وقوله ذر يسير المراد به الجماعة القليلة، وهم شهداء بدر. وقوله يظهر على الثقلين، يعني به أنه عليه السلام، يغلب على الجن والإنس، سميا به لأنهما يثقلان الأرض بالإستقرار فوقها، أولأنهما أشرف المخلوقات السفلية، والعرب تسمى الشريف ثقلًا لحلمه ورزانته. وقيل إنما سميا به، لأنهما قد ثقلا بالتكليف، فهما ثقلان بمعنى مثقلان. وقوله الأدنين جمع أدنى، وهم أراذل الناس وأدناهم. والمراد بهم الظالمون الكافرون.

ثم قال سلمه الله تعالى: الظاهر أن المراد بأهل الخروج من خراسان هم أمراء الترك، مثل جنكيزخان، وهولاكوخان.

والمراد بالخارج من جيلان هوالشاه المؤيد الشاه إسماعيل، ومن ثم أضافه عليه السلام إلى نفسه وسماه ولده، والمراد بأمير الأمرة، إما ذلك السلطان المذكور أوغيره من السلاطين الصفوية، وقوله وقتل الكبش الخروف، الظاهر أنه إشارة إلى المرحوم صفي الدين ميرزا، فإن أباه وهوالمرحوم الشاه عباس الأول قد قتله. وقوله يقوم الآخر، المراد

به المرحوم الشاه صفي، فإنه أخذ دمه، وأول من قتله هوالذي باشر قتل أبيه صفي ميرزا. وقوله عليه السلام ثم يقوم القائم المأمول إشارة أيضًا إلى اتصال الدولة الصفوية بالدولة المهدوية على صاحبها السلام.

الحديث الثالث: رواه الشيخ الأجلّ محمد بن مسعود العياشي، وهومن ثقات المحدّثين في كتاب التفسير عن أبي لبيد المخزومي عن الباقر عليه السلام، بعدما ذكر ملك شقاوة بني العباس، قال: يا أبا لبيد، إن حروف القرآن المقطعة لعلمًا جمًا، إن الله تعالى أنزل ألم ذلك الكتاب، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره، وثبتت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلث سنين. ثم قال: وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من الحروف المقطعة حرف ينقضي إلا وقيام قائم من بني هاشم عند انقضائه.

ثم قال: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فذلك مائه وواحد وستون. ثم كان بدء خروج الحسين بن علي عليه السلام ألم الله، فلما بلغت مدته، قام قائم ولد العباس عند المص. ويقوم قائمنا عند انقضائها بالر. فافهم ذلك، وعه واكتمه.

قال ذلك المحقق أيده الله تعالى: قوله عليه السلام من الألف السابع المراد به من ابتداء خلق أبينا آدم عليه السلام. ثم قال أيده الله تعالى: إن هذا الحديث في غاية الإشكال، وقد ذكرنا له وجوهًا في كتاب بحار الأنوار، ولنذكرهنا وجهًا واحدًا، ولكنه مبني عل تمهيد مقدمة، وهي أن المعلوم من كتب الحساب المعتبرة، أن حساب أبجد له اصطلاحات مختلفة، ومناط حساب هذا الحديث على اصطلاح أهل المغرب، وقد كان شائعًا بين العرب في الأعصار السابقة، وهوهذا صعفض قرست ثخذ ضغش، فالصاد عندهم ستون، والضاد تسعون، والسين ثلثمأة، والظاء ثمانمأة، والغين تسعمأة، الشين ألف، وباقي الحروف على موافقة المشهور.

إذا عرفت هذه المقدمة، فاعلم أن تاريخ ولادة نبينا صلى الله عليه وآله، يظهر من جميع فواتح السور، ولكن باسقاط الحروف المكررة، مثلًا ألم والر وحم، وغيرها من

المكررات، لا يُؤخذ منه الحساب إلا واحد. وكذلك الحروف المبسوطة مثل ألف را، لا يُحسب منه إلا ثلاثة، وكذا لام را ونحوذلك، وحينئذ فألف لام ميم، ألف لام ميم، صاد ألف لام، را ألف لام، ميم را، كاف ها يا عين صاد، طا ها، طا سين، يا سين، صاد حا ميم،عين سين قاف قاف نون.

إذا عددت حروفها تكون مئة وثلثًا من وقت خلق أبينا آدم عليه السلام إلى وقت ولادة النبي صلى الله عليه وآله يكون على وفق هذا الحديث ستة آلاف سنة ومئة وثلاثون (ثلث سنين ظ) والأول من كل ألف سنة تاريخ، وأول كل سابع من آلاف مائة وثلاث يكون قد مضت. وعدد هذه الحروف أيضًا يكون مائة وثلاثة على ما عرفت، فيكون ألم الذي في أول سورة البقرة، إشارة إلى مبعث نبينا صلى الله عليه وآله، وقوله عليه السلام وليس حرف ينقضي إلا وقيام قائم من بني هاشم عند انقضائه واضح على هذا.

وذلك أول دولة بني هاشم ابتداؤها من عبدالمطلب، ومن ظهور دولة عبدالمطلب، إلى ظهور دولة نبينا صلى الله عليه وآله إحدى وسبعين سنة تقريبًا عدد ألم بحساب أبجد على ترتيب القرآن بعد ألم البقرة وألم آل عمران، وهوإشارة إلى خروج الحسين عليه السلام، فإنه من ابتداء رواج دولة النبي صلى الله عليه وآله إلى وقت خروج الحسين عليه السلام إحدى وسبعون سنة تقريبًا، وأيضًا بحسب ترتيب سور القرآن، ألمص، وهوإشارة إلى خروج بني العباس، فإنهم من بني هاشم أيضًا، وإن كانوا غير محقين في أمر الخروج.

وبحساب أبجد على طريق المغاربة مئة وواحد وثلاثون، ومن أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله إلى وقت ظهور دولتهم مئة وواحد وثلاثون، وإن كان إلى زمان بيعتهم أكثر.

ويحتمل أن يكون ابتداء هذا التاريخ من وقت نزول سورة الأعراف فيكون مطابقًا لوقت بيعتهم وعلى حساب ألمص على طريق المغاربة. يبني الحديث المروي في كتاب معاني الأخبار وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وأما كون قيام القائم عليه السلام مبنيًا على حساب ألر، فالذي يخطر بخاطري أن الرقد وقع في القرآن في خمسة مواضع، وينبغي لبيانه كما تعرض لبيان ألم ومجموعة ألف ومئة وخمس وخمسون سنة تقريبًا، من سنة تحرير هذه الرسالة، وهوسنة ألف وثمان وسبعون من الهجرة، فيكون قد بقى من وقت خروجه عليه السلام (سبعة وسبعون ظ) خمس وستون سنة لما كان مبدأ هذه التواريخ من أوائل البعثة، هذا محصل كلامه سلمه الله تعالى[1].

وقد مضى خمس وستون سنة وسبع وسبعون سنة وأكثرعلى ذلك الوقت، ولم يأن لقائمهم أن يرجع، وليس لمعدوم أن يوجد.

وما أحسن ما قاله قائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي	صيرتموه بزعمكم إنسانا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم	ثلثتم العنقاء والغيلانا

كيف يرجع، وأين يرجع؟

فيعتقد القوم أن جعفرًا قال:

«ينادى باسم القائم في يوم ستة وعشرين من شهر رمضان، ويقوم في يوم عاشوراء، وهواليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام لكأني به يوم السبت العاشر من المحرم قائمًا بين الركن والمقام، جبرئيل بين يديه ينادي بالبيعة له، فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوي لهم طيًا، حتى يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا»[2].

ثم بينوا كيف يجتمع الشيعة للقائم، فقالوا:

«إذا أذن الإمام، دعا الله باسمه العبراني[3] فأتيحت (فانتخب) له صحابته الثلاثمائة

---

(١) الأنوار النعمانية لنعمت الله الجزائري ص ٧٦ إلى ٨٠.

(٢) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٥٩، ومثله في الإرشاد للمفيد ص ٣٦١،٣٦٢.

(٣) ألا تدل هذه اللفظة على معنى متوارث عن القوم الذين يتكلمون بالعبرانية؟

والثلاثة عشر، قزع كقزع الخريف، فهم أصحاب الألوية. منهم من يفقد عن فراشه ليلًا فيصبح في مكة، ومنهم من يُرى يسير في السحاب نهارًا يُعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه. قلت: جعلت فداك، أيهم أعظم إيمانًا؟ قال: الذي يسير في السحاب نهارًا... وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]»(١).

ويروي الطوسي شيخ الطائفة:

«ينادي منادي من السماء باسم القائم، فيسمع من بين الشرق والغرب، فلا يبقى راقد إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه فزعًا من ذلك الصوت. وهوصوت جبرئيل الروح الأمين»(٢).

وزاد النعماني:

«فلا يبقى شيئ من خلق الله فيه إلا سمع الصيحة، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره، وتخرج الأذراع من خدرها، ويخرج القائم مما يسمع، وهوصيحة جبرائيل»(٣).

وقد رووا عن المفضل بن عمر أنه قال:

«قلت لجعفر بن الباقر: ففي أي بقعة يظهر المهدي؟ قال: لا تراه عين وقت ظهوره إلا رأته كل عين، وذلك أنه يغيب آخر يوم من سنة ست وستين ومئتين، ولا تراه عين أحد حتى يراه كل أحد، ثم يظهر في مكة، ووالله يا مفضل كأني أنظر إليه داخل مكة وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى رأسه عمامته، وفي رجليه نعل رسول الله المخصوفة، وفي يده عصا النبي صلى الله عليه وآله يسوق بين يديه أعنزًا عجافًا، حتى يصل بها نحوالبيت حتى لا يعرفه أحد. قال المفضل: يا سيدي، كيف يظهر؟ قال: يظهر وحده، ويأتي البيت وحده إلى الكعبة، ويجن عليه الليل، وإذا نامت العيون وغسق الليل، نزل جبرئيل وميكائيل والملائكة صفوفًا، فيقول له جبرئيل يا سيدي، قولك مقبول، وأمرك جار. فيمسح يده على وجهه ويقول الحمد لله الذي صدقنا وعده

(١) الغيبة للنعماني ص ١٦٩ نقلًا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٧٢،٣٧٣.
(٢) الغيبة للنعماني ص ٢٥٤.
(٣) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٧٤.

وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين. ويقف بين الركن والمقام، ويصرخ صرخة، يا معشر نقبائي وأهل خاصتي ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الأرض، إيتوني طائعين. فترد صيحته عليهم وهم في تجايرهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها. فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل، فيجيئون نحوه، ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر، حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام، فيأمر الله عز وجل بنور فيصير عمودًا من الأرض إلى السماء، يستضيء به كل مؤمن على وجه الأرض، ويدخل عليه نور في جوف بيته، فتفرح نفوس المؤمنين بذلك وهو لا يعلمون بظهور قائمنا. ثم يصبحون وقوفًا بين يديه. وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا بعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم بدر»(١).

ويقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة:

«يا معشر الخلائق، ألا من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث، فهاأنا ذا آدم وشيث، ألا من أراد أن ينظر إلى إبراهيم وولده إسماعيل، فهاأنا ذا إبراهيم وإسماعيل. ألا من أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون، فها أنا ذا عيسى وشمعون. ألا من أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين، فها أنا ذا محمد وأمير المؤمنين. ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فها أنا ذا الحسن والحسين. ألا من أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين، فها أنا ذا الأئمة.

أجيبوا مسألتي، فإني أنبئكم بما نبئتم به أولم تنبئوا به، ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني.

ثم يبتدئ بالصحف التي أنزلها الله لآدم وشيث، فتقول أمة آدم وشيث: هذه والله الصحف حقًا، ولقد رأينا ما لم نعلمه فيها وما كان أسقط منها وبدّل وحرّف، ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم حقا، ثم يقرأ التوراة والإنجيل والزبور، فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور: هذه والله التوراة الجامعة والإنجيل الكامل، وإنها أضعاف ما ترى

(١) الأنوار النعمانية ج٢ص ٨٢.

فيها. ثم يتلو القرآن، فيقول المسلمون: هذا والله القرآن وما حرف وما بدل»[١].

ويكون في صورة شاب مؤنق، ابن اثنتين وثلاثين سنة. كما كذبوا عن جعفر أنه قال:

«لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شابًا مؤنقًا لا يثبت عليه إلا من قد أخذ الله ميثاقه في الذر الأول، وفي رواية: القائم يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة يدري به — ثم يغيب غيبة في الدهر، ويظهر في صورة شاب مؤنق ابن ثلاثين سنة»[٢].

فيبايعه أول من يبايعه جبرئيل كما روى الطوسي وغيره:

«أن جبرائيل يأتيه، ويسأله ويقول له:

إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم. فيقول جبرئيل: فأنا أول من يبايع، ثم يقول له: مد كفك. فيمسح على يديه»[٣].

وذكر البحراني: «أن جبرئيل ينزل على الميزاب في صورة طائر أبيض، حتى يكون أول من خلق الله جبرئيل»[٤].

وهذا مع قولهم:

«أتى جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: السلام عليك يا محمد،هذا آخر يوم أهبط فيه إلى الدنيا. وعن عطاء بن يسار، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضر أتاه جبرئيل، فقال: يا محمد الآن أصعد إلى السماء، ولا أنزل إلى الأرض أبدًا. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضرت النبي الوفاة... إلى أن قال: فعند ذلك قال جبرائيل: يا محمد، هذا آخر هبوطي إلى الدنيا، إنما كنت أنت حاجتي فيها»[٥].

---

(١) الأنوار النعمانية ص ٨٣،٨٤.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي ص ١٨٩.

(٣) أعلام الورى للطبرسي ص ٤٦٠، ٤٦١، الإرشاد للمفيد ص ٣٦٤، روضة الواعظين ج٢ ص٢٦٥، إكمال الدين لابن بابويه القمي وغيره.

(٤) تفسير البرهان ج٢ ص٨٢.

(٥) كشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩ نقلًا عن كتاب تاريخ مابعد الظهور ص ٣٥٢.

ولا جبرائيل وحده، بل الملائكة الآخرون أيضًا كما روى الجزائري عن جعفر أنه قال:

«إن القائم يسند ظهره إلى الحرم، ويمد يده فترى بيضاء من غير سوء، فيقول: هذه يد الله... ويكون أول من يقبل يده جبرئيل، ثم يبايعه الملائكة، ثم نجباء الجن، ثم نقباء المؤمنين»(١).

ويُؤيد هذا، ما ذكره المفيد والطبرسي وابن الفتال والبحراني والنعماني وغيرهم كذبًا على محمد الباقر أنه قال:

«كأني بالقائم على نجف الكوفة، قد سار إليه من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، ميكئيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه، وهويفرق الجنود في البلاد»(٢)

ولا خمسة آلاف فقط، بل ينحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكًا، قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال: نعم، الذين كانوا مع نوح في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقى في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف ملك كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله مسومين، وألف مردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين.. وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يُؤذن لهم في القتال.. وكل هؤلاء في الأرض، ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات الله والسلام(٣).

وأورد مثل ذلك النعماني في كتاب (الغيبة)(٤).

وزاد على ذلك « أن الذي يحمل رايته يوم ذاك، يكون جبرئيل، ويكون عمودها

---

(١) الأنوار النعمانية ج٢ ص٨٣.

(٢) الإرشاد المفيد ص ٣٦٢، أعلام الورى للطبرسي ص ٤٦٠، روضة الواعظين للفتال ص ٢٦٤، البرهان للبحراني ج٢ ص٨٢، كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٣٤.

(٣) كامل الزيارات لإبن قولويه ص ١٢٠.

(٤) ص ٣١٠،١٠٩.

من عمد عرش الله تعالى»[١].

«وأن أربعة الآلاف الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين فلم يُؤذن لهم، بقوا عند قبره شعثًا غبرًا إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يُقال له منصور. فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيّعوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلوا عليه»[٢].

وماذا يعمل بعد رجعته؟

ومن أكاذيب الشيعة الشنيعة، والكره الذي توارثوه عن اليهودية والمجوسية الذين دُمرت شوكتهم، وقضى على سلطانهم وملكهم من قبل مسلمي العرب، وعلى أيدي قادتهم من قريش. ومن شدة نقمتهم وحسدهم وحقدهم، قالوا:

إن القائم يبدأ أول ما يبدأ بقتل قريش وصلبهم، الأحياء منهم والأموات، ويضع في العرب السيف، فقالوا:

«عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

لويعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج، لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، أما أنه لا يبدأ إلا بقريش، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: هذا ليس من آل محمد، ولوكان من آل محمد لرحم»[٣].

وروى المفيد والطبرسي عن جعفر أنه قال:

«إذا قام القائم من آل محمد، أقام خمسمائة من قريش، فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعنقاهم، ثم خمسمائة أخرى، حتى يفعل ذلك ست مرات. قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم، منهم ومن مواليهم»[٤].

وأيضًا أنه سيف قاطع بين العرب، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا

(١) انظر كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٩.

(٢) أيضًا ص ٣١١.

(٣) أيضًا ص ٢٣٣.

(٤) الإرشاد للمفيد ص ٣٦٤، أعلام الورى للطبرسي ص ٤٦١، زمثله في كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٥.

يستتيب أحدًا[(١)].

ومثل ذلك ما رووه عن جعفر أيضًا أنه قال:

«إذا خرج القائم، لم يكن بينه وبين قريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف، وما يستعجلون بخروج القائم؟... وما هو إلا السيف، والموت تحت ظل السيوف»[(٢)].

فانظر الحقد والوتر على العرب عامة وعلى قريش خاصة. وهل هناك شك بعد ذلك في يهودية القوم ومجوسيتهم؟ أوتأسيس اليهودية وتكوين العنصر الإيراني عقائدهم ومعتقداتهم؟

وأخرج المجلسي في (البحار) عن جعفر أنه قال:

«إن القائم يسير في العرب في الجفر الأحمر، قال (أي الراوي، وهورفيد مولى ابن هبيرة) قلت: جعلت فداك، وما في الجفر الأحمر؟ قال: فأمرّ أصبعه على حلقه، قال: هكذا، يعني الذبح»[(٣)].

وروي أيضًا عنه أنه قال:

«إنه يخرج موتورًا غضبًا أسفًا... يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر، يقتل هوجاء. فأول ما يبدأ ببني شيبة، فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه: هؤلاء سرّاق الله. ثم يتناول قريشًا فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف»[(٤)].

يحي الأموات ويقتل أصحاب النبي

ولا يكتفي بقتل الأحياء منهم، ولا يروي عطشه دم هذا القدر من الناس، بل يبدأ بالأموات ـ حسب أساطيرهم وأباطيلهم ـ فيحييهم ثم يقتلهم، كما ذكروا أنه في عصره يحيي يزيد بن معاوية وأصحابه فيُقتلون حذو القذة بالقذة[(٥)].

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٥.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٣٣،٢٣٤.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج١٣ ص ١٨١.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٨.

(٥) انظر بحار الأنوار ج ١٣ ص٢١٩، تفسير العياشي ج٢ ص٢٨٢، البرهان ج٢ ص ٤٠٨، الصافي ج١ ص٩٥٩.

وليس هذا فحسب، بل جازفوا في القول، حتى قالوا:

«لو قام قائمنا، رد بالحميراء (أي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ﵄) حتى يجلدها الحد، وينتقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله»(١).

وأكثر من ذلك، بلغوا في اللؤم والخبث والحقد لحاملي رايات الإسلام، ومعلني كلمته، ومبلغي رسالته، ومدمري حضارة اليهود وشوكة المجوسية، إلى حد لم يتصوره العقل، ولم ترض به الإنسانية، فقالوا:

«إن القائم قال: ألا أنبئك بالخبر. أنه إذا فقد الصبي، وتحرك المغربي، وسار العماني، وبويع السفياني، يأذن الله لي فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا سواء. فأجيئ إلى الكوفة، وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة، وأحج بالناس حجة الإسلام. وأجيئ إلى يثرب، وأهدم الحجرة، وأخرج من بها وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بالخشبتين يصلبان عليهما، فتورق من تحتها، فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادي مناد من السماء: أبيدي، ويا أرض خذي. فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد خلص قلبه الإيمان. قلت: يا سيدي ما يكون بعد ذلك؟ قال: الكرة الكرة الرجعة»(٢).

وذكر هذا الجزائري بالتفصيل والصراحة حيث قال: «إن المفضل بن عمر روى عن جعفر أنه قال:

«إن بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على بقعة كربلاء، فأوحى الله عز وجل إليها أن اسكتي يا كعبة وما تفخري على كربلاء، فإنها البقعة المباركة التي قال فيها لموسى عليه السلام إني أنا الله، وهي موضع المسيح وأمه وقت ولادته، وإنها الدالية التي غسل بها رأس الحسين بن علي عليهما السلام، وهي التي عرج منها محمد صلى الله عليه وآله. وقال له المفضل: يا سيدي، يسير المهدي إلى أين؟ قال: إلى مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب، يظهر

(١) تفسير الصافي ص ٣٥٩ مجلد كبير.

(٢) البرهان في تفسير القرآن ج ٢ ص٤٠٧.

فيه سرور المسلمين وخزي الكافرين. فقال المفضل: ياسيدي ماهوذاك؟ قال: يرد إلى قبر جده فيقول يامعشر الخلائق هذا قبر جدي، فيقولون نعم يا مهدي آل محمد، فيقول ومن معه في القبر، فيقولون صاحباه (مصاحباه) وضجيعاه أبوبكر وعمر، فيقول عليه السلام، وهوأعلم الخلق من أبوبكر وعمر، وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعسى أن يكون المدفون غيرهما، فيقول الناس يا مهدي آل محمد، ما هاهنا غيرهما، وإنها دفنا معه لأنها خليفتاه وآباء زوجتيه، فيقول هل يعرفهما أحد؟ فيقولون نعم نحن نعرفهم بالوصف، ثم يقول هل يشك أحد في دفنهما هنا؟ فيقولون لا، فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخرجهما، فيخرجان طريين كصورتهما في الدنيا، فيكشف عنهما أكفانهما، ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة، فيصلبهما عليها، فتتحرك الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها. فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذه والله الشرف حقًا، ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما. فينشر خبرهما فكل من بقلبه حبة خردل من محبتهما يحضر المدينة، فيفتنون بهما، فينادي مناد المهدي عليه السلام هذان صاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أحبهما فليكن في معزل، ومن أبغضهما يكن في معزل. فيتجزأ الخلق جزئين، موال ومعاد. فيعرض على أوليائهما البراءة منهما. فيقولون يا مهدي ما كنا نبرأ منهما وما كنا نعلم أن لهما عند الله هذه الفضيلة، فكيف نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما ، بل والله نبرأ منك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما وممن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدي عليه السلام ريحًا فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية، ثم يأمر بإنزالهما فينزلان، فيحييهما بإذن الله، ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهم في كل كور ودور، حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم، وجمع النار لإبراهيم، وطرح يوسف في الجب، وحبس يونس في بطن الحوت، وقتل يحيى، وصلب عيسى، وعذاب جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسين عليهما السلام وإرادة إحراقهم بها، وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها

محسنا، وسم الحسن، وقتل الحسين عليه السلام، وذبح أطفاله وبني عمه، وسبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمد، وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حرامًا وكل رباء أُكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا. كل ذلك يعدده عليهما ويلزمهما إياه ويعترفان به، ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة، ويأمر نارًا تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة، ثم يأمر ريحًا فتنسفهما في اليـم نسفًا.

قال المفضل: يا سيدي هذا آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضل، والله ليردّن، وليحضرّن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضًا وكل من محض الكفر محضًا، وليقتصن منهما بجميع المظالم، ثم يأمر بهما فيقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب»[1].

ظلمه وقوته

ومن قسوته، أنهم ينقلون عنه عن جعفر أنه قال:

«بينا رجل على رأس القائم يأمره وينهاه، إذ قال: أديروه، فيديروه إلى قدامه، فيأمر بضرب عنقه، فلا يبقى في الخافقين شيئ إلا خافه»[2].

أنه يقتل المولـي، ويجهز الجريح[3].

وذكروا في رواية:

«بعث الله محمدًا صلى الله عليه وآله رحمـة، وبعث القائم نـقـمـة»[4].

---

(١) الأنوار النعمانية للجزائري ج٢ ص٨٦، ٨٧.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٩.

(٣) أيضًا ص ٢٣٢.

(٤) تفسير الصافي ص ٣٥٩ مجلد كبير.

يدعو إلى أمر جديد وكتاب جديد

ومن عقائد الشيعة الاثني عشرية، أن إمامهم الموهوم وغائبهم المعدوم، سيدعو الناس إلى كتاب جديد وأمر جديد. وقد نقلوا فيه روايات عديدة، منها ما رواها النعماني عن أبي جعفر - الإمام الخامس المعصوم عند الشيعة - أنه قال:

«يقوم القائم بأمر جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحدا»[١].

وعنه أن سُئل: أيسير بسيرة محمد صلى الله عليه وسلم؟

قال: هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته، قلت: جعلت فداك لمَ؟

قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في امته بالمن، كان يتألف الناس. والقائم يسير بالقتل، بذاك أمر في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدًا[٢].

وروي أيضًا عنه أنه قال:

«فوالله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام، يبايع الناس بأمر جديد شديد، وكتاب جديد، وسلطان جديد من السماء»[٣].

ومثل ذلك روى المجلسي في بحار الأنوار[٤].

ورروا أيضًا عن أبي عبدالله أنه سُئل:

«كيف سيرته؟ فقال: يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام من جديد»[٥].

وهذه الروايات واضحة في معناها، تنبئ بها دست اليهودية الأثيمة من الدسائس

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٣.

(٢) أيضًا ص ٢٣١.

(٣) أيضًا.

(٤) ج١٣ ص ١٩٤ وما بعد.

(٥) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٩٤.

الخبيثة بين الذين ينتسبون للإسلام. وتوضح معنى هذه الرويات رواية أخرى التي أوردها النعماني والمجلسي وغيرهما عن أبي جعفر أنه قال:

«لوقد خرج القائم من آل محمد عليهم السلام، لنصره الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين. ويكون جبرئيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله، والملائكة المقربون حذاه، وأول من يتبعه محمد صلى الله عليه وآله وسلم - وفي رواية يتبعه وفي أخرى يبايعه - وعليّ الثاني ومعه سيف مخترط، يفتح الله له الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر.

يا أبا حمزة، لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتت في دينهم، وتغير من حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحًا ومساءً من عظم ما يرى من كَلَب الناس، وأكل بعضهم بعضًا، وخروجه إذا خرج عند الإياس والقنوط.

فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره، والويل كل الويل لمن خافه وخالف أمره وكان من أعدائه، ثم قال: يقوم بأمر جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلا القتل ولا يستتيب أحدًا، ولا تأخذه في الله لومة لائم»[1].

فهذه هي حقيقة الأمر، وهذا هوأصل الشيعة الاثني عشرية، الذين يدعون بأنهم من الشيعة المعتدلين، وينفون انتسابهم إلى عبدالله بن سبأ اليهودي ،كونهم من أصل مجوسي إيراني، الناقمين على الإسلام، والباغين على الأمة الإسلامية، والطاعنين على أسلافهم وأعيانها، والشاتمين قوادها وسادتها.

وقد بيناها من كتبهم أنفسهم، وبعباراتهم هم.

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ص٢٢٤، ٢٣٥. ومثله في بحار الأنوار للمجلسي وغيره.

رجعة الأئمة مع رجعة القائم

ثم إن الشيعة الاثني عشرية، لا يعتقدون برجعة القائم فحسب، بل وأكثر من ذلك، يعتقدون بأن أئمتهم يرجعون أيضًا إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم، ويبقون، ويملكون، وينتقمون من الأعداء ويقتلونهم.

كما روى المجلسي عن جعفر أنه قال:

«أول من تنشق الأرض عنه، ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي، وإن الرجعة ليس بعامة وهي خاصة. لا يرجع إلا من محض الإيمان محضًا، أو محض الكفر محضًا»[1].

ورووا عن أبيه الباقر أنه قال:

«إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاركم الحسين بن علي عليه السلام، فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر»[2].

ولا الحسين وحده فحسب، بل يرجع معه سبعون رجلًا من أصحابه الذين قتلوا معه[3].

وفي رواية أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفًا من الرجال، ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدي عليه السلام، ثلاث مائة وتسع سنين[4].

ويرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه، ليأخذ الحسين وأصحابه ثأرهم منهم[5].

ويساعد الحسين وأصحابه في أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد وعساكره سبعون نبيًا ورسولا، ويكون أحدهم إسماعيل. كما حكى الجزائري حكاية باطلة بقوله:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص٢١٠، الصافي ج ١ ص٩٥٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١١، البرهان ج٢ ص ٤٠٧، الصافي ج١ ص٩٥٩، إثبات الهداة للعاملي ج٧ ص١٠٢.

(٣) تفسير العياشي ج٢ ص١٨١.

(٤) الأنوار النعمانية للجزائري ج٢ ص ٩٨،٩٩.

(٥) تفسير العياشي ج٢ ص٢٨٢، البرهان ج٢ ص٤٠٨، الصافي ج١ ص٢٥٩ تحت قوله تعالى: [ثم رددنا لكم الكرة عليهم]، بحار الأنوار ج١٣ ص٢١٩.

«وفي الأخبار الكثيرة عن بريد العجلي أنه سأل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى في إسماعيل أنه كان صادق الوعد، ما المراد بإسماعيل هذا؟ أهوابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام:

«لا، بل هوإسماعيل بن حزقيل، بعثه الله إلى جماعة، فكذبوه وسلخوا جلده ووجهه ورأسه. فبعث الله عليهم ملك العذاب، وهوسطاطائيل. فأتى إلى إسماعيل وقال: إن الله أرسلني إليك بما تأمر في عذابهم، فقال إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لي في عذابهم. فأوحى الله سبحانه إليه: إن كان لك حاجة إليّ فاطلبها. فقال: يا رب، إنك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحّدك، ونقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، وبإمامة الأئمة عليهم السلام، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين، ووعدت الحسين عليه السلام بالرجوع إلى الدنيا ليأخذ ثأره وينتقم من ظالميه، فحاجتي إليك يا رب أن ترجعني في زمانه، لأجل آخذ ثأري وقتل من قتلني. فقبل الله حاجته، وجعله من الذين يرجعون في زمان الحسين عليه السلام. وفي رواية أخرى، أن الحسين عليه السلام، يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفًا من الرجال»(١).

وقالوا:

إن الأئمة الاثني عشرية، كلهم يرجعون إلى الدنيا في زمن القائم، مع جماعتهم(٢).

ويرجع عليّ ونبيّ أيضًا

ولا يرجع الحسين وأصحابه ومعاوية ويزيد وأصحابه وسبعون نبيًا ممن مضوا في سالف الزمان وحدهم، بل ويرجع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى عليّ أيضًا، كما روى المجلسي عن بكير بن أعين، أنه قال:

«قال لي من لا أشك فيه، يعني أبا جعفر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليًا سيرجعان»(٣).

(١) الأنوار النعمانية للجزائري ج٢ ص٩٨.
(٢) الصافي ج١ ص ٣٤٧.
(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٠.

ورووا عن جعفر أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سرى بي ربي عز وجل، فأوحى إليّ من وراء حجاب ما أوحى، وكلمني بما كلم به، وكان مما كلمني به.. يا محمد، عليّ آخر من أقبض روحه من الأئمة»(١).

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك وأدهى وأمر، أنهم يروون عن جعفر أنه قال:

«لم يبعث الله نبيًا ولا رسولًا إلا ردهم جميعًا إلى الدنيا، حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام»(٢).

وعنه أيضًا، أنه قال:

«لا يبعث الله نبيًا ولا رسولًا إلا رُد إلى الدنيا من آدم فهلم جرا، حتى يقاتل بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام»(٣).

مع من فيهم سيد الأنبياء وإمام المرسلين.

كما روى الجزائري عن الباقر أنه قال:

«إن عليًا رضي الله عنه، خطب خطبة ذات يوم، فحمد الله فيها، وقال فيها ما قال، ومنه:

وقد أخذ الله الميثاق مني ومن نبيه، لينصرن كل منا صاحبه، فأما أنا فقد نصرت النبي صلى الله عليه وآله بالجهاد معه، وفتلت أعداءه، وأما نصرته لي وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام، فلم تحصل بعد، لأنه ماتوا قبل إمامتي، وبعد هذا سينصرونني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب، ويخرج الله لنصرتي الأنبياء من آدم إلى محمد، يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء، والكفار الأموات، الذين يحييهم الله تعالى، وأعجب، وكيف لا أعجب من أموات يحييهم الله تعالى، يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجًا فوجًا لبيك يا داعي الله، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها،

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٧.

(٢) نور الثقلين ج ١ ص ٣٥٩، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٠.

(٣) العياشي ج١ ص ٢٨١ تحت قول الله [لتؤمنن به ولتنصرنه]، البرهان ج١ ص ٢٩٥، بحار الأنوار ص ٢١٧.

حتى يقتلون الكافرين والجبارين والظالمين من الأولين والآخرين. حتى يحصل لنا ما وعدنا الله تعالى»[١].

ولا هذا فحسب، بل عمموا الرجعة، حيث قالوا:

«ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل»[٢].

وروى الطبرسي والمفيد:

«إذا آن قيام القائم، مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب، مطرًا لم ير الناس مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين في أبدانهم في قبورهم، فكأني أنظر إليهم من قبل جهينة، ينفضون رؤسهم من التراب»[٣].

وروى المفيد أيضًا:

«يخرج إلى القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلًا، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون»[٤].

دابة الأرض

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن دابة الأرض التي تخرج قبل قيام الساعة تكلمهم، يكون عليًا رضي الله عنه. كما رووا عن جعفر أنه قال:

«أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهونائم في المسجد، وقد جمع رملًا ووضع رأسه عليه، فحركه برجله، ثم قال: قم يا دابة الله. فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله أيسمي بعضنا بعضا بهذا الاسم؟. فقال: لا والله ما هوإلا له خاصة، وهوالدابة التي ذكر الله في كتابه: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص٩٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٠.

(٣) أعلام الورى ص ٤٦٢، الإرشاد للمفيد ص ٣٦٣، بحار الأنوار ج ١٣ ص٢٢٣.

(٤) الإرشاد للمفيد ص ٣٦٥، أعلام الورى للطبرسي ص ٤٦٤.

لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ [النمل: ٨٢] ثم قال: يا علي، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة، ومعك ميسم تسم به أعداءك»[(١)].

ثم إن عليًا ليست له رجعة واحدة، بل له رجعات كثيرة كما ذكرنا أنه قال في إحدى خطبه:

«إن لي رجعة بعد رجعة، وحياة بعد حياة. أنا صاحب الرجعات وصاحب الجولات»[(٢)].

هذا، ومثل هذا فإنه لكثير.

ومن غرائب الاعتقادات التي يعتقدها القوم، أنهم يقولون:

إن بعد قائمهم، اثني عشر مهديًا آخر. كما رووا عن جعفر عن أبائه عن علي، أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي كانت فيها وفاته: يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة. فأملى رسول الله وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع. فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إمامًا، ومن بعدهم اثنا عشر مهديًا. فأنت أول الاثني عشر إمامًا... وساق الحديث إلى أن قال: وليسلمها الحسن (يعني الإمام العسكري عليه السلام) إلى إبنه محمد المستحفظ من آل محمد صلى الله عليه وعليهم، فذلك اثنا عشر إمامًا. ثم يكون من بعده اثناعشر مهديًا. فإذا حضرته الوفاة، فليسلمها إلى إبنه أول المهديين. له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي، واسم أبي وهوعبدالله، والاسم الثالث المهدي، وهوأول المؤمنين»[(٣)].

وروى الطوسي: أنهم أحد عشر، كما حكى عن أبى حمزة عن جعفر أنه قال:

«يا أبا حمزة، إن منا بعد القائم أحد عشر مهديًا»[(٤)].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٣.

(٢) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٩٩.

(٣) بحار الأنوار ج ١٣ ص١٣٧.

(٤) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٨٥.

وإلى ذلك، تشير رواية النعماني، حيث يحكي عن أبي جعفر أنه قال:

«والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعا. قال: قلت له: ومتى يكون ذلك؟ قال: بعد موت القائم عليه السلام. قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت؟. فقال: تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلى يوم موته»[1].

ويؤيد ذلك أيضًا، دعاء شيعي يدعونه للمهدي، فيقولون في آخره:

«اللهم صلِ على ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم، وزد في آجالهم، وأعز نصرهم، وتَمم لهم ما أسندت إليهم من أمرك لهم، وثبت دعاتهم، واجعلنا لهم أعوانا، وعلى دينك أنصارا»[2].

وأخيرًا نأتي برواية أوردها محدث القوم نعمت الله الجزائري عن جعفر أنه قال:

«إن الشيطان لما قال: رب أنظرني إلى يوم يُبعثون. قال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فيخرج الشيطان مع جميع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم، وهوآخر يوم رجعة يرجعها أمير المؤمنين عليه السلام. فقال الراوي: كم لأمير المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال: إن له رجعات ورجعات، وما من إمام في عصر من الأعصار، إلا ويرجع معه المؤمنون في زمانه، والكافرون فيه، حتى يستولي أولئك المؤمنون على أولئك الكافرين فينتقمون منهم، فإذا جاء الوقت المعلوم، ظهر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه، وظهر الشيطان مع أصحابه، فيتلاقى العسكران على شط الفرات في مكان اسمه الروحا قريب الكوفة، فتـقع بينهم حرب لم يقع في دنيا من أولها وآخرها، وكأني أرى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين، حتى تقع أرجلهم في الفرات، فعند ذلك يرسل الله سحابة مملوءة من الملائكة، يتقدمها النبي صلى الله عليه وآله، وبيده حربة من نور. فإذا نظر الشيطان أدبر فارًا، فيقول له أصحابه: إلى أين تفـر ولك الظفر عليهم؟ فيقول: إني أرى مالا ترون، إني أخاف من

(١) كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٣٢.

(٢) مفاتيح الجنان ص ٥٤٢.

عقاب رب العالمين. فيصل النبي صلى الله عليه وآله، ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هووجميع عساكره. فعند ذلك يـعبد الله على الإخلاص، ويرتفع الكفـر والشرك. ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة، ويُـولد لكل واحد من شيعته ألف ولد من صلبه في كل سنة ولد. وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذي قال الله تعالى مد هامّـتان، وفيهما من الاتساع مالا يعلمه إلا الله تعالى»[١].

وهذا آخر ما أردنا ذكره من خرافات القوم ومعتقداتهم، انتخبناها من الكثير الكثير. ولهم كتب مستقلة في هذا الباب.

الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله

وكي لا يطول بنا الحديث، نذكر فقط رواية واحدة تشتمل على خطبة علي رضي الله عنه حسب زعم القوم، وفيها كل ما يعتقده القوم من الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله، تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرًا.

يذكر الجزائري هذه الخطبة في كتابه المشهور رواية عن محمد الباقر أنه قال:

«إن أمير المؤمنين عليه السلام، خطب خطبة ذات يوم فحمد الله، وأثنى عليه بالوحدانية، وقال: إن الله سبحانه تكلم بكلمة، فصارت نورًا، فخلق منه نور النبي ونوري ونور الأئمة. وتلكم بكلمة أخرى، فصارت روحًا، فأسكنها في ذلك النور. وذلك النور مع تلك الروح، ركبها في أبداننا معاشر الأئمة. فنحن الروح المصطفاة، ونحن الكلمات التامات، ونحن حجة الله الكاملة على الخلق. فنحن نورًا أخضر، حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوق ولا مخلوقات.

وكنا نسبح الله ونقدسه قبل خلق الخلق. فأخذ الله لنا العهد من أرواح الأنبياء على الإيمان بنا، وعلى نصرتنا. وهذا معنى قوله سبحانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ

(١) الأنوار النعمانية للجزائري ج٢ ص ١٠١،١٠٢.

وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ [آل عمران: ٨١] فقال عليه السلام: يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله، ونصرة وصيّه. وهذه النصرة قد صارت قريبة. وقد أخذ الله الميثاق مني ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه، فأما أنا فقد نصرت النبي صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه. وأما نصرته لي وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد،لأنهم ماتوا قبل إمامتي، وبعد هذا سينصرونني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب، ويخرج الله لنصرتي الأنبياء من آدم إلى محمد، يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء، والكفار الأموات الذين يحييهم الله تعالى. وأعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم الله تعالى، يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجًا لبيك لبيك يا داعي الله. ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها، حتى يقتلون الكافرين الجبارين والظالمين من الأولين والآخرين. حتى يحصل لنا ما وعدنا الله. ثم تلى هذه الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

قال عليه السلام: يعني يعبدونني ولا يتقون من أحد، لأن لي رجعة بعد رجعة، وحياة بعد حياة. أنا صاحب الرجعات، وصاحب الصولات، وصاحب الإنتقامات، وصاحب الدولة العجيبة. أنا حصن الحديد، وأنا عبدالله وأخورسوله، وأنا أمين الله على علمه، وصندوق سرّه وحجابه وصراطه وميزانه وكلمته، أنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى، أنا صاحب الجنة والنار، أسكن أهل الجنة في جنتهم، وأهل النار في نارهم، وأنا الذي أزوّج أهل الجنة. وإليّ مرجع هذا الخلق في القيامة، وعليّ حسابهم.

وأنا المؤذن على الأعراف، وأنا الذي أظهر آخر الزمان في عين الشمس، وأنا دابة الأرض التي ذكرها الله في الكتاب أظهر آخر الزمان، ومعي عصا موسى وخاتم سليمان أضعه في وجه المؤمن والكافر، فتنقش فيه هذا مؤمن حقًّا، وهذا كافر حقًّا.

وأنا أمير المؤمنين وإمام المتقين ولسان المتكلمين وخاتم أوصياء النبيين ووارثهم

وخليفة الله على العالمين. وأنا الذي علمني الله علم البلايا والمنايا وعلم القضاء بين الناس. وأنا الذي سخر لي الرعد والبرق والسحاب والظلمة والنور والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم. أيها الناس، اسألوني عن كل شيء»[١].

فهذه الرواية، ومثل هذه الرواية وإنها لكثيرة جدًا موجودة منتشرة في كتب القوم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

فهذه العقائد التي تتبناها الشيعة الاثنا عشرية وتعتقدها، ويعتقدها الإماميون والجعفريون الذين يُعدون من الشيعة المعتدلة. وهي عين تلك العقائد التي وضع بذروها عبدالله بن سبأ، ونشرتها السبئية وروجتها بين الفئات الشيعية المختلفة. ولولا خوف الإطالة، لأكثرنا الروايات التي وردت في كتبهم المعتبرة المعتمدة الموثوقة لديهم. ولكننا نرى أن ما ذكر فيه الكفاية لمن أراد أن يتثبت ويتحقق. وكذلك لمن أراد أن يتبصّر ويهتدي. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ونختم الكلام في هذا الموضوع، بنقل آراء بعض المستشرقين في علاقة الشيعة بالسبئية، أوبتعبير صحيح بالعقائد الأجنبية المدسوسة بين المسلمين، يهودية كانت أم إيرانية، التي لا تمت إلى الإسلام بصلة لا قريبة ولا بعيدة.

فيقول المستشرق دوزي:

«كانت الشيعة في حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربي الذي يحب الحرية، وبين الجنس الفارسي الذي اعتاد الخضوع كالعبيد.

لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي، أمرًا غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد لم يترك ولدًا يرثه، فإن عليًا هو الذي يجب أن يخلفه، وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي.

ومن هذا، فإن جميع الخلفاء ـ ماعدا عليًا ـ كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة. وقوّى هذا الاعتقاد عندهم، كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية، فكانوا في الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم. وهم قد اعتادوا

(١) الأنوار النعمانية لنعمت الله الجزائري ج٢ ص ٩٩، ١٠٠.

أيضًا أن يروا في ملوكهم أحفادًا منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته. فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي، كانت في نظرهم الواجب الأعلى، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يُفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيرًا رمزيًا، وأن يتجاوزها ويتعداها.

لقد كان «الإمام» عندهم هو كل شيء، إنه الله قد صار بشرًا، فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات، ذلك هو الأساس في مذهبهم[1].

وبمثل ذلك، قال المستشرق ملر، وزاد عليه:

«أن الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك إلى الأبناء»[2].

ويذكر هذه الآراء، مستشرق ألماني متعاطف على الشيعة، ولهوزن فيقول:

«أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين، فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين، فليست تلك الملاءمة دليلًا عليه. بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك. إذ تقول أن التشيّع الواضح الصريح كان قائمًا أولًا في الدوائر العربية، ثم انتقل بعد ذلك منها إلى الموالي، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الدوائر، وأولئك الذين كانوا يتواثبون حول الكرسي المقدس يذكرون أنهم «السبئية (ص ٧٠٣ س ١٧، ص٧٠٤ س ١١) ولم يكونوا من الموالي، بل من العرب، إذ كانوا من عشائر: نهد وخارف وثور وشاكر وشبام. وهؤلاء السبئية كانوا على علاقات سيئة بعشائرهم، نتيجة لمذهبهم الغريب، خصوصًا شبام بالنسبة إلى قبيلة همدان. بينما كانوا على علاقات وثيقة جدًا بالمختار، ومن أجله خاضوا النار، ووشوا بقبائلهم.

ونجد حديثًا عن بطانة من الشيعة العرب، كانت تجتمع في منزلي امرأتين بارزتين. وتذكر أسماء بعض أفراد هذه البطانة، ومنهم ابن نوف الهمداني، الذي كان ينافس مولاه وأستاذه (المختار) في التنبؤ، لقد كان يصنع وحيًا لدى الكرسي المقدس، وكان

(١) مقالة في تاريخ الإسلام للدوزي ص ٢٢٠ وما بعد.
(٢) كتاب ملر، ج ١ ص ٣٢٧.

أحد عمومة الأعشى ممن تأثر لهذا الوحي، وكان أول سادن للكرسي، هوموسى بن أبي موسى الأشعري، ثم تلاه حوشب البرسمي، والبيئة هنا كلها يمنية، ويقال أن المختار قد أظهر الكرسي على أنه كرسي علي بن أبي طالب، ولكن ثمة روايات أخرى تقول بعكس ذلك، وهذه الروايات الثانية أقرب إلى التصديق، وعلى كل حال، فقد كان الكرسي في حوزة اليمنيين، وأصله إنما يبحث لديهم، ولم يكن اختراعًا أبدعه الهوى، بل مثله مثل الحجر الأسود كان قطعة وثنية، وفي الأصل كرسي الله ثم كرسي علي،لأنهم ألهوا عليًا، وكراسي الله الخالية هذه نجدها كثيرًا، وإن لم تكن عادة من الخشب.

ومنشأ السبئية، يرجع إلى زمان علي والحسن، وتنسب إلى عبدالله بن سبأ. وكما يتضح من اسمه الغريب، فإنه كان أيضًا يمنيًا.

والواقع أنه من العاصمة صنعاء، ويُقال أنه كان يهوديًا، وهذا يقود بالقول بأصل يهودية الفرقة السبئية»[(١)].

ثم يقول:

«يلوح أن مذهب الشيعة الذي يُنسب إلى عبدالله بن سبأ أنه مؤسسه، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين. والدليل على هذا ما سأحاول هنا إيراده بطريقة عارضة، دون أن أعير المسألة من الأهمية أكبر مما تستحق.

كان القدماء من أنصار علي، يعدونه في مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين في خلافته ـ في سلك واحد ـ وكان يوضع في مقابل الأمويين المغتصبين للخلافة بوصفه استمرارًا للخلافة الشرعية، وحقه في الخلافة ناشئ عن أنه كان من أفاضل الصحابة، وأنهم وضعوه في القمة، وتلقى البيعة من أهل المدينة. ولم ينشأ هذا الحق ـ أوعلى الأقل لم ينشأ مباشرة ـ عن كونه من آل بيت الرسول، ومع ذلك فيبدوأن آل البيت أنفسهم قد ادعوا حق ميراث الخلافة عن رسول الله منذ البداية. وبعد وفاة علي، كانت المعارضة ضد الأمويين تنظر إلى أبناء عليّ على أنهم المطالبون الشرعيون للخلافة.

(١) الخوارج والشيعة لولهوزن ص١٦٩،١٧٠ ط.عربي.

ولكن المسألة هنا كانت مقصورة على دعوى الخلافة، ولا بد أن نميز بين هذا وبين دعوى النبوة. وزعم أن النبوة لم تنته بمحمد، بل استمرت في علي وبنيه، كان هذا الزعم هوالخطوة الأخيرة.

إن الفكرة القائلة بأن النبي ملك يمثل سلطان الله على الأرض قد انتقلت من اليهودية إلى الإسلام. ولكن الإسلام السني يقول إن محمدًا خاتم النبيين، وبعد وفاته حلت محله الشريعة، وهي أثر مجرد غير مشخص، ومعوض عنه أقل قيمة بكثير جدًا. فكان ذلك نقصًا ملموسًا، فمن هنا تبدأ نظريات الشيعة.

وكان المبدأ الأساسي الذي بدأ منه مذهبهم هو:

أن النبوة، وهي المعوض الشخصي الحي للسلطة الإلهية، تنتسب بالضرورة إلى الخلافة، وتستمر تحيا فيها. وقبل محمد وجدت سلسلة طويلة متصلة من الأنبياء الذين يتلوبعضهم بعضًا، على نحوما يقول اليهود، (سلسلة دقيقة من الأنبياء).

وكما يذكر في أصحاح ١٨ من سفر «ثنية الإشتراع» من أنه لم يخل الزمان أبدًا من نبي يخلف موسى ومن نوعه. وهذه السلسلة لا تقف عند محمد. ولكل نبي خليفته إلى جانبه يعيش أثناء حياته (وهذا الزميل الثاني هوأيضًا فكرة يهودية) فكما كان لموسى خليفة هويوشع، كذلك لمحمد خليفة هوعليّ، به يستمر الأمر. على أن كلمة «نبي» لم تطلق على عليّ وبنيه ـ بل أطلق عليهم أسماء «الوصي» أو«المهدي» أو«الإمام» عامة ـ ولكن إن لم يطلق عليهم الاسم، فإن الحقيقة الفعلية كانت مقصودة بوصفهم عارفين بالغيوب وتجسيدات للخلافة عن الله[1].

وأخيرًا يذكر:

«وأقيم تأليه بيت الرسول على أساس فلسفي بواسطة مذهب «الرجعة» أو(تناسخ الأرواح) فالأرواح تنتقل بالموت من جسم إلى جسم، وثمة بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا، وهذا في تناقض حاد مع القول ببعث واحد عند زوال الدنيا، ويستفيد هذا المذهب أهمية عملية، خصوصًا عن طريق رفعه إلى روح الله التي

(١) الخوارج والشيعة لولوزن ص ١٧١، ١٧٢.

تحل في نفوس الأنبياء، فهذه الروح تنتقل من نبي إلى نبي آخر بعد وفا السابق، ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد، ويتتابعون حتى يبلغوا لف نبي. وتبعًا لهذا فإن الأنبياء جميعًا بما يُبـعث في كل منهم من روح الله، والحق ن النبي الصادق الحق واحد يعود بدًا من جديد.

وبهذا المعنى قالوا ن محمدًا يُبعث في عليّ وآل عليّ.

ويبنون ذلك على الآية ٨٥ من السور ٢٨، والآية ٨ من السور ٨٢.

وهذا يُذكـر كثيرًا بالفكر (المحتمل جدًا نها) يهودية، وإن كانت من البدع اليهودية، التي وردت في المواعظ المنحولة على كليمانس (pscudoclementinen) فروح الله تتحد في آدم مع شخص إنسان يظهر بصفة النبي الصادق في صور متعدد ، وقد قدر له السياد على الملكوت الدائم. راجع: ((1, 1, p.283 Gieselers KG.(4. Aufl.).

ولكن المتأخرين قد فهموا ـ فيما يبدو ـ «الرجعة» على نحوآخر، فقد تصوروها على نحوديالكتيكي. فقالوا بفترة «غيبة» دورية للإمام الصادق، ثم سموها ـ في مقابل ذلك ـ ظهوره من جديد «رجعة».

والمعنى الأصيل للرجعة يظهر جليًا من مرادفتها لتناسخ الأرواح، والسيد الحميري يؤمن أيضًا برجعته نفسه، ومن أجل ذلك كانوا يسخرون منه، ويشنعون عليه («الأغاني» ج ٧ ص ٨). كما يتضح أيضًا من كون كثيّر كان يعد جميع أبناء الحسن الحسين أنبياء صغارًا، لأنه كان يؤمن بالرجعة (الأغاني ٨/ ٣٤)، وكذلك من كون محمد كان ينظر إليه على أنه يرجع، خصوصًا في ورثة دمه (آله) ونبوته»[١].

ثم نقـل ما قاله أبوحمزة الخارجي في خطبة له على المنبر بالمدينة المنوّرة عن الشيعـة نقلًا عن (الأغاني) أنه قال:

«شيعة ظاهرت بكتاب الله، وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقـل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب. قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع ما يـقوله لهم، غيًا كان

(١) أيضًا ١٧٣، ١٧٤.

أورشدًا، أوضلالة أوهدى.

ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويُؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدّعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أويحويه جسمه. ينقمون المعاصي على أهلها، ويعملون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرج منها، جفاة في الدين، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل البيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة»[1].

وبمثل ذلك القول، قال هشام بن عبدالملك الأموي في كتاب له إلى يوسف بن عمر:

«إن عبادة الشيعة لله، كانت عبادة لبني الإنسان، والنتيجة لذلك قيصرية بابوية معًا، كانوا يعترضون على إمامة السلطة القائمة، ولكن إمامتهم الشرعية القائمة على دم الرسول (ذرية آل البيت) لم تكن أفضل منها، إذ كانت تفضي إلى إهدار القانون، وكسر الشريعة، فالإمام عندهم كان فوق النصوص الحرفية، وكان يعلم الغيب، فمن اتبعه وأطاعه، سقطت عنه التكاليف، وخلا من المسؤولية»[2].

ولا بأس بنقل ما كتبه أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) عن الشيعة، ولوأننا ذكرنا منه جزء فيما مر، فإنه قال:

« والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أوحقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتيه وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواءهم، فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول في الرجعة، وقال الشيعة: إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلًا، كما قال اليهود: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات.

---

(١) الخوارج والشيعة ص ١٧٥.

(٢) أيضًا ص ١٧٥ نقلًا عن الطبري ج ٢ ص ٨٨٢.

والنصرانية ظهرت في التشيع، في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه. وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام. وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدًا، فمن اتحد به اللاهوت فهونبي.

وتحت التشيع، ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحوذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام.

وتستر بعض الفرس بالتشيّع، وحاربوا الدولة الأموية، وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم، والسعي لاستقلالهم. قال المقريزي:

«واعلم إن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانت سعة الملك وعلواليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها، بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم. فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكان العرب عند الفرس أقل من الأمم خطرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فاظهر قوم منهم لإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم عليّ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهدى.

وقد ذهب الأستاذ «ولهوسن» إلى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية، مستدلًا بأن مؤسسها عبدالله بن سبأ وهويهودي. ويميل الأستاذ «دوزي» إلى «أن أساسها فارسي، فالعرب تدين بالحرية، والفرس يدينون بالمَلِك، وبالوراثة في بيت المالك، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة، وقد مات محمد ولم يترك ولدًا، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب. فمن أخذ الخلافة منه كأبي بكر وعمر وعثمان والأمويين، فقد اغتصبها من مستحقها.

وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهي، فنظروا هذا النظر نفسه إلى عليّ وذريته وقالوا: إن طاعة الإمام أول واجب، وإن طاعته إطاعة الله».

والذي أرى ـ كما يدلنا التاريخ ـ أن التشيع لعلي بدأ قبل دخول الفرس الإسلام،

ولكن معنى ساذج، وهوأن عليًا أولى من غيره من وجهتين، كفايته الشخصية، وقرابته للنبي، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة، وهذا الحزب ـ كما رأينا ـ وُجد من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ونما بمرور الزمان وبالمطاعن في عثمان، ولكن هذا التشيّع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية. وأن كل قوم من هؤلاء، كانوا يصبغون التشيّع بصيغة دينهم. فاليهود تصبغ الشيعة يهودية، والنصارى نصرانية، وهكذا.

وإذ كاد أكبر عنصر دخل في الإسلام هو العنصر الفارسي، كان أكبر الأثر في التشيع إنما هو الفرس[1].

وهذا آخر ما أردنا إثباته في كتابنا هذا، والله يهدينا إلى سبيل الرشاد، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه من خدمة دينه، ورفع كلمته والدفاع عن شريعته وحملة شريعته محمد وأصحابه وأهل بيته أجمعين، وصلى الله على نبينا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

(١) فجر الإسلام ص ٢٧٦ إلى ٢٧٨.

مصادر الكتاب ومراجعه

١-إثبات الوصية للمسعودي. ط: نجف.
٢-أجمع الفضائح للملا كاظم. ط: إيران.
٣-الاحتجاج للطبرسي. ط: قم، إيران.
٤-إحقاق الحق للشوستري ط: إيران.
٥-الأخبار الطوال للدينوري ط: بغداد.
٦-أدوار علم الفقه لآل كاشف الغطاء. ط: بيروت ١٣٩٩ هـ.
٧- الأرجوزة المختارة للقاضي النعمان. ط: مونتريال. كندا ١٩٧٠م.
٨- الإرشاد للمفيد ط: إيران.
٩- أساس الأصول لدلدار علي. ط: الهند.
١٠- الاستبصار للطوسي. ط: طهران طبعة ثالثة ١٣٩٠هـ.
١١- أسرار الشهادة للدربندي. ط: إيران.
١٢- الأشعثيات للأشعث الكوفي. ط: إيران.
١٣- أصل الشيعة وأصولها لآل كاشف الغطاء. ط: بيروت.
١٤- أصول العقيدة لمهدي الصدر. ط: بيروت.
١٥- أصول الفقه لمحمد رضا المظفر. ط: القطيف، السعودية.
١٦- الاعتقادات لابن بابويه. ط: طهران.
١٧- أعلام الورى للطبرسي. ط: دار الكتب الإسلامية، طبعة ثالثة، إيران.
١٨- أعيان الشيعة لمحسن الأمين. ط: بيروت.
١٩- الأغاني للأصفهاني. ط: بيروت، لبنان.
٢٠- الأمالي لابن بابويه القمي. ط: بيروت.
٢١- الأمالي للطوسي. ط: قم، إيران.
٢٢- أمالي المرتضى. ط: بيروت ١٣٨٧ هـ.
٢٣- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر. ط: بيروت.

٢٤- أمل الآمل.
٢٥- أمير المؤمنين لمحمد جواد الشري.
٢٦- الانتصار للمرتضى. ط: نجف، ١٣٩١هـ.
٢٧- أنساب بيوتات قاين. ط: طهران، إيران.
٢٨- الأنوار النعمانية للجزائري. ط: تبريز.
٢٩- الإيقان المحلي.
٣٠- الإيقاظ من الهجعة للحر العاملي. ط: قم، إيران ١٣٨١هـ.
٣١- الباكورة السليمانية. ط: بيروت.
٣٢- بحار الأنوار للمجلسي. ط: قديم، إيران.
٣٣- بشارة المصطفى لأبي جعفر. ط: نجف.
٣٤- تاريخ الإمامية لعبدالله فياض. ط: بيروت، لبنان.
٣٥- تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري. ط: قم، إيران.
٣٦- تاريخ ما بعد الظهور لمحمد الصدر. ط: بيروت.
٣٧- تاريخ طرازمذهب مظفري. ط: إيران.
٣٨- تاريخ العلويين للطويل. ط: إيران.
٣٩- تاريخ اليعقوبي. ط: بيروت ١٣٧٩هـ.
٤٠- تأسيس الشيعة للعلوم الإسلامية للسيد حسن الصدر. ط: بيروت.
٤١- تبصرة المعلمين لابن المطهر الحلي. مجمع الذخائر الإسلامية، إيران.
٤٢- تتمة المنتهى للعباس القمي. ط: إيران.
٤٣- تحف العقول عن آل الرسول للمراني ط: نجف ١٣٨٠هـ.
٤٤- تحفة الأحباب. ط: إيران.
٤٥- تفسير البرهان للبحراني. ط: قم، إيران.
٤٦- تفسير البصائر لرستكار. ط: إيران.
٤٧- تفسير العياشي. ط: إيران.
٤٨- تفسير العسكري. ط: الهند، القديم.

٤٩- تفسير فرات الكوفي. ط: قم، إيران.
٥٠- تفسير القمي. ط: نجف ١٣٨٦هـ.
٥١- تفسير الصافي للفيض الكاشاني. ط: كبير إيران.
٥٢- تفسير الكاشف للمغنية. ط: بيروت.
٥٣- تفسير مجمع البيان للطبرسي. ط: بيروت.
٥٤- تفسير منهج الصادقين لفتح الله الكاشاني. ط: طهران، إيران.
٥٥- تفسير الميزان للطباطبائي. ط: بيروت.
٥٦- تفسير نور الثقلين للحويزي. ط: قم، إيران.
٥٧- تلخيص الشافي للطوسي. ط: إيران.
٥٨- التنبيه والإشراف للمسعودي. ط: إيران.
٥٩- جامع الرواة للأردبيلي الحائري. ط: قم، إيران ١٤٠٣هـ.
٦٠- جامع السعادات للتراقي. ط: بيروت.
٦١- الجامع في الرجال للزنجاني. ط: قم، إيران.
٦٢- جلاء العيون للمجلسي. ط: طهران، إيران.
٦٣- حجة اثنا عشري لحقكوفارسي. ط: إيران.
٦٤- حديقة الشيعة للمقدسي الأردبيلي. ط: طهران، إيران.
٦٥- حق اليقين للمجلسي. ط: طهران.
٦٦- حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبدالله الشبر. ط: إيران.
٦٧- حلية المتقين للمجلسي. ط: طهران.
٦٨- حملة حيدري للمرزة بازل. ط: إيران.
٦٩- حياة القلوب للمجلسي. ط: طهران، إيران.
٧٠- الخلاصة للحلي.
٧١- دائرة المعارف الشيعية لحسن الأمين. الطبعة الثانية ١٣٩٣ بيروت.
٧٢- دعوة الحق وقول الصدق للصافي. ط: بيروت.
٧٣- دلائل الصدق للمظفر.

٧٤- ذخائر العقبي. ط: بيروت.
٧٥- ذرائع البيان للنجفي. ط: إيران.
٧٦- رجال الكشي. ط: كربلاء.
٧٧- رجال الطوسي. ط: نجف، ١٣٨٠هـ
٧٨- رجال النجاشي. ط: قم، إيران.
٧٩- رجال أبي داود.
٨٠- الرسائل للخميني. ط: قم، إيران ١٣٨٥هـ.
٨١- روضة الواعظين للفتال النيسابوري. ط: قم، إيران.
٨٢- روضة الصفا فارسي. ط: إيران.
٨٣- روضات الجنات للخوانساري. ط: قم، إيران.
٨٤- رياحين الشريعة للمحلاني. ط: إيران.
٨٥- رياض العلماء.
٨٦- الشافي للشريف المرتضى. ط: إيران.
٨٧- شرائع الإسلام للحلي. ط: إيران.
٨٨- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ط: بيروت.
٨٩- شرح نهج البلاغة لابن الميثم. ط: إيران.
٩٠- شرح نهج البلاغة للدنبلي. ط: إيران.
٩١- شرح نهج البلاغة لعلي النقي. ط: إيران.
٩٢- شرح نهج البلاغة للكاشاني. ط: إيران.
٩٣- الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للقزويني. ط: الكويت.
٩٤- الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين. ط: الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٩٥- الشيعة في الميزان للمغنية. ط: بيروت.
٩٦- شيعة در إسلام للطباطبائي. ط: إيران.
٩٧- الشيعة بين الحقائق والأوهام لمحسن الأمين. ط: الطبعة الثالثة، بيروت

١٣٩٧هـ.
٩٨- الصافي للقزويني في شرح أصول الكافي.
٩٩- الصراط المستقيم للنباتي. ط: الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ إيران.
١٠٠- الصحيفة الكاملة لزين العابدين. ط: بيروت.
١٠١- الصلح الحسن لآل ياسين. ط: إيران.
١٠٢- الصلة بين التصوّف والشيعة. ط: بغداد.
١٠٣- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاؤس. ط: قم، إيران ١٤٠٠هـ.
١٠٤- طرائق الحقائق للحاج معصوم علي. ط: إيران.
١٠٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.
١٠٦- عمدة الشريعة في الإمامية لمحمد باقر الشريعتي. ط: قم، إيران.
١٠٧- علل الشرائع لابن بابويه القمي. ط: بيروت، لبنان.
١٠٨- علل الشرائع للصدوق. ط: بيروت.
١٠٩- علم أصول الفقه للمغنية. ط: بيروت.
١١٠- عين الحياة للمحلي. ط: إيران.
١١١- عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي. ط: طهران، إيران.
١١٢- عيون الأخبار وفنون الآثار للقرشي. ط: بيروت.
١١٣- عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي. ط:طهران، إيران.
١١٤- الغارات للثقفي. ط: إيران.
١١٥- فرق الشيعة للنوبختي. ط: كربلاء.
١١٦- الفصول المهمة للحر العاملي. ط: قم، إيران.
١١٧- الفصول المهمة لمعرفة الأئمة لابن الصباغ. ط: إيران.
١١٨- فضائل أمير المؤمنين لمحمد حسن المظفر.
١١٩- فقه القرآن للراوندي. ط: قم، إيران ١٣٩٩هـ.
١٢٠- فقه الشيعة للقزويني. ط: إيران.
١٢١- الفكر الشيعي والنزاعات الصوفية للشيبي. ط: بغداد ١٣٨٦هـ.

١٢٢- الفهرست للنجاشي. ط: نجف.
١٢٣- الفهرست لابن النديم. ط: بيروت، لبنان.
١٢٤- فهرست لأبي القاسم الإبراهيمي. ط: إيران.
١٢٥- الفوائد الرضوية للقمي. ط: إيران.
١٢٦- الفوائد الرضزية للإستراآبادي. ط: إيران.
١٢٧- قرب الإسناد للحميري القمي. ط: طهران، إيران.
١٢٨- قصص الأنبياء للراوندي. إيران.
١٢٩- قصص الأنبياء للجزائري. ط: بيروت.
١٣٠- الكافي للكليني. ط: إيران.
١٣١- كامل الزيارات لابن قلوية. ط: إيران.
١٣٢- كتاب سليم بن قيس العامري. ط: بيروت ١٤٠٠هـ.
١٣٣- كتاب الخصال لابن بابويه القمي. ط: طهران، إيران ١٣٨٩هـ.
١٣٤- كتاب الغيبة للطوسي. ط: إيران.
١٣٥- كتاب الغيبة للنعماني. ط: إيران.
١٣٦- كتاب كمال الدين والنعمة لابن بابويه. ط: طهران طبعة ثانية ١٣٩٥هـ.
١٣٧- كتاب الخرائج والجرائح للراوندي. ط: إيران.
١٣٨- كتاب المناقيب لابن شهر آشوب. ط: قم، إيران.
١٣٩- كتاب الخلاف للطوسي. ط: قم، إيران.
١٤٠- كتاب الرجال للحلي. ط: نجف ١٣٨١هـ.
١٤١- كتاب الشيعة والسنة في الميزان لمؤلف مجهول. ط:بيروت، لبنان.
١٤٢- كتاب البلدان لليعقوبي. ط: مصر.
١٤٣- كشف الغمة للأردبيلي. ط: بيروت.
١٤٤- كتاب صفين لابن مزاحم. ط: بيروت.
١٤٥- كشف الأسرار عن وجه الغائب عن الأبصار للنوري الطبرسي. ط: قم ١٤٠٠هـ.

١٤٦- كتاب الزهد للأهوازي. ط: إيران ١٤٠٢هـ.
١٤٧- لغت نامه دهخدا. ط: إيران.
١٤٨- متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب. ط: قم، إيران.
١٤٩- مجالس المؤمنين للشوستري. ط: إيران.
١٥٠- المجالس السنية لابن شهر آشوب. ط: إيران.
١٥١- مجمع البيان للطبرسي. ط: بيروت، لبنان.
١٥٢- المحاسن للبرقي. ط: قم، إيران،الطبعة الثانية.
١٥٣- مدارج نهج البلاغة لكاشف الغطاء. ط: بيروت.
١٥٤- مرآة العقول للمجلسي. ط: قديم. إيران.
١٥٥- مروج الذهب للمسعودي. ط: بيروت.
١٥٦- المراجعات لشرف الدين الموسوي.
١٥٧- مستدرك الوسائل للنوري المجلسي. ط: مكتبة دار الخلافة، طهران.
١٥٨- مصائب النواصب للشوستري، إيران.
١٥٩- مشجر الأولياء لنوربخش، باكستان.
١٦٠- مشارق أنوار اليقين للبرسي. ط: بيروت١٩٧٨ م.
١٦١- مصحف الدروز.
١٦٢- معالم الأصول لجمال الدين. ط: إيران.
١٦٣- معراج السعادة للنراقي. ط: إيران.
١٦٤- معالم العلماء.
١٦٥- معاشر الأصول.
١٦٦- معجم المؤلفين للكحالة. ط: بيروت.
١٦٧- مع الشيعة الأمامية للمغنية. ط: بيروت.
١٦٨- مفاتيح الجنان. ط: إيران.
١٦٩- المقالات والفرق لسعد بن عبدالله القمي. ط: طهران ١٩٦٣م.
١٧٠- مقاتل الطالبين للأصفهاني. ط: بيروت.

١٧١ - مقتل أبي مخنف. ط: بيروت.
١٧٢ - من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي. ط: طهران.
١٧٣ - منار الهدى لعلي البحراني.
١٧٤ - منتهى الآمال لعباس القمي. ط: طهران، إيران.
١٧٥ - منهاج الكرامة للحلي. أوفست باكستان ١٣٩٦هـ.
١٧٦ - ناسخ التواريخ للميرزه تقي خان. ط: قديم، إيران.
١٧٧ - النجم الثاقب للنوري الطبرسي. ط: نجف.
١٧٨ - نهاية الدراية.
١٧٩ - نقد الرجال للتفرشي. ط: إيران.
١٨٠ - نقد الرجال. ط: إيران.
١٨١ - نهج البلاغة بتحقيق صبحي صالح. ط: بيروت.
١٨٢ - نهج البلاغة بتحقيق محمد عبده. ط: مصر.
١٨٣ - هوية التشيع لأحمد الوائلي. ط: بيروت.
١٨٤ - وسائل الشيعة للحر العاملي. ط: بيروت.

كتب التاريخ والرجال والفرق للسنة:

١٨٥ - أساس البلاغة للزمخشري المعتزلي.
١٨٦ - أسد الغابة لابن الأثير.
١٨٧ - إزلة الخفاء عن خلافة الخلفاء للشاه ولي الله.
١٨٨ - الإصابة لابن حجر.
١٨٩ - أصول الدين للبغدادي.
١٩٠ - أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان.
١٩١ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي. ط: الأزهر. القاهرة. ١٣٩٨هـ.
١٩٢ - الإكمال لابن ماكولا.
١٩٣ - الأنساب للسمعاني.
١٩٤ - أنساب الأشراف للبلاذري.

١٩٥- البداية والنهاية لابن كثير. ط: بيروت.
١٩٦- البابية للمؤلف.
١٩٧- البهائية للمؤلف.
١٩٨- التاريخ الصغير.
١٩٩- تاريخ بغداد للخطيب.
٢٠٠- تذكرة الحفاظ للذهبي.
٢٠١- تهذيب التهذيب لإبن حجر العسقلاني. ط: حيدر لآباد، دكن، الهند.
٢٠٢- تقريب التهذيب. بيروت
٢٠٣- تاريخ ابن عساكر.
٢٠٤- تهذيب تاريخ ابن عساكر.
٢٠٥- تاريخ دمشق.
٢٠٦- تاريخ الأمم والملوك للطبري. ط: بيروت.
٢٠٧- تاريخ ابن خلدون. ط: بيروت ١٣٩٩ هـ.
٢٠٨- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
٢٠٩- تاريخ خليفة بن خياط.
٢١٠- التبصير في الدين للإسفرائيني.
٢١١- تاج العروس للزبيدي.
٢١٢- تثبيت دلائل النبوة للهمذاني.
٢١٣- جمهرة أنساب العرب لإبن حزم.
٢١٤- الحور العين.
٢١٥- خلاصة تهذيب الكمال.
٢١٦- الخطط للمقريزي.
٢١٧- دائرة المعارف الإسلامية. أردوط. لاهور.
٢١٨- سيرة أعلام النبلاء للذهبي.
٢١٩- السيرة ابن هشام.

٢٢٠- الشيعة والقرآن للمؤلف. باكستان.
٢٢١- الشيعة والسنـة للمؤلف. باكستان.
٢٢٢- الشيعة وأهل البيت للمؤلف.
٢٢٣- الصحاح للجوهري.
٢٢٤- الصواعق المحرقة لابن حجر المكي.
٢٢٥- الطبقات لابن سعد.
٢٢٦- طائفة الدروز لمحمد كامل حسين.
٢٢٧- العواصم من القواصم.
٢٢٨- الفصل بين الملل والنحل لابن حزم.
٢٢٩- فتاوى شيخ الإسلام لابن تيمية.
٢٣٠- فجر الإسلام لأحمد أمين.
٢٣١- فتوح البلدان للبلاذري.
٢٣٢- القاموس للفيروز آبادي.
٢٣٣- كتاب الكنى والأسماء للدولابي.
٢٣٤- كتاب الجرح والتعديل للرازي.
٢٣٥- كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي.
٢٣٦- كتاب المجروحين لابن حبان.
٢٣٧- الكامل لابن الأثيـر.
٢٣٨- كتاب المحبر للبغدادي.
٢٣٩- لسان الميزان لابن حـجـر.
٢٤٠- لسان العرب لابن المنظور الأفريقي.
٢٤١- ميزان الاعتدال للذهبي.
٢٤٢- مقدمـة ابن خلدون.
٢٤٣- منهاج السنة لابن تيمية.
٢٤٤- مقالات الإسلاميين للأشعري.

٢٤٥- الملل والنحل للشهرستاني.
٢٤٦- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية للتهانوي. ط: بيروت.
٢٤٧- مختصر التحفة الاثني عشرية للآلوسي.
٢٤٨- معجم مقاييس اللغة.
٢٤٩- المخصص لابن سيده.
٢٥٠- النهاية لابن الأثير.
٢٥١- النجوم الزاهرة للتغري البردي.
٢٥٢- نسب قريش لمصعب الزبيري.
٢٥٣- وفيات الأعيان لابن خلكان.
كتب المستشرقين:
٢٥٤- الخوارج والشيعة لولهوزن. ترجمة عربي.
٢٥٥- عقيدة الشيعة لدونالد سن. ترجمة عربي.
٢٥٦- العقيدة والشريعة لجولد زيهر. ترجمة عربي.
٢٥٧- مقالات في تاريخ الإسلام للدوزي.
٢٥٨- كتاب المستشرق ملر.
٢٥٩- مقدمة نقطة الكاف للبراؤن. ط: فارسي.

* * *

فهرست الكتـــاب

* * *